



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم التاريخ



مخبر البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر - جامعة الوادي
عنوان الأطروحة

التواصل الحضري بين إباضية المغرب الأوسط وإباضية المغرب الأدنى بين القرنين 3-6هـ/9-12م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في التاريخ
تخصص: تاريخ بلاد المغرب الوسيط.

إشراف الدكتور:

علال بن عمر

إعداد الطالب:

أسامة معاش

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
البشير غانية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيساً
علال بن عمر	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفاً ومقرراً
عمار غرايسة	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفاً مساعدًا
أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	ممتحنا
سليم حاج سعد	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	ممتحنا
صلاح الدين وانس	أستاذ محاضر - أ -	جامعة غرداية	ممتحنا
يمينة بن صغير	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	ممتحنا

السنة الجامعية 1443-1444هـ / 2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله الذي منّ عليّ بإنهاء هذا العمل

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، وعبارات الودّ والامتنان إلى مشرفي الدكتور علال بن عمر الذي رافقني خلال هذا العمل، فكان موجهًا وناصحًا ورفيقًا في مراحل البحث كلها، إلى أن أُخرج في حلته النهائية، فجزاه الله كل خير وأنعم عليه بجوده وكرمه.

وأصل الشكر إلى كل مد يد العون، أو ساهم بكلمة مشجعة، أو دعم.

قال رسول الله ﷺ

من لا يشكر الناس لا يشكر الله
رواه البخاري

إهداء

إلى والداي حفظهما الله بحفظه وأدامها لي سنداً
وأخوتي وأخواتي فهم سندي وعضدي
إلى كل أساتذتي ومعلمي عبر كل الأطوار التعليمية
إلى كل الغيورين على تراث أمتنا وحضارتها، والمدافعين عليها من كيد
الكائدين ودسائس المندسين.

الاختصارات

ص: صفحة

ت: توفي.

هـ: هجري

م: ميلادي

ج: جزء.

مج: مجلد.

ط: طبعة

د.ط: دون طبعة

د.ت: دون تاريخ

د.ن: دون دار نشر

(ط:) يقصد بها طبقات المشايخ عند الإباضية حسب زمن

الحياة

مقدمة

تقديم الموضوع:

التعايش في المجتمعات الإنسانية أمر ضروري لأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ينسج تواصلا حضاريا ذا أبعاد وأوجه مختلفة، وإن كان التواصل أمرا ضروريا كما أشرنا فإن الدافعية لنسج علاقات حضارية تخضع لمقتضيات العصر الذي وجدت فيه، ففي العصور الإسلامية ببلاد المغرب شكلت القبيلة والمذهب الديني دافعا هاما في نسج العلاقات، فهو بذلك يعكس تجسيدا للطموحات الجماعية، ويأتي موضوع بحثنا المعنون بالتواصل الحضاري بين إباضية المغرب الأوسط وإباضية المغرب الأدنى بين القرنين 3-6هـ/9-12م، محاولة للبحث في أشكال ومظاهر التواصل الحضاري لمعتقي المذهب الإباضي بين المجالين، وذلك في فترة تاريخية امتدت من عهد الدولة الرستمية، ومرورا بسقوطها والتغيرات المجالية لتوزع الجماعات الإباضية، وكل ذلك في ظل تحولات سياسية واجتماعية ألفت بظلالها على أتباع المذهب الإباضي.

ويشكل تعرض المجتمع ذو النسق المشترك مذهبيا أو قبيليا إلى أخطار على سبيل الانحسار، أو الاختراق الفكري، دافعا نحو التحرك لمواجهة التحديات المحدقة، ومن جملة التحركات تفعيل الوحدة والتضامن، والتي لا يمكن أن تتم إلا عن طريق التواصل بأشكاله ومظاهره المختلفة، ولقد أدرك الإباضية في بلاد المغرب هذا الأمر خاصة في القرون التي تلت سقوط الدولة الرستمية، وهي فترة شملتها الدراسة.

وتكمن أهمية الموضوع في إظهار العلاقات التاريخية والجسور الحضارية المختلفة التي نسجت بين الإباضية في بلاد المغرب الأوسط، والإباضية في بلاد المغرب الأدنى، ومحاولة فهم وتتبع القيم المختلفة التي احتوتها، انطلاقا من القيم الاجتماعية التي دائما ما يكون التواصل عنصرا فاعلا في إبرازها، ومرور بالتفاعل الاقتصادي باعتبار الاقتصاد عنصرا هاما في تدعيم الحركة الإنسانية، وانتهاء بالتواصل العلمي والفكري الذي يشكل إبرازا لهوية المجتمع وحضارته وتمييزا له على مختلف الثقافات.

دوافع الاختيار:

جاء هذا الموضوع متماشيا مع رغبتى الشخصية في دراسة العلاقات بخلفيتها المذهبية، وباقتراح من المشرف علال بن عمر، وللخوض فيه قمت بإجراء استشارات شملت المختصين، وأيضا أجريت بحثا في الفهارس المختلفة كالبوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات، والفهرس الموحد للجامعات المصرية، وتبين لي بعد البحث والاستشارة أنَّ الموضوع جدي وغير مدروس من قبل في وجهة النظر والأسلوب الذي أنوي دراسته به، كما تبين لي ثراء المكتبة المصدريّة الإباضية بالمادة العلمية ذات العلاقة بموضوع البحث، وكذلك فإنه حمل بعدا مغاربيا تمثل في دراسة التواصل بين مجالين ظلا يتمتعان بعلاقات اجتماعية مميزة منذ فترات زمنية طويلة، ويظهر الموضوع جذور الأخوة بين الجزائر، وتونس وليبيا الضاربة في القدم.

الإشكالية:

تتميز الدراسات التي تبحث في التواصل والعلاقات بأنها تبحث عن الوصول إلى إجابات تتعلق بالأوجه والمظاهر التي اتخذتها، ومن ثم تقييم هذا التواصل، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف التاريخية التي جرى فيها، ومن هذا المنطلق، فإن إشكالية بحثنا جاءت متماشيا مع محاولة الإحاطة بجوانب الموضوع في سياقه التاريخي، وعليه نطرح الإشكالية الرئيسية التالية:

كيف كان التواصل الحضاري بين إباضية المغرب الأوسط، وإباضية المغرب الأدنى من القرن 3هـ/9م إلى القرن 6هـ/12م؟

وانطلاقا من هذا الإشكال الرئيسي نطرح هذه التساؤلات الفرعية:

- ما مكانة الزيارة لدى الإباضية في بلاد المغرب؟ وما هي أبرز الزيارات المتبادلة؟
- كيف كانت حركة الهجرة بين المجالين؟ وما دوافعها وحيثياتها؟

- فيم تجلت قيم التواصل الاجتماعي؟
- ماهي العوامل التي ساهمت في التبادل الاقتصادي؟ وماهي المقومات الاقتصادية للمجالين، والروابط الاقتصادية بينهم؟
- إلى أي مدى شكلت الرحلة العلمية جسرا للتواصل العلمي؟ وما مظاهر الصلات العلمية والفكرية.

الدراسات السابقة:

حظي البحث في تاريخ الإباضية في بلاد المغرب بعدد معتبر من الدراسات الأكاديمية والعلمية، من داخل الجزائر وخارجها، وبلغات مختلفة، ووفق الكثير منها في الأهداف التي سطرت لها، ومن بين الدراسات التي تقاطعت في جزئيات منها مع دراستي دراسة صالح معيوف مفتاح بعنوان: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث هجري، تناول خلالها الباحث جبل نفوسة بدراسة تاريخية من الجوانب السياسية، والاجتماعية والاقتصادية والفكرية مستعرضا فيها المحطات التاريخية للجبل وذلك في باب، ثم عرض في باب ثان علاقة جبل نفوسة بالدولة الرستمية في فصلين، الأول: تناول فيه قيام كيان سياسي في طرابلس ثم قيام الدولة الرستمية، والثاني: مراحل العلاقة بين جبل نفوسة والدولة الرستمية في ثلاث محطات وهي: البدايات، ثم الارتباط، ونهاية بالمطالبة بالانفصال، غير أن الباحث أطنب في عرض تاريخ جبل نفوسة والمميزات الاقتصادية والاجتماعية له على حساب الموضوع الرئيسي المتعلق بعلاقة الجبل بالدولة الرستمية، والتي بدا الحديث عنها في نهاية البحث أقل زخما، ما جعل البحث يفقد توازنه المعرفي.

وأیضا دراسة مسعود مزهودي بعنوان: جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (21-442هـ) (642-1053م) وهي دراسة تاريخية لجبل نفوسة منذ بداية الفتح الإسلامي، وحتى الهجرة الهلالية، وُفّق الباحث فيها في عرض تاريخ الجبل

في مختلف الجوانب، وفي معرض كلامه، تكلم على العلاقات التي عرفها الجبل، ومختلف المؤثرات التي حكمتها وإن لم تكن موضوعا رئيسيا له.

خطة البحث:

قصد الإحاطة بجوانب الموضوع ومحاولة الإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على خطة تحتوي على مقدمة، وأربع فصول وخاتمة، تناولنا في مقدمة البحث عرضا لأهمية الموضوع، وإشكالاته، وخطته، وأهم المصادر والمراجع المعتمدة، وكذا الصعوبات التي واجهناها، ثم حررنا فصلا بعنوان: الخارطة المذهبية للإباضية في بلاد المغرب، وذلك للتعريف بالإطار الجغرافي المذهبي للإباضية، كون البحث وإن كان يدرس تواسلا حضاريا بين مجالين جغرافيين خلال فترة زمنية محددة، إلا أن الأرضية لدراسة هذه العلاقة كانت مذهبية، كون البحث محصور بين مجموعات بشرية محددة، وهي المتمذهبة بالمذهب الإباضي، وتضمن هذا الفصل مبحثين الأول بعنوان: الخارطة المذهبية للدعوة الإباضية في بلاد المغرب الذي حددنا فيه الإطار الجغرافي للدراسة، وكذا تتبع مراحل انتشار المذهب الإباضي ومجالات القبائل التي اعتنقته، والثاني: الخارطة المذهبية للإباضية في بلاد المغرب في مرحلة الدولة، وذلك بالحديث عن ظهور الإباضية بملك وبسط سلطتهم على مناطق واسعة.

ثم الفصل الأول بعنوان: التواصل الاجتماعي، وفيه تم التطرق إلى المظاهر المختلفة لهذا التواصل بدءا بالزيارات المتبادلة، ومنطلقا فيها بتوضيح مكانة الزيارة عند الإباضية كونها حظيت باهتمام بالغ، ونُظِرَ على أنها من الدين، وأن المفرط فيها قد أضاع حقوق أهل مذهبه، ثم قسمنا الزيارات إلى فردية وجماعية بين المجالين، سواء التي كانت تنطلق من إباضية المغرب الأوسط في اتجاه المغرب الأدنى، أو تلك التي كانت تتم من إباضية المغرب الأدنى في اتجاه المغرب الأوسط. وعرضنا أيضا الهجرة كمظهر من مظاهر التواصل الاجتماعي، ومنطلقين أيضا من التحدث عن الهجرة عند الإباضية، كونها ارتبطت

بالدين أيضا، فالهجرة إلى جوغراف كانت هجرة موعودة إلى ديار الحق حين ينقطع الدين، وتكلمنا عن الهجرة التي جرت بين الإباضية في مجالي المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، وتطرقنا إلى التكافل والتضامن الاجتماعي كمظهر من مظاهر التواصل الحضاري؛ هذا التكافل الذي أخذ أوجه عدة كالضيافة وخدمة أهل المذهب، وأيضا المآزرة عند المحن والدفاع المشترك من الأخطار الخارجية، وأخيرا تكلمنا عن التفاعل والحضور الاجتماعي، وذلك بالحديث عن إباضية المغرب الأدنى وحضورهم الاجتماعي بالمغرب الأوسط، وأيضا إباضية المغرب الأوسط وحضورهم الاجتماعي بالمغرب الأدنى.

وفي الفصل الثاني تناولنا التواصل الاقتصادي الذي شرعنا فيه بمبحث حول العوامل المساعدة على هذا التواصل والتي من أهمها العاملين الطبيعي والبشري، ثم عرضنا طبيعة النشاط الاقتصادي للحواضر الإباضية في مجالي المغرب الأوسط والأدنى، والتي تمثلت في الأنشطة الزراعية، والصناعية، وأيضا التفاعل التجاري الذي كان يتم بين المجالين، ثم تكلمنا عن المعوقات التي واجهت التواصل الاقتصادي بين الإباضية في المغرب الأوسط والإباضية في المغرب الأدنى.

أما الفصل الثالث فدرسنا فيه التواصل العلمي والفكري، الذي أخذ مظاهر وأبعاد عديدة، كان من بينها طلب العلم والرحلة من أجله، والتي تخللها مواعظ وحكم ساهمت في تثبيت أواصر العلاقات العلمية والفكرية، وكذلك المراسلات باعتبارها مظهرا من مظاهر التواصل العلمي، والتي تعددت أغراضها ومضامينها، وأيضا تعرضنا للمناقشات العلمية والفقهية في مبحث عرضنا فيه أهم حيثيات هذه الحلقات العلمية، والأجوبة والمناظرات التي وردت فيها، أما المبحث الرابع: فكان موضوعه التأليف والكتب التي كانت محل اهتمام كبير من الإباضية، فكان الكتاب مظهرا جليا للتواصل العلمي بدءا بالكتاب كفكرة، ومرور بالإعداد لتأليفه، وانتهاء بإنجازه ووضعه ثم تناقله بين الحواضر.

المنهج:

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي وأدواته المختلفة التي تعتمد في الأساس على جمع أكبر مادة معرفية انطلاقاً من المصادر الأساسية، خاصة المنبثقة من المجتمعات الإباضية قيد الدراسة، وتصنيف هذه المادة بما يخدم فصول البحث وأهدافه، ثم محاولة الوصول إلى مقاربات اعتماداً على النقد والتحليل، كما فرضت خصوصية البحث الاعتماد على الوصف والسرد لتوضيح مظاهر التواصل الحضاري، ووضع القارئ في صورة الأحداث الجارية ببعديها المذهبي والاجتماعي بشكل خاص.

تحليل المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع، وفق أولويات للاستعمال بناء على قرب المصدر المستعمل من الأحداث الجارية، وموضوعية المؤلف ودقة معلوماته، وعليه فقد كانت كتب السير الإباضية المصادر الأولية لإنجاز البحث، بحكم أن تاريخ الإباضية في بلاد المغرب خاصة فيما تعلق بالجانبين العلمي والاجتماعي مأخوذاً من كتب السير التي جمع مؤلفوها رواياتهم من رواة عايشوا الأحداث، بل وكان الكثير منهم جزءاً منها، تلتها كتب الجغرافيا والرحلات خاصة في الشق الذي درست فيه الجانب الاقتصادي من التواصل الحضاري، كما كانت كتب التاريخ العام مصدراً اعتمدت عليها في دراسة وتوضيح بعض المسائل، كما اقتضت الضرورة استعمال المراجع والمقالات العلمية خاصة في التعريفات وبعض التحليلات، ومن بين هذه المصادر والمراجع نذكر:

أولاً: المصادر الإباضية:

- كتاب السيرة وأخبار الأئمة: لمؤلفه أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني المتوفى حوالي سنة 471هـ/1078م، ويعد كتاب السيرة من أهم كتب السير الإباضية نظراً للفترة الزمنية التي ألف فيها المؤلف هذا الكتاب، حيث عاصر أحداثاً بارزة من تاريخ الإباضية

وكان معاشيا لعدة مشايخ، وتمكن من سماع رواياتهم، كما اعتمد عليه كُتَّابُ السَّيَر من بعده كالوسيانى والبغطوري والدرجيني...، وبذلك يكون حلقة وصل معرفية مكنت من بلوغ وقائع تتعلق بتاريخ الإباضية منذ عهد الدولة الرستمية إلى أواخر القرن 5هـ/11م، وقد اعتمدت على النسخة التي حققها عبد الرحمن أيوب لما لمستته فيها من تحقيق جاد، كما أن عبد الرحمن أيوب قد حقق النسخة الكاملة من المخطوط، عكس المحقق إسماعيل العربي الذي أهمل جزءا من المخطوط معتقدا أنه للوسيانى وليس لأبي زكرياء، ويحمل كتاب السيرة روايات حملت مظاهر متنوعة للحياة الاجتماعية والعلمية التي شهدتها المجتمع الإباضي في بلاد المغرب.

- كتاب سير الوسياني: لمؤلفه أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني المتوفى (ق:6هـ/12م)، والذي تحمل حياته جزءا من مظاهر التواصل الحضاري حيث ولد بقسطيلية في بلاد الجريد، ونشأ في آجلو من أريغ، كما قضى فترة في وارجلان، واعتمد في كتابه على جمع الروايات والأخبار من المشايخ وتدوينها، فكان ثريا بالأخبار التي أفادتني بشكل كبير نظرا لتوضيحه وتدقيقه، وسلاسة أسلوبه، وقد تكون حياة الوسياني التي تميزت بالتحرك في مجال الدراسة قد ساهمت في ثراء أخباره، وقد اعتمد الدرجيني والشماسي على رواياته.

- كتاب طبقات المشايخ بالمغرب: مؤلفه أبو العباس أحمد الدرجيني (ت:670هـ/1271م) الذي تلقى العلم في درجين، ثم انتقل إلى وارجلان التي درس فيها على يد الشيخ أبي سهل يحيى بن إبراهيم، ورغم أن الدرجيني قد اعتمد على كتاب السير من سابقه، إلا أنه ابتدع أسلوبا جديدا وهو تصنيف المشايخ بالطبقات، ومدة كل طبقة خمسين سنة، واحتوى كتاب الدرجيني على معلومات قيمة خاصة حول واحات أريغ، ووارجلان، وأسوف، وجربة، ونفوسة، كما تمتع أسلوبه بالوضوح والسلاسة، وساعدنا الربط والتسلسل التاريخي الذي اعتمد عليه في الكتابة التاريخية وسرد الأخبار الواردة في البحث، وننوه إلى أن مسيرة الدرجيني التعليمية عبرت عن مظهر من مظاهر التواصل العلمي الذي استمر بعد القرن 6هـ/9م، فقد

هاجر طالبا للعلم من درجين إلى وارجلان بتشجيع من والده الذي أرسل له قصيدة حين قعوده للعلم بوارجلان يحثه ويشجعه على الجد.

- كتاب السير: لأبي العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت: 9هـ/15م) وهو من علماء يفرن بجبل نفوسة، وقد ألف الشماخي مؤلفا في السير استطاع أن يجمع فيه منتقيات من سير الوسياني والبغطوري، وطبقات الدرجيني وجواهر البرادي، وعليه فإن المؤلف قد احتوى معلومات جامعة منذ بداية الدعوة الإسلامية إلى عصره، وقد اعتمدت على تحقيق محمد حسن الأكاديمي المحكم، ورغم أن الشماخي قد جمع في كتابه أخبارا من كتب السير الإباضية التي سبقته، غير أنه مال إلى ذكر الأخبار ذات التأثير الكبير، وأهم التفاصيل الدقيقة والروايات المفصلة كالحوارات وغيرها، وهي روايات وأخبار ذات أهمية في البحث، كوننا ننتبع مظاهر التواصل الحضاري بجزئياته الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية الفكرية، ما جعل قيمته في البحث تقل عن كتب السير الأخرى، كما أن الكثير من الروايات التي ذكرها الشماخي مستنسخة من كتب السير التي سبقته.

- كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة: لمؤلف مجهول عاش على الأرجح خلال القرن 6هـ/12م، وألف الكاتب كتابه وفق تصنيف المناطق كروايات وارجلان، وروايات أسوف، وحمل الكتاب إشارات إلى أن المؤلف كان من أهل الفقه والعلم، ذلك أنه ركز في رواياته على المسائل الفقهية والنقاشات العلمية التي أوردها بتفاصيلها، وهذا ما أفادنا خاصة في الفصل الذي تناولنا فيه التواصل العلمي والفكري، إذ أمدنا الكتاب بمعلومات حول المشايخ حسب انتمائهم الجغرافي، وكذا روايات تتعلق بالنقاشات العلمية والفقهية وغيرها.

ثانيا: المصادر الجغرافية:

- كتاب البلدان: تأليف أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة 284هـ/897م، ويعد من أقدم المصادر الجغرافية العربية، كما أن صاحبه زار الكثير من

المناطق التي تناولتها الدراسة، وقد أفادنا هذا المؤلف في الفصل المتعلق بدراسة التواصل الاقتصادي، خاصة المميزات الاقتصادية للحواضر الإباضية.

- المسالك والممالك: تأليف أبي عبيد البكري المتوفى سنة 487هـ/1094م وحمل هذا الكتاب نصوصا وصفية بأسلوب سلس ساعدتنا على التعرف على الحياة الاقتصادية في الحواضر الإباضية خاصة في المغرب الأدنى.

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للشريف الإدريسي (ق: 6هـ/12م) وكان هذا المؤلف مفيدا لنا في دراسة الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط كونه حمل معلومات مهمة لهذه المنطقة كوارجلان وغيرها.

ثالثا: المراجع

أما عن المراجع فقد اعتمدنا على عدة كتب أهمها:

- كتاب الإباضية في موكب التاريخ: تأليف علي يحيى معمر، ويعد من أهم المراجع التي كُتبت على تاريخ الإباضية في بلاد المغرب، وتناول الكاتب في هذا الكتاب دراسة قسمها إلى حلقات حسب البلدان: تونس، وليبيا، والجزائر، وبتسلسل تاريخي عبر عرضه لسير المشايخ وآثارهم، كما قدم تحليلات وخلاصات للعهود التي درسها.

- كتاب جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (21-442هـ/642-1053م)، تأليف مسعود مزهودي، وهو كتاب مهم تناول فيه الكاتب تاريخ جبل نفوسة، وقد أفادنا في دراسة مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والعلمية وكذا علاقات الجبل الخارجية.

- كتاب الإباضية في المغرب العربي دراسة تاريخية في انتشارها ودورها العلمي من القرن الثاني إلى أواخر القرن الرابع الهجريين/ الثامن إلى العاشر الميلادي: للكاتب لمياء أنور كامل يعقوب، هذا الكتاب في الأصل هو رسالة علمية تقدمت بها الكاتبة، وأفادنا الكتاب في التعرف على تاريخ الإباضية في بلاد المغرب عبر معالجة التوزيع الجغرافي، الفرق، العلاقات العلمية، وأشهر المشايخ.

- كتاب معجم أعلام الإباضية: وهو مؤلف جماعي ألفته نخبة من الباحثين من بينهم إبراهيم بحاز، ومصطفى باجو، ومحمد صالح ناصر، وجاء هذا المعجم ملماً بالكثير من الشخصيات الإباضية، وقد تم ترتيب عرض هذه الشخصيات هجائياً تبعاً لأسمائهم، وقد أفادنا بشكل كبير في التعريف بمشايخ الإباضية وعلمائهم وزمن عيشهم وتاريخ وفاتهم، ورغم المجهود الكبير الذي بذلته هيئة إعداد الكتاب غابت عنه بعض الشخصيات التي استعنا بمراجع أخرى لتعريفهم، ونتوقع أن تغطي الطبعة الجديدة التي تعكف هيئة تأليف هذا المعجم على إصدارها ما نقص فيه من تعريفات.

الصعوبات:

أثناء إنجاز هذا البحث واجهتنا بعض الصعوبات الذاتية والموضوعية، ومنها:

- الحركية التي عرفت بها بلاد المغرب الأوسط والأدنى، جعلتنا في الكثير من الأحيان عاجزين عن تحديد انتماءات بعض المشايخ، حيث تجد أن الروايات التي وردت حولهم منقسمة بين ما جرى منها في حواضر المغرب الأوسط، وما جرى في حواضر المغرب الأدنى، ما جعلنا نلجأ إلى الترجيح بناءً على المعطيات المتعلقة على الترتيب بمكان ميلاد الشيخ، أو الأصول المعروفة عن والده أو جده، أو قبيلته التي ينتمي إليها، وكان الاعتماد على القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ آخر ما نعتمد عليه لأن ذلك لا يقدم معطيات أكيدة، فقد تنوع التوزيع الجغرافي للكثير من القبائل بين حواضر المغربين.

- ومن الصعوبات طبيعة الروايات الواردة في كتب السير الإباضية، حيث وجدنا أنفسنا عاجزين عن تحديد المقصود من بعض الروايات التي ذكرت فيها فقط الكنى كأبي محمد، وأبي صالح، وقد حاولنا ترجيح المقصود من الرواية عبر تتبع سياق النص لمعرفة المقصود من الرواية، أو تحديد الإطار الزمني للنص بدقة وبذلك يتضح المعني، إلا أننا ورغم ذلك لم نتمكن من التعرف على بعض الشخصيات ما جعلنا نتخلى عن إيراد تلك الأخبار.

- أعاققت الفترة التي أجريت فيها هذه الدراسة التي تزامن الكثير منها مع تفشي فيروس كورونا في العالم وغلق المكاتب ومراكز البحث والحدود ما كنت أنوي القيام به، فقد كنت أنوي زيارة جميع الحواضر التي تناولتها الدراسة كجبل نفوسة، وجربة، والجريد، وميزاب وأريغ، ووارجلان، للوقوف عليها وعلى جغرافيتها عن كثب، إلا أن غلق الحدود حال دون إتمام ذلك، فتمكنت فقط من زيارة إقليم الجريد، وميزاب، فيما كانت وارجلان، وأريغ، وأسوف موطني الذي ترعرعت فيه.

الفصل التمهيدي

الخارطة المذهبية للإباضية في بلاد المغرب

المبحث الأول: الخارطة المذهبية للدعوة الإباضية في بلاد المغرب
أولاً: تبلور المذهب الإباضي في المشرق وتسربه إلى بلاد المغرب
ثانياً: الدعوة الإباضية في بلادي المغرب الأوسط والأدنى (المجال والقبيلة)

1- المجال الجغرافي للمغربين الأدنى والأوسط.

2- الوعاء البشري للدعوة الإباضية في بلاد المغرب

المبحث الثاني: الخارطة المذهبية للإباضية في بلاد المغرب في
طور تكوين المُلْك

أولاً: إمارة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري

ثانياً: قيام الدولة الرستمية

المبحث الأول: الخارطة المذهبية للدعوة الإباضية في بلاد المغرب.

أولاً: تبلور المذهب الإباضي في المشرق وتسربه إلى بلاد المغرب.

عَرَفَ المُسلمون أثناء خلافة عثمان بن عفان¹ (23-35هـ/644-655م) رضي الله عنه، أزمة سياسية انتهت بقتله سنة 35هـ/655م² وأفرز الخلاف السياسي الذي وقع بين المسلمين بعد فتنة مقتل عثمان، والصراع الذي قام بين الصحابين علي بن أبي طالب³ رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان⁴ رضي الله عنه خلافاً تبلورت في شكل اتجاهات مذهبية، على غرار المذهب الإباضي الذي بدأ يتشكل في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري، ولم ينته النصف الثاني منه إلا وقد أتم تقرير أصوله، وكانت البصرة مركزاً مهماً في ذلك⁵.

¹ من أوائل المسلمين، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة، تزوج رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أم كلثوم، كان من بين نفر الذين استخلفهم عمر بن الخطاب للشوى قبيل وفاته وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، قال الأمر إلى عثمان فبوع من قبل المسلمين خليفة سنة 24هـ/644م، توفي بعد تمرد قاده وافدون من الكوفة والبصرة ومصر سنة 35هـ/655م. ينظر: عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب، العلمية، (د. ط)، بيروت، (د. ت)، ج3، ص578-585.

² محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1987، ج2، ص688.

³ هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكنيته أبو الحسن، كان من أوائل الناس إسلاماً، هاجر إلى المدينة المنورة، وشهد بدر، وأحد، والخندق، وبيعة الرضوان، بوع بالخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان سنة 35هـ/655م، قتل سنة 40هـ/660م. ينظر: ابن الأثير الجزري: أسد الغابة، ج4، صص 87-106-113.

⁴ هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أسلم هو وأبوه وأمه، وأخوه يزيد في فتح مكة، عينه عمر بن الخطاب دمشق، ثم جمع لعثمان بن عفان ولاية الشام كلها، بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، لم يبايع علي واستقر بالشام وتواجه عسكرياً معه. بعد تولي الحسن بن علي الخلافة بعد والده، رأى أن يتنازل عليها لمعاوية حفظاً لدماء المسلمين، وذلك في العام 41هـ/661م وبذلك تولى معاوية الخلافة إلى غاية وفاته سنة 60هـ/680م. ينظر: ابن الأثير الجزري: أسد الغابة، ج3، ص201-203.

⁵ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3، سلطنة عمان 2008، ج1، ص143.

وينسب الإباضية أنفسهم إلى التابعي الجليل جابر بن زيد¹ (22-96هـ/642-714م) المعروف عنه أخذه للعلم عن عائشة رضي الله عنها وكبار الصحابة، فكان عبد الله بن عباس² رضي الله عنه يقول فيه: "سلوا جابر بن زيد، فلو نزل أهل البصرة على فتياه لوسمعهم"³، وعن ابن عباس أيضا أنه قال: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد، لأوسعهم علما عن كتاب الله عز وجل. وربما قال عمّا في كتاب الله عز وجل"⁴ وكان جابر بن زيد من المعارضين للحكم الأموي، ومن المنادين بتفعيل النظام الشوري، فقد عاصر فتنة عثمان، وبدايات الحركة الفكرية التي شهدها العالم الإسلامي في المدينة المنورة والكوفة والبصرة، وهي الفترة التي وضع فيها جابر بن زيد مدرسته إلى جانب المدارس الأخرى، مثل مدرسة واصل بن عطاء⁵ (80-131هـ/700-748م) ومدرسة الحسن البصري⁶ (21-110هـ/641-728م) وساهمت جهوده في تكوين جيل من رجال العلم تنبوا

¹ أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليمامي، البصري، الخوفي، والخوف: ناحية من عمان . يعد من عالم أهل البصرة، مع الحسن، وابن سيرين، وكذلك من كبار تلاميذ ابن عباس. فقد حدث عنه: عمرو بن دينار، وأيوب السخيتاني، وقتادة، وآخرون ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: مأمون الصاغري، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت 1996، ج4، ص481-482.

² عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى بابنه العباس، وهو ابن خالة خالد بن الوليد، سمي بالبحر لكثرة علمه، ويسمى كذلك بحبر الأمة، دعى له الرسول بالحكمة، وله أحاديث عديدة مروية عنه. ينظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص291.

³ أبو طالب المكي (ت386)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تح: محمود إبراهيم محمد الرضواني، مكتبة دار التراث، ط1، القاهرة 2001، ج1، ص412.

⁴ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت327)، الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1953، ج2، ص494-495.

⁵ واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي يعد مع عمرو بن عبيد رأسا الاعتزال، طرده الحسن البصري من مجلسه لما قال "الفاسق لا يؤمن ولا الكافر" فاعتزل حلقة الحسن وسموا المعتزلة، له مؤلف في التوحيد، وكتاب (المنزلة بين المنزلتين) حدث عنه: سعيد بن جبيرة، وخميد بن عبد الرحمن الحميري، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وطائوس، وميمون بن مهران، وأبي الضحى، ونافع العمرى. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص464-465.

⁶ هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مؤلف زيد بن ثابت، نشأ الحسن بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، قطن البصرة وبلغ علمه فيها مبلغا كبيرا حتى سمي شيخ البصرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص553-556.

معتقدات الإباضية وأفكارها، من أمثال عبد الله بن إباح¹ (ت: 89هـ/707م) وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة² (45-145هـ/665-762م)، ورغم مهادنة الإباضيين للحكام الأمويين وتجنب الصدام معهم، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يصلهم بأسهم، فسُجن أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي³ (ت: 95هـ/713م)⁴.

ورغم أنَّ الإباضية ينسبون أصولهم التاريخية إلى جابر بن زيد كما أشرنا، إلا أن ذلك لا يحمل من الإثباتات التاريخية ما يجعلنا نسلم به، فقد ذكر الفسوي " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَمِيدِي حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ: مَا عَلِمْتُ مِنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ رَأْيَ الْإِبَاضِيَّةِ قَطُّ، وَلَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ "⁵ وذكر البخاري: " وَقَالَ لَنَا عَلِيٌّ حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ: قُلْتُ لِعَمْرُو: سَمِعْتَ مِنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ مِنْ أَمْرِ الْإِبَاضِيَّةِ، أَوْ شَيْئًا مِمَّا يَقُولُونَ فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَطُّ، وَمَا أَدْرَكَتُ أَحَدًا أَعْلَمُ بِالْفِتْيَا مِنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ "⁶ وروى ابن أبي حاتم أيضا " أخبرنا أحمد بن

¹ هو عبد الله بن إباح بن بن تميم اللات بن ثعلبة رهط الأحنف بن قيس التيمي، ويعد من التابعين، عاصر معاوية بن أبي سفيان ♦، وأدرك عبد الملك بن مروان. ينظر: محمد حسن مهدي، الإباضية نشأتها وعقائدها، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن 2001، ص56-57.

² أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري التيمي ولاء، فهو غير أصيل قبيلة بني تميم، ولد في البصرة ونشأ فيها، يقال أنه كان أسود اللون، فقيرا يقتات من سعف النخيل، لذلك لقب بالقفاف، أدرك الكثير من العلماء وأخذ عنهم من أمثال: جابر بن زيد، أبو سعيد الخدري، جابر بن سمرة، جابر بن عبد الله، وسهل بن سعد الساعدي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر. ينظر: مبارك بن عبد الله الراشدي، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التيمي وفقهه، (د.ن) ط1، سلطنة عمان، 1993، ص ص25-30.

³ هُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ غَامِرٍ وَهُوَ قَيْسِي سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ، وَسَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، مِنْ مَوَالِي بَنِي أُمِيَّةٍ، تَوَلَّى أَمْرَ الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ عَشْرِينَ سَنَةً، عَرَفَ بِدِفَاعِهِ الْكَبِيرِ عَنِ الْأُمَوِيِّينَ، وَحُرُوبِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ، وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ الزَّبِيرِ. ينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة، ط1، مصر 1998، ج12، ص507-508. وأيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، 343.

⁴ أحمد إلياس حسين، الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان، 1996، ص11-13.

⁵ أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، ط1، المدينة المنورة، 1410هـ، ج2، ص13

⁶ أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت256هـ)، التاريخ الكبير، تح: المعلمي اليماني، دار المعارف العثمانية، ط2، حيدر آباد 1962، ج2، ص204.

سنان عبد الرحمن بن مهدي عن أبي هلال عن داود عن عزرة قال: دخلت على جابر بن زيد، فقلت: إن هؤلاء القوم ينتحلونك - يعني الإباضية - ؟ قال: أبرأ إلى الله عز وجل من ذلك" ¹.

ونرى أن ما حدث من نسبة الإباضية لجابر بن زيد إنما كان لعدة أسباب أولها تواجده في البصرة معقل المذهب الإباضي في ذلك الوقت، وكذلك كون جابر بن زيد كان له مجالس علم وفتيا يحضرها الكثير من طلبة العلم، ويستفتونه فيفتيهم بكتاب الله وسنة نبيه ² بل إنه كان مفتي ديار البصرة ³ وطبيعي أن يحضر مجالسه من هم إباضية أو من صاروا عليها، فيكون جابر باعتباره منبع علم أقرب أن يتأثروا ببعض من أفكاره، ولو لم يثبت أنه كان على آرائهم بعد تبلورها، أو ربما يكون حدث خلط بين مذهب جابر الذي تفرد به حسب وصف النووي " جابر بن زيد التابعي ... هو الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي البصري التابعي. سمع ابن عباس، وابن عمر ... واتفقوا على توثيقه وجلالته، وهو معدود في أئمة التابعين وفقهائهم، وله مذهب يتفرد به " ⁴ وبين آراء الإباضية ومعتقداتهم.

وتحمل السياقات التاريخية لنشأة المذهب الإباضي، وإقرار أصوله الدور الكبير لعبد الله بن إباح وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فقد كان لعبد الله بن إباح دور كبير في نشر المذهب الإباضي وبلورة أفكاره إذ سمّي برئيس القعدة ⁵ كما وصفه الدرجيني بقوله: "كان عبد الله بن إباح إمام أهل الطريق، وجامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات، والمؤسس لأبنية هي مستندات

¹ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج2، ص495.

² البخاري، التاريخ الكبير، ج2، ص204.

³ ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، (د. ط)، بيروت، (د. ت)، مج 7، ص179.

⁴ أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (د. ط)، بيروت،

(د. ت)، ج1، ص141.

⁵ عوض خلفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، ط3، سلطنة عمان 1998، ص9.

الأسلاف، والمهدم لما اعتقده أهل الخلاف، وكان رأس العقد، ورئيس من البصرة وغيرها من الأمصار¹.

ويذهب الكثير من المؤرخين إلى أن رسالته إلى الخليفة عبد الملك بن مروان² (65-76هـ/684-705م) قد حملت عرضاً لأصول المذهب وآرائه رغم الخلاف الذي وقع حول نسب الرسالة التي أوردها البرادي³ إلى ابن إياض من عدمه، انطلاقاً من مخالفة بعض ما جاء فيها للآراء التي تبناها الإباضية فيما بعد، فقد جاء في الرسالة إظهار موقف الفرقة الإباضية من الحكام الأمويين، وإظهار موقفهم من المسلمين عموماً بالقول أن المسلم من طبق شرائع الإسلام بلا إفراط أو تفريط، وعرض مبدأ الولاية والبراءة⁴، حيث رأى أن هذا المبدأ يعتبر أحد ركائز فكرهم المحكوم بشريعة القرآن، فالحلال والحرام وقف لا ينبغي تعديلهما، كما ذكر ابن إياض رأيه حول الخروج عن الحاكم بالقول بالجواز إذا كان إمام ضلال، ووضح رأي الإباضية من الحكم وشروط الخلافة، حيث أكد أن الإمامة من أمور الرأي وليست من أمور التنزيل والسنة، وعرج على مسألة الإيمان والعمل بالقول أن الإيمان لا ينفع دون عمل، ووضح حكم المذنب ومصيره يوم القيامة، وحكم مرتكب الكبيرة ومسألة الخلود في النار للمذنبين⁵ إن لم يتوبوا⁶.

¹ أبو العباس أحمد الدرجيني (ت670هـ)، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر 1974، ج2، ص214.

² هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، تولى الحكم بعد وفاة أبيه مروان الحكم، وسمع عثمان وأبو هريرة، وغيرهم، عرف بدهائه وحكمته، عرف عهده صراعات كبيرة مع المناوئين لسلطة الأمويين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص ص 246-248.

³ أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة، تح: أحمد بن سعود السيادي، دار الحكمة، ط1، لندن 2014، ص175-176.

⁴ يرى الإباضية بوجوب الولاية والبراءة وبأنهما من الإيمان المضيق ولا يسع جهلهما ولا تركهما فهما فريضتان. ينظر: أبو الربيع سليمان بن خلف، التحف المخزونة، تح: محمود بن جمعة، مكتبة خزائن الآثار، ط1، سلطنة عمان 2017، ص203.

⁵ يرى الإباضية أن من دخل الجنة خالد فيها ومن دخل النار خالد فيها ينظر: أبو الربيع سليمان المزاتي، التحف المخزونة، ص399.

⁶ علال بن عمر، إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي وانتقاله من القرن الثالث 3هـ/9م إلى القرن 9هـ/15م دراسة مذهبية- ثقافية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة غرداية، 2017-2018، ص50-55.

كما كان لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت145هـ/762م) دور كبير في نشر المذهب الإباضي وبلورة أفكاره، إذ وضع مجالس سرية تشكلت من كبار العلماء والمشايخ كان لها تنظيم وبرنامج خاص¹ ويروي لنا الدرجيني تنظيم هذه المجالس وسيرها، حيث كان يتخذ مكانا للتعليم متخذا الحيطه والحذر من أن يُكشف أمره، وتظاهر بأن المكان هو لصنع القفاف، وكان على المدخل سلسلة متى تحركت سكنوا من حديثهم وتظاهروا بالعمل².

لقد ساهمت جهود أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في نقل المذهب الإباضي من طور التشكل إلى طور الانتشار، حيث ومن مركزه في البصرة أرسل الدعاة إلى اليمن وحضرموت وعمان وخرسان والمغرب، ومثلت مجالسه العلمية أداة هامة ساهمت في تكوين النخب العلمية المتمهدة بالمذهب الإباضي، كما استغل المواسم كموسم الحج كفرصة سانحة لعرض أفكاره ونشرها، وقد دأب على وضع قدم حقيقية للمذهب بتأسيس الدول بالمشرق والمغرب³.

وإن كان الشائع أنَّ الإباضية فرقة من فرق الخوارج، غير أنه لم يرد أن جابر بن زيد، خرج عن الدولة أو دعا إلى ذلك، كما لم يُقَمَّ عبد الله بن إباض بأي خروج سوى اشتراكه مع عبد الله بن الزبير في الدفاع عن الحرم، وكان أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ينصح أتباعه ويحملهم على الصبر وعدم الخروج⁴، رغم أن المذهب الإباضي لا يرى وجوب الطاعة، ولا وجوب الخروج، بل إنهم يجوزون الخروج إذا تيقنوا من تحقيق المنفعة بإزاحة الظلم، وإحياء دولة العدل، أمَّا إذا غلب على ظنهم أنَّ الخروج سيدفع إلى فتنة أكبر من ظلم

1 مسلم بن سالم الوهبي، الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثاني الهجري، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان 2006، ص66.

2 الدرجيني، طبقات المشايخ، ج1، ص19.

3 علال بن عمر، إنتاج الفكر الإباضي الحواضر الصحراوية، ص60.

4 أحمد إلياس حسين، الإباضية في المغرب العربي، ص17-18.

الإمام، لم يجر لهم ذلك، إذ لا يُدفع ضرر بضرر أكبر¹، مستندين إلى الآية الكريمة ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْعَلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾².

وتظل مسألة نسب الفرقة الإباضية إلى الخوارج من عدمها معتمدة على التعريف الاصطلاحي لهذا المصطلح؛ فيرى الشهرستاني بأنه الخروج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه جماعة المسلمين في مختلف الأزمنة من عهد الخلفاء الراشدين، أو التابعين أو أي إمام للمسلمين³ ويورد ابن خلدون الرأي القائل بأن الخوارج هم الذين لا يلتزمون بشرط القرشية في الخلافة⁴ ويعتقد الإباضية بأن القرشية ليست شرطا من شروط الإمامة، إذ ذهبوا إلى أحقية كل مسلم بها⁵، وهم بذلك خوارج وفق المفهوم الذي ذكره ابن خلدون، ويخرجون من تلك الدائرة وفق تعريف الشهرستاني لهذه الطائفة، إذ أن لا ضابط محدد للاتفاق حول الإمام الحق، ففي الكثير من المحطات التاريخية التي عرفها العالم الإسلامي، وقع التباس في إقرار الإمام والاتفاق عليه.

بعد تبلور المذهب الإباضي في بلاد المشرق، سعى الإباضيون إلى نشر مذهبهم، وبَدَت بلاد المغرب مرتعا خصبا لتقبل المذاهب ذات الخط المذهبي المناهض للسلطة الحاكمة؛ ذلك أن الساكنة وخاصة البربر، قد عانوا في هذه الفترة من اضطهاد الكثير من الولاة وجورهم، وشمل ظلم الولاة وتهميشهم للبربر نواحٍ متعددة شملت الضرائب، والإهانة، وسوء المعاملة، ومن أمثلة ذلك الوالي يزيد بن أبي مسلم الذي أراد أن يسم حرسه من البربر

¹ علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، عند كتاب المقالات في القديم والحديث، المطبعة العربية، (د. ط) الجزائر، 1987، ص334.

² سورة البقرة الآية: 191.

³ أبو الفتح محمد بن أبي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، (د. ط)، الأردن، 1968، ج1، ص114.

⁴ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: خليل شحادة، سهيل زوكار، دار الفكر، (د. ط)، لبنان 2001، ص245.

⁵ نور الدين عبد الله السالمي، غاية المراد في نظم الاعتقاد، دار الكلمة الطيبة، ط1، سلطنة عمان 2017م، ص300.

على شاكلة الروم، بأن يكتب في يمين يد الرجل اسمه، وفي يساره كلمة "حربي" فتأمر حرسه عليه وقتلوه لما رأوه من إهانة لهم¹ ويظهر أن فتك البربر بيزيد لم يكن بسبب الوشم فقط بل تعداه إلى ممارسات أخرى وهو ما نستشفه من قول ابن خلدون: " ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمرء العرب، فقتلوا يزيد بن أبي مسلم سنة اثنتين ومائة لما نعموا عليه في بعض الفعلات"² وشمل الميز الذي مارسه الولاة الأمويون على البربر أيضا حصص الغنائم من الفتوحات التي شاركوا فيها، وأيضا التعدي على الأملاك كالماشية التي كانت بطونها تُبقر للبحث عن الأصواف ذات الجودة العالية، ووصل الأمر إلى مساومتهم في بناتهم³ وكان العامل على طنجة عمر بن عبد الله المرادي قد عزم على تخميس البربر⁴.

وكوّنت هذه الشحنة التي حملها البربر تجاه الولاة أرضا خصبة، لتسرب المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب، والتي بدأت إرهاصاتهما مع رحلة محمد بن عبد الحميد بن مغطير النفوسي الجناوني⁵ (حي بعد: 160هـ/776م) والذي يعد من أوائل الذين رحلوا إلى المشرق لأخذ معالم المذهب الإباضي من منبعه على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة⁶ وبالإضافة إلى ابن مغطير النفوسي، روي أيضا عن إباضية من مصر قدموا إلى بلاد

¹ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1994، ص62.

² عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، سهيل زوكار، دار الفكر، (د.ط)، لبنان 2000، ج6، ص144.

³ محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ط1، بيروت 1987، مج 2، ص485-486.

⁴ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص67.

⁵ شيخ علم من قرية إيجناون بجبل نفوسة يعدُّ أول من رحل إلى المشرق للتعليم، تلقى العلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، قبل حملة العلم الخمسة. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2000، ج2، ص385-386.

⁶ أبو العباس أحمد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، تونس، 2009، ج2، ص270.

المغرب في زمن مبكر، كأبي إسحاق إبراهيم المصري، وعيسى بن علقمة المصري¹ (ط3: 100-150هـ/718-767م) وإن كنا نرى أنَّ هذه الإرهاصات لتسرب المذهب الإباضي لا تُعد إلا تفاعلا مع الأحداث التي تجري في المشرق، فمن الطبيعي أن تنتقل الأفكار بشكل عفوي مع الجند، أو التجار، أو بأي طريقة أخرى، وقد تلقى هذه الأفكار استجابة من بعض طلبة العلم والفقهاء، غير أنَّ النشاط الدعوي في صفته الرسمية، وذا الأهداف الواضحة الجلية للمذهب الإباضي في بلاد المغرب، لم يأت إلا مع شخصية سلامة بن سعيد الذي قدم إلى بلاد المغرب على ظهر بعير ونزل بالقيروان واضح الهدف والرؤية، وهو الدعوة إلى المذهب الإباضي في بلاد المغرب، وكان سلامة متحمسا أشد الحماس لمهمته هذه، إذ كان يقول: "وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوما واحدا من أول النهار إلى آخره، فلا آسف على الحياة بعده"².

ثانيا: الدعوة الإباضية في بلادي المغرب الأدنى والأوسط (المجال والقبيلة)

1- المجال الجغرافي للمغربين الأوسط والأدنى:

عُرف مصطلح المغرب بشكل عام عند سكان مصر من المسلمين الذين كانوا يطلقون الجهة التي على أيماهم إذا ما قابلوا الجنوب مغربا، ويسمون الجهة التي على شمالهم مَشرقا³، فيما تبلورت دلالة المغرب بشكل أكثر وضوحا باعتباره مجالا حيزيا مع الدولة الأموية، التي عُرف عن العديد من خلفائها استعمال مصطلح إفريقية وبلاد المغرب كولاية يُكلف بإدارتها الولاة، فمعاوية بن أبي سفيان ولّى مسلمة بن مخلد

¹ من علماء مصر الإباضية وصاحب كتاب التوحيد الكبير، عرف عنه رفضه للقائلين بأن أسماء الله مخلوقة. ينظر أبو عمار عبد الكافي، الموجز، تح: عمار طالبي، موفم للنشر، (د.ط)، الجزائر 2003، ج2، ص189.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص11-12.

³ شهاب الدين البغدادي، معجم البلدان، دار صادر (د.ط)، بيروت 1977، مج1، ص54.

الأنصاري ولاية مصر والمغرب كله¹ وجاء على لسان الخليفة سليمان بن عبد الملك عندما أراد تولية محمد بن يزيد القرشي إفريقية والمغرب " قم فيما وليتك بالحق والعدل، وقد وليتك إفريقية والمغرب كله"² ويتضح جليا من خلال ما سبق أنّ مصطلح المغرب قصد به الأراضي التي تلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي، ومع القرن الخامس الهجري (11م)، دعت الضرورة والحاجة المسلمين إلى التمييز بين أقاليم بلاد المغرب، فظهر التقسيم المتعارف عليه وهو: المغرب الأوسط الذي يمثل بلاد الجزائر في الوقت الحالي، والمغرب الأقصى، والمقصود به ما يلي بلاد المغرب الأوسط إلى ناحية الغرب، فيما كان المغرب الأدنى مصطلحا أكثر حداثة³.

وكانت الحدود الغربية لبلاد المغرب أكثر وضوحا واتفاقا من تلك الشرقية التي اختلف الجغرافيون والرحالة والباحثون في تمييزها، إذ شرع اليعقوبي (ت:284هـ) في ذكر مدن بلاد المغرب من برقة، ثم سرت، ثم ودّان... إلى فزان⁴ ومنه نستنتج أن بلاد برقة تعد حدا شرقيا لبلاد المغرب، فيما يرى ابن حوقل (ت:380هـ) أنّ الحدود الشرقية تمتد إلى غاية الإسكندرية في مصر في قوله " وأما المغرب فبعضه ممتد ... وأما الغربي فمن مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة... مقبلا على أرض طرابلس وبرقة إلى الإسكندرية"⁵ ويصف البكري (ت:487هـ) مجال بلاد المغرب "وحد إفريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا، واسم طنجة موريطانية وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من

¹ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان، ليفقي بروفينسال، دار الثقافة، 3ط، بيروت 1983، ج1، ص21.

² ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص47.

³ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، المعارف للنشر (د.ط)، مصر 1993، ج1، ص69-70.

⁴ أحمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية (د.ط)، لبنان، (د.ت) ص180.

⁵ أبي القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، ط2، لندن، 1968، ج1، ص64-65.

الغرب إلى الشرق"¹ وعليه، فإن البكري يعتبر برقة حدا شرقيا لبلاد المغرب والمحيط الأطلسي حدا غربيا له، وذهب القزويني (ت:682هـ) إلى نفس الطرح من أن بلاد المغرب تمتد من برقة إلى المحيط "بلاد واسعة من برقة إلى آخر بلاد المغرب والبحر المحيط، سكانها أمة عظيمة"².

وكان ابن خلدون من بين المؤرخين الذين وصفوا بدقة مجال بلاد المغرب من الاتجاهات الأربعة وصفا دقيقا، فرأى أن الحد الغربي كان البحر المحيط، وحده من جهة الجنوب والقبلة الرمال الواقعة بين بلاد السودان والبربر، وأما حده الشمالي فبحر الروم وهو البحر الأبيض المتوسط حاليا، إلا أنه وقف عند حدوده الشرقية وأشار إلى أنها محل اختلاف بين من يجعلها تضم مصر وبرقة، ويضيف أن المتعارف عليه في وقته هو أنها عند طرابلس "إن المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار، فحده من جهة المغرب بحر المحيط (الأطلسي) ... وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وآزمور وأنفى وأسفى ... وأما حدّه من جهة القبلة والجنوب فالرمال الملتهبة المائلة حاجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر ... وأما حدّه من جهة الشمال فالبحر الرومي (المتوسط) والمتفرّع من البحر المحيط ... وأما حدّه من جهة الشرق فيختلف باختلاف الاصطلاحات فعرف أهل الجغرافيا أنّه بحر القلزم (الأحمر) ويدخل فيه إقليم مصر وبرقة ... وأما العرف الجاري في هذا العهد بين سكان هذه الأقاليم، فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة وإنّما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب، وهذا الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم"³.

¹ أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2003، ج2، ص193.

² زكرياء بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (د.ط) بيروت (د.ت)، ص163.

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص128.

مما سبق يتضح أنّ الشائع هو أنّ الحدود الشرقية لبلاد المغرب هي مدينة برقة، فيما كان البحر المحيط حدها الغربي، إلا أننا نجد من الروايات من يمد الحدود الشرقية إلى الإسكندرية، أو يقلصها إلى طرابلس.

المجال الجغرافي للمغرب الأدنى:

ابتداءً من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي استعمل الجغرافيون لفظ المغرب الأقصى على المناطق البعيدة باتجاه المحيط، وعليه صار هناك تسميتان: مغرب أقصى وعاصمته السياسية مدينة مراكش، ومغرب أوسط وهو ما يعادل بلاد الجزائر حالياً، وصار واد ملوية¹ حداً فاصلاً بين المغربين، مع عدم وجود فواصل باتجاه الجنوب، وهكذا انقسمت بلاد المغرب إلى ثلاثة أقاليم، وفي بداية الأمر احتفظ اثنان منهما بمصطلح المغرب هما الأوسط والأقصى، فيما حافظت الأجزاء الشرقية من بلاد المغرب باسمها القديم وهو إفريقية، وأحياناً بلاد القيروان، ولما كان المغرب الأوسط مغرباً لإفريقية ومشرقاً للمغرب الأقصى، صارت المنطقة الأخيرة مغرباً لما دونها يسمى المغرب الأدنى²، أما اسم إفريقية فقد دل على مدلول خاص، وهو ولاية إفريقية الرومانية القديمة الأصلية، أي الجزء الشمالي من البلاد التونسية الحالية³.

ولبلاد المغرب الأدنى مجالات وأقاليم أولها من جهة الشرق برقة التي كانت خاضعة لمصر منذ زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، حيث تم إلحاقها بمصر سنة 148هـ/765م حسب رواية الكندي الذي يقول "وضم يزيد بن حاتم برقة إلى عمل مصر، وهو أول

¹ واد كبير ينبع من جبال قبلية تازي بالمغرب الأقصى ويصب في البحر المتوسط. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص133.

² سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج1، ص70.

³ نفسه، ص67.

من ضمها إليه وأمر عليها عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة سنة ثمان وأربعين ومائة¹ وفي السياق نفسه، نجد الاصطخري يصف برقة بالقول: "فأما برقة فإنها مدينة وسطية ... وقد كان يخرج إليها عامل من مصر إلى أن ظهر المهدي عبيد الله المستولي على المغرب، فاستولى عليها وأزال عمال مصر، وأما طرابلس المغرب فهي من عمل إفريقية² ويتضح لنا أن برقة وطرابلس كانتا إقليمين منفصلين، وشكلت مدينة تورغة التي تبعد عن طرابلس ست مراحل حدا فاصلا بين الإقليمين وهو ما ذكره اليعقوبي "ومن آخر عمل برقة من الموضع الذي يقال له: تورغة إلى طرابلس ست مراحل"³.

وطرابلس إقليم متصل بجبل نفوسة⁴ وجبل نفوسة يحيط بمدينة طرابلس كالهلال، ويحتوي على عديد من القرى والبلدات، كجادو، وكاباو⁵ بالإضافة إلى مدن نالوت، وفسطاو، ويفرن، وغريان، وترهونة، ومسلاتة⁶ وسبب موقع جبل نفوسة ضيق إقليم طرابلس، وعليه سميت المناطق الساحلية من طرابلس بـ "الجفارة" والأقاليم الداخلية المرتفعة بـ "الجبل" ويبلغ طول الجبل حوالي مائتي كلم، ويلتقي في جزئه المركزي بسلاسل جبلية أخرى، ويبعد جبل نفوسة عن صفاقس بسبع مراحل، وعن قسنطينة بست مراحل، وعن جبل دمر⁷ بثلاث مراحل، وعن غدامس بمسيرة سبعة أيام، وعن قفصة بحوالي ستة أيام⁸.

¹ أبي عمر محمد بن يوسف الكندي، الولاية وكتاب القضاة، تح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1908، ص111

² أبي إسحاق إبراهيم الاصطخري، كتاب صورة الأقاليم، مكتبة ليدن (د.ط)، (د.ب)، 1870، ص38.

³ اليعقوبي، البلدان، ص184.

⁴ نفسه، ص185.

⁵ جون ديبوا، جغرافيا جبل نفوسة، تر: عبد الله زارو، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، (د.ب) 2005، ص31.

⁶ مسعود مزهودي، جبل نفوسة منذ انتشار الاسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (21-442هـ/642-1053م)، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، (د.ب)، 2003، ص22.

⁷ جبل يقع بالجنوب التونسي. ينظر: مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص357.

⁸ مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص21-22. ينظر: الملحق رقم: 01

أما إقليم إفريقية فيمتد من شرق مدينة قابس جنوبا وساحل تونس الشرقي إلى طبرقة في اتجاه الغرب، وهو ما يمثل تونس في الوقت الحالي، ما عدا الصحراء التونسية¹.

ويشكل إقليم الجريد أحد أقاليم المغرب الأدنى، ويشمل هذا الإقليم توزر وضواحيها، وأيضا قنطرار، والحامة، سدادة، وتقيوس، ويوجد الجريد في سهل مستطيل بين ما يعرف بشط الجريد، أو ما يعرف بـ "سبخة تاكمرت" وشط الغرسة، ويتمثل إقليم الجريد في مجموع الواحات التي يسميها الإباضية بالقصور وكذلك عرف ببلاد قسطيلية².

المجال الجغرافي للمغرب الأوسط:

استعمل مصطلح المغرب الأوسط للإشارة إلى الأراضي الواقعة بين المغربين الأدنى والأقصى، ويمثل وادي ملوية الحد الطبيعي الفاصل بين المغربين الأقصى والأوسط وفي ذلك يذكر ابن خلدون "وأما نهر ملوية آخر المغرب الأقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازي ويصب في البحر الروماني عند غساسة، وعليه كانت ديار مكناسة المعروفة بهم في القديم"³ فيما يروي صاحب الاستبصار "وآخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب بلاد تازا، وهي جبال عظيمة حصينة"⁴.

وإن كانت الحدود الغربية للمغرب الأوسط قد ضبطت بحد طبيعي هو نهر ملوية فإن معالم حدوده الشرقية افتقرت إلى فاصل طبيعي، واعتُمد التمييز بينها على آراء الرحالة والجغرافيين، وكذا التجاذبات السياسية ونفوذ القوى، وهذا ما يفسر الاختلافات الكبيرة في تحديد حدود المغرب الأوسط الشرقية، فالبكري يعد مدينة تلمسان قاعدة للمغرب الأوسط

¹ محمد علي ديبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوليت، (د.ط.)، (د.ب.) 2010، ج1، ص13.

² صالح باحية، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر، ط1، تونس 1976، ص6-7. ينظر الملحق رقم: 02

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص133.

⁴ المراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، (د.ط.)، (د.ب.)، دار البيضاء 1985، ص179.

بقوله "وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ... وهي دار مملكة زناتة¹ وموسطة قبائل البربر"² غير أن الإدريسي في القرن السادس هجري يذكر أن مدينة بجاية "هي مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد ... وأهلها يجالسون تجار بلاد المغرب الأقصى وتجار حراء"³.

وما نلاحظه من النصوص أن الفصل بين المغربين الأوسط والأدنى يخضع لعوامل سياسية وإدارية، أكثر من خضوعه إلى معايير منطقية جغرافية لغياب فاصل طبيعي، لذلك لعبت التجاذبات السياسية وتغير مراكز النفوذ دورا في الاختلافات في تحديد هذا المجال.

كما أن الكتابات عن الفاصل بين مجال المغربين وعلى اختلافاتها كانت مرتكزة على القسم الشمالي منه، فيما بقيت المناطق الجنوبية مفتوحة، ومن هذا المنطلق ونظرا لأن جزءا كبيرا من المجال الجغرافي لدراستنا يمس مناطق واحة جنوبية كانت بعيدة عن تقسيم مجالي واضح بين المغربين الأوسط والأدنى، كانت بلاد المغرب الأوسط أقرب إلى حدود بلاد الجزائر الحالية وفي ذلك يذكر سعد زغلول "... وبذلك أصبح هناك مغربان: مغرب أو مغرب أقصى... ومغرب أوسط وهو الذي يعادل بلاد الجزائر حاليا... وذلك رغم عدم وجود حدود أو فواصل في الجنوب"⁴. وشكلت مناطق واسعة من المغرب الأوسط مجالا لمعتنقي المذهب الإباضي كإقليم جبل أوراس والزاب، وإقليم أريغ، ووارجلان، وأسوف، وتاهرت⁵.

¹ من القبائل البربرية التي لعبت دورا بارزا في تاريخ بلاد المغرب، فقد كانوا أول البربر إسلاما، وشاركوا في فتح الأندلس. ينظر: بوزيانى الدراجي، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، (د.ط)، الجزائر 2007، ج1، ص119.

² البكري، المسالك والممالك، ج2، ص259.

³ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط) القاهرة 2002، ج1، ص260.

⁴ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، ج1، ص69.

⁵ أنظر: الملحق: 03.

2- الوعاء البشري للدعوة الإباضية في بلاد المغرب

بالعودة إلى الحديث عن الدعوة الإباضية ببعدها القبلي، فقد سمح نزول ابن سعيد ونشاطه في القيروان بالاحتاق جماعات كبيرة بالمذهب الإباضي خاصة في منطقة طرابلس ولّي على رأسها عبد الله بن مسعود التجيبي¹ (ت: 127هـ/743م) مستعينا بدعم قبيلة هواره البربرية التي قطنت طرابلس وأجزاءها الشرقية حتى منطقة تاورغا² وبصورة أدق فإن مضارب قبيلة هواره التي ساندت عبد الله بن مسعود، كانت في تلك الفترة ممتدة من تاورغا³ غربا إلى فزان جنوبا وطرابلس غربا، من بين الحواضر التي سكنوها مسراطة التي تقع بين سرت في الشرق وزاوية المحبوب غربا، وكان أهلها يمارسون التجارة مع إقليم الجريد، وزنزور وهي قرية من قرى طرابلس أهلها من هواره، وكذلك لبدة وهي أقدم موطن لهواره وهي من إقليم طرابلس⁴.

أقلق تنامي القوة الإباضية بقيادة عبد الله بن مسعود الولاية الأمويين، خاصة أنه تلقب بالرئيس، فكاد له إلياس بن حبيب والي طرابلس وقتله سنة حوالي العام 127هـ/743م⁵ وقد أدى مقتل ابن مسعود إلى حالة غضب كبيرة في أوساط الإباضية الذين التقوا حول عبد الجبار بن قيس المرادي⁶، والحارث بن تليد الحضرمي¹ (توفيا: 131هـ/748-749م)، وقد

¹ أحد مشايخ الإباضية الأوائل ببلاد المغرب، روي أنه أخذ العلم عن جابر بن زيد، وأيضا ذكر أنه تلقى العلم علي يدي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حاول أن يؤسس أول دولة إباضية بالمغرب عام 122هـ، إلا أن إلياس بن حبيب والي طرابلس أفشل مبادرته هذه، وقتله سنة 126هـ/743م. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج1، ص277.

² تاديوش ليفتسكي، دراسات شمال إفريقية، تر: أحمد بومزكو، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، (د.ب)، 2006، ج2، ص44.

³ مدينة في ليبيا لاتزال تحتفظ بالاسم نفسه تقع شرق طرابلس وتبعد عنها بحوالي 240 كلم.

⁴ عمر تاوليت، هواره ودورها في تاريخ المغرب منذ بداية حركة الخوارج: أواخر القرن 1هـ-7م حتى انتهاء ثورة أبي يزيد مغل بن كيداد 335هـ-946م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص19-20.

⁵ عوض خلفات، نشأة الحركة الإباضية، مطبعة دار الشعب (د.ط)، عمان، 1978، ص138.

⁶ من قادة الإباضية، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، شارك في ثورة أبي حمزة الشاري، كما شارك في الثورة إلى جانب الحارث بن تليد وقتل معه. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص243.

كانا مدعومين من قبيلة هواة بشكل أساسي نظرا لأنهما من صميمها، وكذلك فقد تمكنا من ضم مناطق نفوذ قبيلة زناتة بطرابلس لنفوذهما².

وبدخول قبيلة زناتة طرابلس إلى الحركة الإباضية اكتسب الإباضيون قوة، وبدافع الغضب لمقتل رئيسهم راحوا يحاصرون قادة الأمويين في أحواز طرابلس، فحاصروا حميد بن عبد الله في قرى طرابلس، واستولى عبد الجبار على أرض زناتة، وبعد مواجهتهم لقوات الأمويين بأرض هواة تمكنوا من ردعهم، ثم تواجهوا معهم مرة أخرى سنة 131هـ/748م، وبهذا استولى عبد الجبار والحارث على طرابلس كلها، غير أنهما قتلا في ظروف غامضة³.

ويظهر أن قبيلة نفوسة قد مستها الدعوة الإباضية مبكرا، وانخرطت في خط الثورات الإباضية، فبعد مقتل الحارث وعبد الجبار، اختارت قبيلة نفوسة إسماعيل بن زياد النفوسي⁴ (قتل في: 140هـ / 757م) إماما عليها، وبدأ إسماعيل ثورته بالاستيلاء على قابس سنة 132هـ/751م لكن عبد الرحمن بين حبيب والي الأمويين خرج إليه وتمكن جنده من قتله، كما أسر الجند الأمويون العديد من الإباضية، وقصدوا بهم طرابلس التي حصّنها بسور لصد هجمات الإباضيين⁵.

¹ أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، اشترك في ثورة أبي حمزة الشاري في المشرق، بايعته القبائل البربرية إماما وقائدا للثورة، قتل في ظروف غامضة سنة 131هـ. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص119.

² تاديوش ليفتسكي، دراسات شمال إفريقية، تر: أحمد بومزكو، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان 2008، ص108. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط) الجزائر 1985، ص93.

³ محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، ص93-94.

⁴ من أئمة الإباضية بالمغرب، بويج بإمامة الدفاع بطرابلس سنة 131 أو 132 هـ / 748 أو 749م. وذلك بعد قتل بعد قتل الحارث بن تليد، وعبد الجبار ابن قيس المرادي، وكان له أتباع كثر فقرر الثورة ونجح في دخول طرابلس، غير أنه قتل. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص56.

⁵ محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، ط2، المغرب، 1985 ص84-85.

وبالحديث عن المجال البشري الذي مسته الدعوة الإباضية إلى غاية سنة 132هـ/751م فإنها تركزت بشكل كبير على مجال طرابلس، وجبل نفوسة وأجزاء من الجريد، وهذا نظرا لمجال قبائل هواره، ونفوسة، وزناتة طرابلس البربرية التي قطنت هذه المناطق.¹

وسلك الإباضية بعد هذا نوعا جديدا من الحشد والإعداد، يعتمد على التكوين العلمي، حيث تروي المصادر الإباضية ظهور مجموعة عرفوا بحملة العلم، رحلوا إلى البصرة لتلقي العلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهم: أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري² (ت: 144هـ/761م)، وعبد الرحمن بن رستم الفارسي³ (حكم: 160هـ- 171م/777-788م)، وعاصم السدراتي⁴ (ت: 141هـ/758م)، واسماعيل بن درار الغدامسي⁵ (حي في: 211هـ / 826م)، وأبو داود القبلي⁶ النفزاوي⁷ (حي في: 140هـ /

1 ينظر الملحق رقم: 04

² من العلماء الخمس الذين أخذوا العلم على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، عين إماما، وتمكن من تحقيق ملك واسع وتأسيس دولته التي امتدت من برقة إلى القيروان، وبعد أربعة سنوات من هذا الإنجاز أرسل له الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور جيشا لم يصمد أمامه فقتل سنة 144هـ/761م. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص242.

³ من بين أعلام الإباضية في بلاد المغرب، ولد في العراق في أسرة تعود جذورها إلى الأكاسرة ملوك الفرس، ثم انتقل رفقة عائلته إلى الحجاز، وبعدها توفي والده ورحل إلى القيروان رفقة أمه وزوجها الجديد إلى المغرب، ومن القيروان تعرف عبد الرحمن على المذهب الإباضي، وسافر رفقة حملة العلم للنهل من منابعه، وبعد عودته بمدة عين واليا وقاضيا على القيروان في دولة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح، وبعد فشل ثورة أبي الخطاب انتقل موضع تيهرت وأسسها، وأسس بذلك دولة على المذهب الإباضي سميت بالدولة الرستمية. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص246-247.

⁴ من مشاهير علماء المغرب، وهو أحد حملة العلم الخمسة، سافر للتعليم على يد أبي عبيدة مسلم، وبعد عودته حمل لواء التعليم والدعوة، فساهم في تفقيح الناس وتعليمهم أمور دينهم، كان ينتقل بين البوادي والقرى في جبل نفوسة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص239.

⁵ من بين المسافرين في البعثة العلمية إلى العراق، اهتم بعد عودته إلى بلاد المغرب بالقضاء، وتأدية رسالة التعليم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص55-56.

⁶ أحد كبار الأعلام، أصله من نفزاوة بطرابلس، أخذ العلم عن سلمة بن سعد ثم انطلق إلى العراق رفقة عبد الرحمن بن رستم لتلقي العلوم عند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فكان أحد حملة العلم الخمسة، وفور رجوعه إلى بلاد المغرب اعتزل السياسة واهتم بالتدريس. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص139.

⁷ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص16

757م) وبقراءة لهذه الأسماء يتضح أن صدى الدعوة الإباضية كان يمتد عبر مجالي المغرب الأدنى والأوسط، فأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح كان من عرب اليمن، وعبد الرحمن بن رستم كان فارسياً، وكان مقيماً بالقيروان، وعاصم السدراتي من قبيلة سدراتة بنواحي الأوراس وورجلان، وإسماعيل بن درار¹ (حي في: 211هـ/826م) من غدامس جنوب طرابلس، وأبو داود القبلي النفزاوي من نفزة جنوب إفريقية، وكان تواصلهم ودراستهم جنبا إلى جنب بالبصرة على يد أبي عبيدة مؤسساً للدعوة وللحركة الإباضية التي سيشهدها مجال المغرب الأوسط والأدنى².

ونقف هنا في قراءة جديدة لمجال الدعوة الإباضية بعد فشل الثورات التي قادتها هواره ونفوسة، وزناتة طرابلس، والتي امتدت بين منطقة طرابلس وقابس بشكل أساسي، لتحمل لنا هذه البعثة مؤشراً إلى انضمام قبائل جديدة إلى هذه الحركة، وإن لم تذكر المصادر اشتراكها في ثورة التجيبي ولا ثورة الحارث وعبد الجبار، إلا أن تكوين هذه النخبة العلمية يحمل دلالة اعتناق قبائل بربرية في مجالات نفزاوة³ وسدراتة وخدامس للمذهب الإباضي، كما أننا لا نرى أن التنوع الذي حملته تشكيلة هذه البعثة العلمية كان بمحض الصدفة، إذ يظهر أنه كان أشبه بحلف جمع القبائل البربرية.

¹ من بين المسافرين في البعثة العلمية إلى العراق، اهتم بعد عودته إلى بلاد المغرب بالقضاء، وتأدية رسالة التعليم.

ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص55-56.

² نفسه، ج2، ص ص 242-246-267-239-55-139.

³ منطقة تقع في الجنوب التونسي. ينظر: عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، نشر جمعية التراث، (د.ط) الجزائر، ص44.

المبحث الثاني: الخارطة المذهبية للإباضية في بلاد المغرب في طور تكوين الملك.

أولاً: إمارة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري.

بعد أن أنهى حملة العلم الخمسة تعليمهم بالمشرق، قرروا العودة إلى بلاد المغرب حاملين إرادة الثورة ونية تأسيس دولة، وهو ما يستشف من حديثهم إلى أبي مسلم قبيل مغادرتهم بقولهم: " يا شيخنا أرايت أن لو كان لنا قوة بالمغرب ووجدنا في أنفسنا طاقة أفنولي علينا رجلا منا؟ فقال لهم أبو عبيدة توجهوا إلى بلادكم، فإن يكن في أهل دعوتكم من العدد والعدة ما تجب معه التولية عليكم فولوا على أنفسكم رجلا منكم، فإن أبي فاقتلوه، وأشار إلى أبي الخطاب"¹ وبعد عودة حملة العلم الخمسة، استقروا بنواحي جبل نفوسة، وأدى نشاطهم هناك إلى تكوين جيل جديد من تلاميذ حملة العلم كان لهم أثر كبير في نشر المذهب الإباضي بين البربر خاصة من أبرزهم: أبو خليل الدركلي النفوسي²(ق: 3هـ/9م) ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم³(حكم: 171هـ-208هـ/778-823م)، محمد بن يانس⁴ (ق: 3هـ/9م)، عمر بن يمكتن الذي تمكن من إنشاء أول مدرسة لتعليم وتفسير القرآن في جبل نفوسة حوالي العام 140هـ/757م بمدينة إفطامن بجبل نفوسة⁵.

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص21.

² من علماء مدينة إدركل بجبل نفوسة، أخذ العلم عن حملة العلم الخمسة تتلمذ على يديه عدة مشايخ منهم أبان بن وسيم، وعرف بكراماته العديدة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص224.

³ هو ثاني الأئمة الرسميين، يكنى بأبي الوارث تعلم بالقيروان ثم بتيهت عن أبيه عبد الرحمن بن رستم، كان معاصرا للربيع بن حبيب إمام الإباضية بالبصرة، عقد حلقات علم بتيهت وجبل نفوسة، وتخرج على يديه العديد من الطلبة. قضى سبع سنوات في جبل نفوسة يلقي العضاة، ترك كتاب عرف ب "مسائل نفوسة" بلغت الدولة الرستمية في عهده تطورا وازدهارا حضاريا، شهد عهده انقسام الإباضية إلى فرق متعددة، واجه المعتزلة وتمكن من القضاء على حركتهم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص283.

⁴ من العلماء الذين عرف عنهم الصلاح والورع، كان يخدم العلماء الذين أوفدتهم نفوسة للإمامة في تيهت، كان شديدا في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص296-297.

⁵ كوردي محمود حسين، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي (ق2-8هـ)، دار الكتب، (د.ط) ليبيا، 2008، ص85.

وبعد أن لمس الإباضية في أنفسهم قوة قرروا الخروج من الكتمان، ومبايعة إمام لهم فاجتمع أهل النظر من شيوخهم عند مكان يدعى صياد غرب طرابلس، واتفقوا على تولية أبي الخطاب المعافري، وكان اجتماعهم سرا حيث ادعوا أنهم جاؤوا لمسألة تتعلق بفض نزاع بين رجل وامرأة اختصما¹ وكانت بيعته سنة 140هـ/757م².

وفور مبايعة تحرك أبو الخطاب نحو طرابلس فاستولى عليها وطردها محمد بن علي بن عبد الله، ومكث فيها زمنا نظم فيه شؤون البلد فأحسن السيرة وعدل بين الناس، كما استولى على جربة، وجبل دمر وقابس، ومعظم بلاد المغرب الأدنى³، وخلال هذه الفترة كان الصفرية قد استولوا على القيروان، وعاثوا فيها فسادا ما ألب الساكنة عليهم، فدفع ذلك أبو الخطاب إلى التفكير في الاستيلاء عليها فحرك جنده نحوها⁴.

ويظهر من خلال إذن أبي الخطاب لجموع جنودهم بالرجوع وعدم التقدم للقيروان لمن له عذر أن الإباضية كانوا ذوي حماس شديد في نشر مذهبهم، ومد مجال نفوذهم وذلك بالحفاظ على تكوين الجيش ممن لديهم نية قوية للقتال والزحف، فبعد وصول جند الإباضية إلى القيروان شرعوا في فرض حصار عليها، وأثناء الحصار تم تسميم عاصم السدراتي وقتله، ما أثر كثيرا في أبي الخطاب، الذي زاد إصراره على دخول القيروان، وكاد لهم عبر إظهار الانسحاب ثم الانقضاض على جنود ورفجومة⁵ بقيادة عبد الملك بن الجعد الذي قتل في المعركة واستولى الإباضية على القيروان سنة 141هـ/758م⁶.

¹ الشماخي، السير، ج2، ص247.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص26.

³ الشماخي، السير، ج2، ص248. سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، ط1، لندن، 2005، ص41.

⁴ محمد عيسى الحريزي، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، دار القلم، ط3، الكويت، 1987م، ص68.

⁵ قبيلة من قبائل نفزاوة. ينظر: بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج1، ص382.

⁶ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص251-252.

⁶ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص26.

بعد ضم القيروان ولى عليها أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم، وساهم ابن رستم في تنظيم شؤون الإباضية بإفريقية، عبر استعمال العمال على مدائنهم ونواحيها، أما أبو الخطاب فعاد إلى ناحية طرابلس بالمغرب الأدنى لحماية ظهر إقليم نفوذه من جند العباسيين وهجماتهم، فقد أقبل جيش بقيادة العوام بن عبد العزيز البلجي، فخرج إليه أبو الخطاب إلى ورداسة¹، وسيّر منها جيشاً بقيادة مالك بن سحران الهواري، والتقى الجيشان في معركة بأرض سرت انتصر على إثرها الإباضيون، كما أقبل أبو الأحوص عمر بن الأحوص العجلي بجيش آخر التقى على إثره أبو الخطاب بمغدامس من أرض سرت وهزمه².

خلال هذه الفترة امتد نفوذ الإباضية عبر كامل تراب المغرب الأدنى، وسيطروا سيطرة كاملة على حواضره فكانت إفريقية تحت إدارة عبد الرحمن بن رستم الفارسي، وكانت منطقة طرابلس وجبل نفوسة تحت قيادة أبي الخطاب المعافري، وكلاهما من حملة العلم، وفي الوقت الذي كانت فيه إفريقية تشهد تثبيت المذهب الإباضي عبر التنظيم والتسيير الذي شرع فيه أبو الخطاب عبر إقراره لمبدأ العدالة وحفظ الحرمات من أعراض الناس وأموالهم، وأتم عبد الرحمن بن رستم ولايته على إفريقية على السياسة ذاتها، كانت منطقة نفوسة ذرعا واقيا في مواجهة الهجمات المتكررة للجيوش المسيرة من قبل العباسيين³. وينبغي الإشارة إلى أن الدلائل تشير إلى دخول المذهب الإباضي بشكل مبكر إلى المغرب الأوسط عن طريق عاصم السدراتي الذي سافر إلى جنوب المغرب الأوسط بعد عودته من البصرة وعمل على نشر مذهبه بين أبناء قبيلته⁴.

¹ تعرف الآن بقداس، وتقع غرب مدينة تاورغا بليبيا. ينظر، صالح معيوف: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية (من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري)، منشورات مؤسسة تاولت الثقافية، (د.ط)، (د.ب) 2006، ص96.

² الشماخي، السير، ج2، ص253.

³ عوض خلفات، نشأة الحركة الإباضية، ص151.

⁴ مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص75 ينظر: الملحق رقم: 05

إن النفوذ الإباضي على المغرب الأدنى لم يعمر طويلاً إذ جهز العباسيون جيشاً قوياً بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي، وضم جيش الأشعث عدد من وجهاء العرب من أمثال الأغلب بن سالم التميمي، والمحارب بن هلال، والمخارق بن الغفار الطائي، وما إن جاز ابن الأشعث حدود مصر أرسل الجواسيس لتتبع حال أبي الخطاب فظهر له ما يمتلك من قوة لا طاقة له عليها فلجأ إلى حيلة وهي التظاهر بالانسحاب والرجوع، فظن الإباضية أن ابن الأشعث خشي لقاءهم وألحوا على أبي الخطاب في أن يسمح لهم بالانصراف في شؤونهم إلى أن سمح لهم وتفرقت بذلك قوتهم، فباغتهم ابن الأشعث، وتمكن من هزيمة جيش الإباضية وجنودهم من نفوسة وهوارة وطريشة¹ وقتل إمامهم أبي الخطاب² حوالي العام 144هـ/765³، أما عبد الرحمن بن رستم والي أبي الخطاب على القيروان وإفريقية فلم يسعفه الوقت في أن يلحق بأبي الخطاب ووصله خبر انهزامه ومقتله وهو في قابس⁴.

ثانياً: قيام الدولة الرستمية.

كان مقتل أبي الخطاب واقتراق الإباضية بمنطقة نفوسة سبب في تخلخل نظام الإمامة الرستمية فبعد أن ذاع خبر انهزام الإباضية على يد قوات ابن الأشعث ثار أهل قابس على والي أبي الخطاب، كما ثارت القيروان على عامله بها وعينوا عمر بن عثمان القرشي، إلى أن دخلها ابن الأشعث سنة 146هـ/763م⁵، أما عبد الرحمن بن رستم فقد خرج متخفياً وجاوز حدود إفريقية إلى المغرب الأوسط، ويبدو أن انتشار المذهب الإباضي كان سابق العهد في هذه المنطقة، وأن عبد الرحمن بن رستم كان له دور في ذلك، فأثناء تواجده في القيروان كان المغرب الأوسط ضمن اهتماماته فكان ينشر المذهب الإباضي به واستطاع أن

¹ قبيلة بربرية قطنت أحواز طرابلس. ينظر: تاديوش ليفتسكي، دراسات شمال إفريقية، مكتبة الضامري، ص118-119.

² الشماخي، السير، ج2، ص254-256.

³ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص150.

⁴ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص35.

⁵ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص72.

يضع له موضع قدم عبر ضم الكثير من الأتباع، فكان المغرب الأوسط في نظر ابن رستم امتدادا لمجال الإباضية ولدولة أبي الخطاب، وما يؤكد هذا؛ التحالف المتين الذي نشأ بينه وقبيلة لماية البترية التي كانت تسكن العديد من مجالات هذا الإقليم¹.

وأسهبت المصادر الإباضية في ذكر رحلة عبد الرحمن بن رستم والمشاق والبطولات التي واجهته في رحلته، فبعد خروجه من إفريقية رافقة ابنه عبد الوهاب وتوجها نحو جبل سوف أجج² وتظهر الطريق التي سلكها عبد الرحمن بن رستم مدى انتشار المذهب الإباضي في المغرب الأوسط، فقد سلك الطريق الجنوبية المارة بقسطيلية عبر جنوب نفطة مخترقا أسوف (وادي سوف) ومتوجها إلى الغرب مخترقا أريغ ووادي ميزاب وصولا إلى غرب الأغواط مارا عبر جبال بني راشد غرب وادي الشلف، إلى جبل سوف أجج ذو المناعة الكبيرة الواقع جنوب غرب تيهرت، وكانت هذه المنطقة موطن لقبائل لماية ولواتة وهوارة المعنقة للمذهب الإباضي³، ورغم أن قبيلة هوارة سابقة العهد في التحرك الميداني لخدمة المذهب الإباضي، وإن كانت هذه المرة في مضاربها بالمغرب الأوسط، فإن هذه المرحلة حملت دورا كبيرا لقبيلتي لماية ولواتة، فلماية كما يقول ابن خلدون "ولماية وهي بكن وقسم من ولد فاتن بن تامصيت بن ضرى بن زحيك بن مادغيس الأبر، فهي قبيلة بترية وللماية بطون كثيرة منها مزيرة ومليزة وغيرها، وكننوا ظواغن بإفريقية والمغرب، وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط مستوطنين بسحومة مما يلي الصحراء، وهو قبيلة تاهرت وجنوبها، وقد أخذوا برأي الإباضية ودانوا به وانتحلوه، وانتحله جيرانهم من مواطنهم تلك من لواتة وهوارة"⁴ وعليه فإن ابن رستم قصد قبيلة لماية لمناعة موطنهم بالمغرب الأوسط، وكذلك لسابق اعتناقهم للمذهب الإباضي على ما يبدو، فلماية كانت مقيمة بجربة أيضا، وإن

¹ محمد عيسى الحري، الدولة الرستمية، ص 83.

² أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تح: عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، تونس 1986، ص 76.

³ محمد عيسى الحري، الدولة الرستمية، ص 86.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 120.

كان أغلبيتهم مقيمين بالمغرب الأوسط، وأيضا يظهر من نص ابن خلدون أنهم أسبق إلى اعتناق المذهب الإباضي من جيرانها بالمغرب الأوسط¹.

وفور وصول عبد الرحمن بن رستم قدم له ستون شيخا من مشايخ الإباضية من طرابلس ونصبوه إماما للدفاع 144هـ/761م، ودفع تحرك الإباضية هذا ابن الأشعث إلى تسيير جيش فشل أمام صمود الإباضيين ومناعة الجبل².

وفي نواحي طرابلس بالمغرب الأدنى اجتمع الإباضية ونصبوا أبا حاتم الملزوزي إماما للدفاع سنة 145هـ/762م³، وكان دافع تحرك الإباضية في المغربين الأدنى والأوسط تطويق جند العباسيين، ونصبوا في سبيل ذلك إمامين للدفاع هما عبد الرحمن بن رستم في المغرب الأوسط، وأبو حاتم الملزوزي في المغرب الأدنى، ففقه الإباضية يجعل من تنصيب إمامين للدفاع أمرا جائزا إذا دعت الضرورة لذلك، كما لا يُستبعد أن يكون بين أبي حاتم وابن رستم نية مبيتة لإعلان الظهور مرة أخرى، ويظهر ذلك من خلال إرسال أبي حاتم الأموال لعبد الرحمن بن رستم⁴.

كان الإباضية في بلاد المغرب الأوسط بزعامة عبد الرحمن بن رستم على اتصال دائم بإخوانهم في بلاد المغرب الأدنى بقيادة أبي حاتم الملزوزي، ومن الدلائل التي تؤكد ذلك هو اشتراك إباضية المغرب الأوسط في حصار طنبنة 151هـ/768م⁵ بعد التحالف الذي جمع الإباضية بالصفرية، فبعد نفي ابن الأشعث من بلاد المغرب ومقتل خليفته الأغلب بن سالم التميمي والي العباسيين على المغرب، عين العباسيون واليا جديدا على بلاد المغرب هو عمر بن حفص الذي أراد بسط نفوذه على المغرب الأوسط فتوجه إلى طنبنة قاعدة إقليم

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص161.

² أبو زكرياء، السيرة وأخبار الأئمة، 61-62. محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص150.

³ أبو زكرياء، السيرة وأخبار الأئمة، ص78.

⁴ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص150.

⁵ سايح دين، الاتجاهات المذهبية...، ص73.

الزاب، وهو ما أقلق ابن رستم وإباضية المغرب الأوسط الذين اتصلوا بإباضية المغرب الأدنى في طرابلس وجنوب إفريقية، ونسقوا لقطع الطريق أمامه وما إن خرج عمر بن حفص إلى طبنة، حتى ثار الإباضية في إفريقية وقتلوا عامله على القيروان حبيب بن حبيب المهلب، وفي الوقت نفسه هجم أبو حاتم الملزوزي على عامل العباسيين على طرابلس وتقدم إلى القيروان لحصارها، وتوافدت جيوش كبيرة من الإباضية وكذا الصفرية على الزاب طالبين عمر بن حفص المتواجد في طبنة، غير أنه تمكن من مناورة هذه القوات وخداعها وتوجه للقاء عبد الرحمن بن رستم عند تاهودة وهزمه¹.

كانت هزيمة عبد الرحمن بن رستم في معركة تاهودة نقطة مهمة في تأسيس دولته فبعد رجوعه إلى منطقة سوف أجمع مكث مدة ينظم فيها أمور أتباعه على الأرجح، إلى أن قرروا بناء مدينة تأويهم وتكون حصنا لحمايتهم فوق اختيارهم على موضع مدينة تيهرت وشرعوا في اختطاط البيوت والقصور والمساجد، وأحاطوا كل ذلك بسور محكم حتى شاع تسميتها بقاعدة المغرب الأوسط وكان اختطاطها حوالي العام (156هـ/772م)².

وكانت القبائل الإباضية قد هاجرت من منطقة طرابلس وجنوب تونس إلى المغرب الأوسط في إشارة إلى أنهم قرروا إعلان إمامة الظهور من المغرب الأوسط³ ويذكر ابن الصغير المشاورات التي تمت لاختيار الإمام بقوله: " لما نزلت الإباضية مدينة تيهرت وأرادوا عمارتها اجتمع رؤسائهم فقالوا قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا، ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقيم فينا، فقلبوا أمرهم فيما بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر⁴ لكن تعدد

¹ محمد عيسى الحيري، الدولة الرستمية، ص 88-90.

² سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية، ص 51-53. إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، ط2، الجزائر 1993، ص 85-91.

³ تاديوش ليفنسكي، دراسات شمال إفريقية، مكتبة الضامري، ص 85.

⁴ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت، (د.ت) ص 25-26.

القبائل الإباضية حال دون اختيار إمام من أحدها خوفاً من أن يستبد بالأمر، أو أن تكون له عصبية تمنعه، فتم اقتراح عبد الرحمن بن رستم الفارسي لعدم وجود عصبية قبلية له فيكون أكثر عدلاً، وأسهل عزلاً إذا ما بدى منه ما يسوؤهم فبايعوه على السمع والطاعة إماماً للظهور حولي العام (160هـ/776م)¹.

بعد بيعه عبد الرحمن بن رستم تلقى التأييد والدعم من قبل إباضية البصرة الذين أرسلوا إليه ثلاثة جمال محملة بالمال فَرَّقَهَا ابن رستم على أصحابه بعد مشورة أهل الرأي، وبعدما رأى رُسل المشرق عدله والتفاف رعيته حوله قَدَّمُوا لهم بأحمال عشرة من الإبل، غير أنه ردها إليهم متحجّجاً بأنهم أحوج إليها لما هو مسلط عليهم من الظلم في بلادهم، كما أن ذلك يوحي بأن دولة عبد الرحمان الفتية شهدت اكتفاء مالياً، وساهمت أعمال عبد الرحمن بن رستم هذه، في أن يحوز ثقة الإباضية مشرقاً ومغرباً حتى صار كل إباضي يعترف بإمامته² وربما كان للإباضية طموح في دولة تجمع المشرق مع المغرب وهو ما يظهر في قول أهل البصرة " قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلاً، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلاً، فانهضوا إليه بما معكم من هذه الأموال حتى تردوا المدينة التي سكنها"³.

وتكون الدولة الرستمية بهذا قد وَحَّدت قبائل البربر التي تدين بالإباضية تحت راية واحدة بين بلادي المغرب الأوسط والأدنى، ويشير لنا نص اليعقوبي (284هـ) المعاصر للدولة الرستمية امتداد النفوذ الإباضي الرستمي على أجزاء واسعة انطلاقاً من قبيلة مزاتة التي قطنت سرت شرقي طرابلس، إلى زويلة قبلتها، وكذلك سيطر الإباضيون على أرض نفوسة التي يصفها بقوله: " أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن، إباضية كلهم، لهم رئيس يقال له إلياس، لا يخرجون عن أمره ... لا يؤدون خراجاً إلى سلطان ولا يعطون طاعة إلا

¹ ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص26-27. الشماخي، السير، ج2، ص 264-265.

² الشماخي، السير، ج2، ص266-267.

³ ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص28.

إلى رئيس لهم بتاهرت وهو رئيس الإباضية يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم¹.

وكذلك امتد النفوذ الإباضي إلى أغلب مناطق الجنوب التونسي ونستشف ذلك من نص ابن حوقل (367هـ) الذي قال: "فأما أهل قسطلية وقفصة ونفطة والحامة وسيطة وبشرى وأهل جبل نفوسة فشرارة إما إباضية... أو وهيبية"².

وعليه فإن سلطة الدولة الرستمية قد امتدت من سرت إلى زويلة، إلى جبل نفوسة وشط الجريد، وأيضاً إلى المغرب الأوسط كله تقريباً، ولم تكن سلطة الرستميين على هذه المناطق حكماً يمثلون الأئمة فحسب، بل حكماً يمثلون الرعية، وبعبارة أخرى فإن سلطة الرستميين امتدت من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط باستثناء إقليم طرابلس، وإفريقية الأغلبية، وتلمسان³.

ولقد أثر سقوط تيهرت على يد الفاطميين 296هـ/908م، والصراع الذي أعقب ذلك بين الإباضيين والعبديين في تغير الخارطة المذهبية للإباضية في الكثير من المناطق، فقد هاجرت جموع من إباضية تيهرت، وانظموا إلى إخوانهم في ورجلان بالجنوب بمعية يعقوب بن أفلح الوارجلاني⁴ وفي الزاب لاحق الفاطميون الإباضيين من مزاتة وزناتة وحطموا حصن قلعة عقار، كما أسسوا مدينة المسيلة بهدف إعاقة تقدم زناتة، وقد كان لحملة الفاطميين هذه نتيجة تمثلت في بداية نفي زناتة نحو المناطق الواحية، ورغم محاولة قائد إباضي زناتي هو محمد بن خزر من السيطرة على الزاب لبضعة أشهر سنة 317هـ/929م، إلا أن الإباضية تعرضوا لهزائم في ضواحي بسكرة أمام القوات الفاطمية، وسببت هذه الهزيمة الجديدة نزوح

¹ اليعقوبي، البلدان، ص185.

² ابن حوقل، صورة الأرض، ص107

³ إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص107-108.

⁴ أبو زكرياء، السيرة وأخبار الأئمة، ص164.

زناتة ومغراوة¹ من المغرب الأدنى على ما يبدو نحو المغرب الأوسط، ورغم ذلك حافظ الإباضيون على وجودهم في الزاب وهو ما يؤكد نفوذ ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (332-943/336م) التي كان الزاب ضمن مداها² وعلى كل فقد كان النفوذ الإباضي على الزاب خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ممتدا على طول الأوراس من تبسة إلى غرب المسيلة ومن هذه الجماعات هواره، ولواتة، ومزاتة، وكذلك مكناسة شرق بسكرة، وزناتة غربا³ وحملت الفترة ما بين (5-6هـ/11-12م) بالزاب، تحولات اجتماعية ساهمت فيها هجرة بني هلال منتصف ق:5هـ/11م وإن كانت هذه التغيرات لم تلاحظ بشكل مفاجئ بل أخذت زمنا طويلا⁴.

واتخذ الإباضية خطوات على المستوى التنظيمي للحد من انحسارهم من أبرزها تأسيس نظام العزابة على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي⁵ في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، وأيضا على المستوى المجالي لتوزعهم فبعد لقاء أريغ 420هـ/1029م وهو اجتماع جمع عدد من علماء الإباضية ببلاد المغرب خصص لبحث واقع منتسبي المذهب، أوكل إلى أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي مهمة البحث عن مجال يأوي إليه الإباضية من مختلف الشدائد التي تلاحقهم، وكان الاختيار على بادية

¹ من أوسع بطون زناتة، ينسبون إلى مغراو بن يصلتين، لهم بطون كثيرة مثل: بنو ريغة، وورميغان، كانت محلاتهم كثيرة في المغرب الأوسط ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص33..

² علاوة عمارة (2017)، بين جبل الأوراس والواحات ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق: 2-3هـ/8-9م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، (المجلد 3- العدد 01)، جامعة الوادي، ص256-258.

³ نفسه، ص257-258.

⁴ نفسه، ص268.

⁵ من كبار مشايخ الإباضية في بلاد المغرب، وأحد المصلحين الدينيين والاجتماعيين، أصله من فرسقاء بليبيا، التي أخذ فيها مبادئ العلم الأولية، ثم سافر إلى قسطنطينية وتعلم فيها على يد عمران بن أبي موسى الفقه والفروع، عرض عليه الشيخ أبو زكريا فصيل بن أبي مسور تأسيس حلقة العزابة، وهي نظام ديني اجتماعي فقبل العرض وتفرغ لصياغة قواعدها ونظمها، وذلك في تين يسلي بأريغ في جنوب شرق الجزائر حاليا، تميز الفرستائي بحركته الكثيفة في مواطن الإباضية من نفوسة شرقا إلى وادي ميزاب غربا في جمع من طلبته. توفي سنة 440هـ/1049م بأجلو. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص368-370.

بني مصعب¹، لسابق خبرة الفرستائي بها، وأسفرت جهوده بها إلى اعتناق سكانها المذهب الإباضي، وتقبلهم للمهاجرين الذين قدموا فرادى وجماعات من مختلف مناطق الإباضية كأريغ وورجلان، وسدراتة، ودرجين ونفوسة، وبهذا صارت بادية بني مصعب ضمن مجال الخارطة المذهبية لتوزع المذهب الإباضي².

وبالحديث عن الجريد فقد عرف النفوذ الإباضي به تراجعاً خاصة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر، والثالث عشر ميلادي، ومن أمثلة ذلك ما أورده الدرجيني على أن مدينة الحامة بالجنوب التونسي في زمن أبي خليفة عثمان المارغني السوفي³ (ق: 6هـ/ 12م) لم يكن فيها المذهب إلا أطلال، ومساجد عامرة كالخاوية⁴، وأشار باجية صالح أن القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي شهد زوالاً للمذهب الإباضي في الجريد⁵.

وعموماً فالمذهب الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية كان مقاوماً للانحسار قروناً من الزمن، وصُبح تراجعاً في الكثير من المجالات بالبطء على مدار قرون، عدا تيهرت التي انقرض فيها المذهب بشكل مبكر بسبب الهجرة المكثفة منها، حتى صار أثر هذا التراجع على المجالات الجغرافية لتوزع الإباضية جلياً بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، ونلاحظ أن عملية انتشار المذهب الإباضي كانت أسرع من انحساره، وأن انتشار الإباضية في مجالات واسعة من بلاد المغرب الأوسط والأدنى ظلّ قروناً من

¹ هي قرى وادي ميزاب، وقد حُرقت من مصعب إلى ميزاب، أصلهم من بني مصعب فرع من قبيلة زناتة البربرية، وأهم قراهم القرارة، بريان، وبني يسجن، وغرداية والعطف. ينظر: يوسف بن بكير حاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، ط4، الجزائر 2017، ص13-14.

² صالح بن عمر أسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، مطبعة الفنون الجميلة، ط1، الجزائر، 2008، ص37-39.

³ من مشايخ الإباضية بسوف، كان له دور كبير في إحياء المذهب الإباضي بتأليفه، كما كان له حلقات علم عامرة، تخرج على يديه علماء أفاضل، كما تميز بقدرته الفائقة في الدفاع عن المذهب، عاش في عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية بوارجلان، التقى كبار العلماء في عصره كأبي العباس أحمد بن محمد وأبو الربيع سليمان بن يخلف، تميز بكثرة رحلاته فقد انتقل بين بلاد الجريد ووارجلان وطرابلس من كتاباته كتاب السؤال، وهو من المصادر في العقيدة وله رسالة في الفرق. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص287-288.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص303.

⁵ صالح باجية، الإباضية بالجريد خلال العصور الإسلامية الأولى، ص61.

الزمن مجابها لمختلف التغيرات السياسية والاجتماعية، وذلك راجع إلى نشاط العلماء وحصولهم على دور ريادي من جهة، وكذا طابع التنظيم والتواصل المستمر الذي جمع المجتمعات الإباضية في مختلف مناطق وجودهم.

الفصل الأول

التواصل الاجتماعي

المبحث الأول: أنواع الزيارات المتبادلة

أولاً: فضل الزيارات عند الإباضية

ثانياً: الزيارات الفردية

ثالثاً: الزيارات الجماعية

المبحث الثاني: الهجرة

أولاً: رحلة البحث عن جوغراف.

ثانياً: الهجرة نحو المغرب الأوسط

ثالثاً: الهجرة نحو المغرب الأدنى

المبحث الثالث: التكافل الاجتماعي

أولاً: خدمة أهل المذهب وفضلها عند الإباضية

ثانياً: ضيافة أهل المذهب والاهتمام بشؤونهم

ثالثاً: المؤازرة عند المحن

رابعاً: المدافعة

المبحث الرابع: الحضور الاجتماعي للإباضية

أولاً: الترابط الاجتماعي للإباضية بين القبيلة والمذهب

ثانياً: إباضية المغرب الأدنى والمجتمع الإباضي في المغرب الأوسط

ثالثاً: إباضية المغرب الأوسط والمجتمع الإباضي في المغرب الأدنى

المبحث الأول: أنواع الزيارات المتبادلة.

أولاً: فضل الزيارات عند الإباضية.

تعد الزيارات التي قام بها إباضية بلاد المغرب لبعضهم البعض جزءاً أساسياً من حياتهم الاجتماعية والدينية، فقد أولوها اهتماماً بالغاً، حتى أنهم قرنها بطلب العلم وقراءة الكتب، فقد روي عن أبي محمد ويسلان بن أبي صالح اليراسني الجربي¹ (ت431هـ/1039م) أنه ندم على التقصير في ثلاث "زيارة أهل الدعوة"² أهل السهل المغربية، والثانية قراءة الجهالات³، ومجالس أبي عمران موسى بن أبي زكرياء⁴ التجديتي (حي في: 405هـ/1014م)⁵.

وقد شكلت الزيارة ضرورة ملحة يقترن معها صلاح الحال وسمو الأخلاق، فهي عندهم وعند غيرهم شد لعضد الأخوة في الدين، وتفقّد لأحوال إخوانهم، وتتبع لسيرهم ومناقبتهم، فهي هو الوسياني يصف هذه الزيارات وصفاً دقيقاً أجمل فيه أغراض هذه الزيارات وأهدافها وأيضاً أهميتها وعلو منزلتها عند الإباضية بقوله: "ومن أخلاقهم التزاور بعضهم لبعض، بالخلق الكثير، والجم الغفير، والتفقّد للسير وما عليه السلف، والتذكير لما عليه الأوائل - رحمة

¹ فقيه ومحدث إباضي من جربة، عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ساهم في الحركة العلمية عبر تأسيسه لحلقة علم جاب بها مناطق متعددة مثل جبل دمر، وتخرج عليه يديه علماء أجلاء من أمثال أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص448.

² يرد مصطلح أهل الدعوة في كتب السير الإباضية بمعنى الإباضية الوهبية.

³ هو كتاب متن الجهالات في علم التوحيد لمؤلفه تبغورين بن عيسى (ق: 5هـ/11م). ينظر: تبغورين بن عيسى: كتاب متن الجهالات في علم التوحيد، تح: ونيس عامر، (د.ط) تونس 2003.

⁴ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني (ق6هـ/12م)، سير الوسياني، تح: عمر بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان، 2009، ج1، ص312-313.

⁵ يظهر أنه هو نفسه أبو عمران موسى بن زكرياء، ينبغي الإشارة إلى أنه اختلف في نسبه بين كونه من زميرين، أو دمر، إلا أن الواضح أنه نشأ بتجديت وفيها قضى أغلب حياته، فهو أحد علماء بلدة تجديت في المغرب الأوسط، أخذ العلم عن أبي صالح بكر بن قاسم، وكان له حلقة علم ساهمت في تكوين علماء كبار ساهموا في نشر العلم في سائر بلاد المغرب من أمثال أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي وغيره. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص429.

الله عليهم- والكتب والرسائل لمن لم تمكنه الزيارة، والعيادة للمرضى، والحفاوة بهم ...¹.

ووصف أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي النفوسي² (ط5: 200-250هـ/815-864م) أخلاق الناس والعلاقات التي تجمعهم بقوله: " أدركنا الناس الذين هم الناس، أحاديثهم ذكر الله، وزيارتهم في الله، ومعانقتهم بالموودة والصّحة والمحبة، وبقيت حتى صحبت أناساً أحاديثهم الدنيا، وزيارتهم الحوائج، ومعانقتهم بالنطاح "³، وكان الشيخ أبو نوح سعيد بن يخلف المدوني المزاتي التمسكوي⁴ (ق:4هـ/10م) وتمسكوي موضع يرجح أنه في جبل نفوسة للروايات التي وردت حول الشيخ بجبل نفوسة⁵، ذا كرم فائق ومال كثير أعطاه لنسائه الأربعة في صدقاتهن لأنه قلما يلبث، إذ كان يزور أهل الدعوة وخاف من أن تُفاجئه الموت وكان من كبار العزابة⁶.

و تم النظر إلى هذه الزيارات على أنها وقاية ومناعة مما قد يصيبهم من التبذل أو التغير عن سير الأولين وأخلاقهم، فالتزاور يُكون لحمة اجتماعية تَسمح للنسيج الاجتماعي بالارتباط والتمسك بالمذهب الإباضي، والأخلاق التي يحث عليها، فهي بمثابة المناعة التي تقي المجتمع من التفكك والتسيب من جهة، ومن الأمراض التي قد تصيبه من خلاف قبلي أو اجتماعي، أو انقسام مذهبي من جهة أخرى، فقد كان سليمان بن أبي صالح الياجراني

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص679.

² من علماء الإمامة الرستمية، ولاه الإمام أفلح حكم جبل نفوسة، تلقى إجازة بالفتوى في الرخص، وصف " بإمام الأحكام " لما تميز به من ورع وتقوى، فتح داره كمدرسة، ومن تلاميذه أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري وأبو محمد عبد الله بن الخير. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص7.

³ الشماخي، المصدر، كتاب السير، ج2، ص353.

⁴ أحد علماء قبيلة مزاتة، أبوه من تمسكوي، ويعد من العزابة الكبار المتميزين بكثرة الأسفار حتى أنه وصل بأسفاره بلاد السودان الغربي، حلم بدولة يسود فيها العدل والرخاء وعمل على والوصول إلى ذلك الأمل المنشور سنين طويلة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص187. عمر بوعصبانة: معالم الحضارة الإسلامية في ورجلان..

نشر مديرية الثقافة ورقلة، (د.ط) الجزائر، 2008، ص192.

⁵ مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص205.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص553.

الوارجلاني¹ (ق:5هـ/11م) يُحدث ابنه تسودر، وعمران بن زيري الوارجلاني² (ق:5هـ/11م) فيقول لهما: " سيروا بنا لزيارة الأخيار، وأما هذا الشيخ -يعني أبا صالح- لو أقام وسكن بين ظهرائي المشركين ما تبدل ولا تغير "³.

واعتبر إكرام الأضياف مما تكتمل به الزيارات ويُعلي من شأنها وبذلك كان يوصي يعقوب بن أبي القاسم الوليلي الأريغي⁴ (ق:5هـ/11م) من يمر عليه بقوله: " إذا رأيتم الأضياف قاصدين فلا يسبقكم كلاب الحي إليهم. وإذا أردتم أن تذبخوا للأضياف فاذبحوا الكبير فإن الصغير إذا ترك يسد مكان الكبير، وإن قصدتم أرضا وطلبتكم إلى المبيت دونها فباتوا فإنكم لا تدرون ما يحدث عليكم "⁵.

وكانت بعض الزيارات تُختتمُ بشهادة الزائرين فيما رآوه من دين إخوانهم دفعا وتعزيزا لهم في محاسن ما رآوا، وعتابا وتحذيرا في مساوئهم، فقد شهد العزابة الذين جاء بهم أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (ت:440هـ/1049م) وهم أولاد أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور الجربي⁶ (ت بين:420-440هـ/1029-1048م) يونس وزكرياء، ومعهم أبو بكر بن

¹ هو أبو الربيع سليمان بن أبي صالح الياجرائي فقيه إباضي من وارجلان من أولاد الشيخ أبي صالح الياجرائي، عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الثاني عشر الميلادي. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص924.

² من بني ياجرين. من ساكنة وارجلان. ينظر: أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص315.

³ نفسه، ص313.

⁴ من أعلام أريغ أخذ العلم عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر عند انتقاله إلى أريغ، كما أنه يعد من المصادر المهمة للروايات التاريخية التي اعتمد عليها المؤرخون الإباضيون في كتبهم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص471-472.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص307.

⁶ من علماء جزيرة جربة بتونس، تلقى العلم على يد أبيه، ثم الشيخ أبو الخزر يغلى بن زلتاف، اشتغل بالتدريس وكان صاحب فكرة تأسيس نظام حلقة العزابة، التي أوعز إلى تلميذه الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر مهمة تأسيسها، من بين التلاميذ الذين تخرجوا على يديه أبو الخطاب عبد السلام بن أبي زوجون، وأبو الربيع سليمان بن يخلف، وأبو محمد ويسلان. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص339.

يحيى الزواغي الجربي¹ (ت: 431هـ/1039م) وعبد السلام بن أبي وزجون النفوسي² (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) بما رأوه من ديار أريغ بأنهم على التوحيد³.

واستشعر علماء الإباضية مغبة التهاون في الزيارة ومفارقة أهل المذهب واعتبروه خطرا على عقيدة الإباضي وأخلاقه، ومن بين هؤلاء أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي الذي نصح أهل المذهب باتباع سيرة السلف عند الهجرة من مكان إلى مكان آخر⁴، كما نصح الفرستائي إسماعيل بن أبي زكرياء الوارجلاني⁵ (ق: 5هـ/11م) حين كر راجعا من زيارته إلى منزله بالاستقامة على الدين والتعاون مع الإخوة في شؤون البر والتقوى، والإقدام حين يدبر الناس عن فعل الخير، والاعتزال إن عدم الصالحون⁶ كما روي عن أبي بكر الزواغي الجربي (ت: 431هـ/1039م) أنه حذر من الافتراق واتباع سوء الظن بين الإخوة في الدين⁷.

كما استعظم المرور على المدن دون زيارة الصالحين من أهلها، فقد ذكر يعقوب بن أبي القاسم الوليلي الأريغي (ق: 5هـ/11م) أنه وفد إلى وارجلان⁸، ثم رجع إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي الذي سأله عن أبي يعقوب يوسف بن سهلون الوارجلاني

¹ فقيه إباضي من جربة، خاله أبو زكريا فصيل بن أبي مسور، أخذ العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، شارك في تأليف ديوان الأشياخ بغار أمجاج بجربة، قتله جند المعز بن باديس. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص897.

² من إباضية نفوسة بليبيا، يعد أحد الذين ساهموا في إرساء قواعد نظام حلقة العزابة رفقة الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، كان من بين التلاميذ النجباء للشيخ أبو نوح سعيد بن زنگيل، تعرض لمضايقات الصنهاجيين فهاجر إلى أسوف ثم أريغ. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص254.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص581-582.

⁴ أبو زكرياء يحيى أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص307.

⁵ من مشايخ وارجلان وعلمائها، أخذ العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، وهو من أوائل العزابة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص55.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص363.

⁷ نفسه، ص307.

⁸ وردت مسميات عدة لها مثل وارقلان وواركلا أو وركلة، اختلف في جذورها التاريخية إلا أن الأكيد أنها ضاربة في القدم وربما تكون القبائل البربرية هي صاحبة السبق في تأسيسها، وشكلت موطناً للإباضية الملاحقين من قبل الفاطميين تعرف حاليا بمدينة ورقلة وتقع في الجنوب الشرقي للجزائر. ينظر: أحمد ذكار (2014)، مدينة ورقلة التسمية والتأسيس، مجلة الباحث، المجلد 06(العدد17)، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص159-163.

¹ (ط9: 400-450/1009-1058) فأجاب بأنه لم يره، حينها نظر الشيخ أبو عبد الله إلى الشيخ مزين بن عبد الله الوسياني الوارجلاني² (ط10: 450هـ/500م) فقال متعجبا: "انظر إلى هذا يا مزين، سافر إلى وارجلان ولم يصل أبي يعقوب!"³ فأثر هذا الكلام على الشيخ يوسف الذي أفل راجعا إلى وارجلان، ولم تكن له حاجة غير زيارة أبي يعقوب، وبعد أن زاره عاد إلى الشيخ أبي عبد الله وأخبره عن مرض الشيخ⁴.

وعن مظاهر الزيارات وكثافتها وعاداتها يورد الشماخي وصفا لزيارات أهل جبل نفوسة "ومن عادة أهل الجبل الاجتماع والتزاور في الله خصوصا أهل ولون، وكان اجتماعهم على ما يصلح الإسلام وأموره، يُخرجون الحق ممن كان عليه، حتى إذا نزع أحدهم بقلّة الناس من أصلها، أدّبوه، وفي يوم الجمعة، يزّاورون فيختلفون في الطرق وراجع مثل النمل، وتبيض الجبال من كثرتهم"⁵.

ومما يظهر ولع الإباضية بالزيارة وعلو شأنها عندهم أنهم وصفوا المعرض عن زيارة أهل المذهب "بالجرو الذي لم يفتح عيناه" وهو وصف يظهر تشنيع الإباضية بالمعرض عن الزيارة، واعتبار فعله من الذنوب والمنكرات التي تमित القلب وتضعف البصيرة⁶.

ثانيا: الزيارات الفردية.

تنوعت الزيارات التي ربطت بين إباضية المغرب الأدنى، وإباضية المغرب الأوسط بكونها إما جرت بشكل فردي أي يقوم فيها الزائر بالارتحال وحده إلى مقصده، أو بشكل

¹ من كبار مشايخ وارجلان، من معاصري الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، تتلمذ على يد أبو نوح سعيد بن زنگيل، تميز بحدة الذكاء والإتقان، له مناقشات مع علماء عصره. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص489.

² هو مزين بن أبي عبد الله الوسياني (أبو عبد الله) أحد علماء قبيلة بن وسين بوارجلان من معاصري أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، كان من بين العلماء الذين ترفع إليهم النوازل، ترك ديوانا لم يصل إلينا. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص413.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص422.

⁴ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، 365. الوسياني، سير الوساني، ج3، ص883. الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص422.

⁵ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص365.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص809.

جماعي في شكل جماعات منظمة كان يتم فيها تنظيم وفود زائرة، أو يتخذ فيها الزائر رفقة سفر لغرض الزيارة.

1- الزيارات إلى المغرب الأوسط.

عمد الإباضيون من سكان المغرب الأدنى إلى زيارة إخوانهم في المغرب الأوسط، وارتحل الكثير منهم فرادى لهذا الغرض، كما كان من عاداتهم سؤال عابري السبيل والمارين على بلاد إخوانهم عن أحوال أهل دعوتهم في بلاد المغرب، ويتفحصون بذلك أحوالهم وأخبارهم، فقد أقبل رجل من إباضية المشرق زائراً لأهل الدعوة، فاجتاز بجبل نفوسة فاطمأن على أحوالهم، وتعرف على مختلف شؤونهم، ثم توجه إلى تيهرت فسأله أهلها عن جبل نفوسة فقال لهم: " الجبل هو أبو زكريا¹ وأبو زكريا هو الجبل ..."² فلما رجع المشرقي إلى الجبل سأله نفوسه عن تيهرت فقال: " ليس بها أحد غير الإمام ووزيره مزور بن عمران"³ (ق: 2-3هـ/8-9م)⁴.

مثّلت عاصمة الرستميين تيهرت⁵ وجهة لزيارات إباضية المغرب الأدنى فالشيخ أبو مرداس مهاصر النفوسي⁶ (ق: 3هـ/9م) عمّد إلى زيارة إخوانه بتيهرت، وكان إذا حصّد الناس

¹ هو أبو زكرياء يصليتين التوكيتي (ط5: 200-250هـ/815-864م) وتوكيت ولالوت قريتان من قرى جبل نفوسة يُرجح أنه أخذ العلم عن أحد حملة العلم وهو معاصر للإمام عبد الوهاب، ومن أهل الفضائل الذي ذكرت عنهم أخبار في كتب السير. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص470.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص293.

³ نفسه، ج2، ص293-294.

⁴ عاش بين القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين اشتهر بالعدل والورع قرّبه الإمام عبد الوهاب منه واتخذّه وزيراً. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص413.

⁵ تعرف حالياً بمدينة تيارت، تقع إلى الغرب من مدينة الجزائر، أسسها عبد الرحمن بن رستم وجعلها عاصمة لدولته الإباضية، تتميز بموقع استراتيجي جعلها في ملتقى طرق تجارية هامة، عاشت نهضة علمية كبيرة. ينظر: محمد الطيب عقاب (1997): مدينة تيهرت في بعض المصادر التاريخية المبكرة، مجلة بحوث، المجلد02(العدد 01)، الجزائر: جامعة بن يوسف بن خدة، ص199-203.

⁶ من كبار مشايخ جبل نفوسة بليبيا عرفن عنه علمه الواسع وشّته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان يزور تيهرت للاطمئنان على أحوال إخوانه. إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص426.

زرعهم ولقط اللقاطون السنابل من الأرض وهي تلك التي خُلفت بعد الحصاد، ثم رعت المواشي، تَعَقَّبهم أبو مرداس فيقوم بالتقاط ما تبقى فيكفيه قوت عام، وكان انتظار أبي مرداس هذا اللَّقْط إنما هو ورع من أن يكون فيه حق لأحد، لأن الشائع أنَّ ما بقي بعد رعي المواشي إنما هو متروك¹، كما كان أبو مرداس إذا أراد زيارة إخوانه بتيهرت يجمع ما بالجبل² من أموال الوصايا، وهي أموال أوصى بها أصحابها لخدمة الدولة الرستمية على ما يبدو، فيحملها معه إلى تيهرت ويضعها في بيت مال المسلمين، ويراعي أثناء وضعها انتفاع أهل الوصايا بأن تكون في ما يرجى فيه أكبر أجر وثواب عند الله سبحانه وتعالى³.

ومن أمثلة هذه الزيارات زيارة الشيخ عبد العزيز بن الكساسن⁴ (ق: 6هـ/12م) الذي زار أريغ⁵ ذات مرة، فزار قبر أحد أحبائه المدفونين بها، فوجد من دفنه قد خط على قبره ثلاثة خطوط دائرية، وكانت تلك العادة في ذلك الزمن لتحديد القبر ربما، فَحَظَّ عبد العزيز خطوطا ثلاثا موازية لها إكراما لقبر زائره⁶، كما كان يخلف بن يخلف التميمي جاري النفوسي⁷ (ط12: 550-600هـ/1155-1203م) مقيما في كنومة⁸ بالجريد فبلغه موت عم له كان مهاجرا

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص293.

² جبل نفوسة سلسلة جبلية ممتدة من شرق طرابلس باتجاه الجنوب الغربي تقع على سفوحها عدة قرى ومدن زاخرة بالإباضية مثل مسلاتة، تزهونة وغريان، ويفرن وجادو ولالوت. ينظر: جون ديبوا: جغرافيا جبل نفوسة، ص31.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص292.

⁴ لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بحوزتي، ويظهر من السياق الرواية أنه من مشايخ القرن السادس هجري.

⁵ منطقة واحيه في جنوب شرق الجزائر يطلق عليها حاليا وادي ريغ. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص827.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص616.

⁷ فقيه وقاضي ونسابة من جبل نفوسة بليبيا وهو جد الدرجيني صاحب السير. ينظر إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص466.

⁸ من مدن الجريد اللتوني تسمى حاليا كريز وتقع بالقرب من دش تقيوس. ينظر: الشماخي: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص868.

بوارجلان قاطنا بها في موضع تماوط¹ وليس له وارث سواه، فسافر إلى وارجلان طالبا لورثه، وأراد أن يصبغ زيارته بزيارة الصالحين، فسأل عن شيخه الذي أخذ عنه سابقا أيام كان في وارجلان وهو أبو سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي الوارجلاني² (ط11: 500-550هـ/1106-1155م) فأخبر بأن الله قد ابتلاه بمرض الجذام وألزمه الفراش في حال سيئة، ومنع عنه الحركة والخروج من المنزل، فقدم داره عائدا له فعانقه الشيخ أبو سليمان وسُعد به أشد السعادة فدعا له، وقد كانت حال الشيخ أبي سليمان في مرضه قد أثرت في نفس الشيخ يخلف الذي نظم شعرا من ثمانين بيتا من بحر الكامل يصف فيه حاله.

أَيُّوبُ مَا أَيُّوبُ لَا أَيُّوبُ	أَوْدَى بِهِ قَدْرُ الرَّدَى الْمَجْلُوبِ
فَتَلَوْتُ أَيَّامَهُ وَتَصَرَّمْتُ	حِينَ عَلِيهِ، وَلِلرَّدَى تَغْقِبُ
عَلَّقْتُهُ إِشْرَاكَ الرَّدَى مِنْ بَعْدَمَا	أَوْفَى عَلَى مَائَةٍ، وَجَابَ الْجُوبِ
مَا خُطَّ فِي الْمَكْتُوبِ لَا يُخْطِئُ الْفَتَى	وَكَذَا الْفَتَى لَمْ يُخْطِئْهُ الْمَكْتُوبُ ³

وقد قال أيضا واصفا الشيخ أبي سليمان:

وَجْهٌ أَغَرٌّ، وَشِيْمَةٌ وَجَلَالَةٌ	مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَرْشِ، وَهُوَ مَهِيْبٌ
يَا غَائِبًا مَا تَنْقُضِي حَسْرَاتِنَا	أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَاتٌ حِينَ يَنْوُبُ ⁴ .

وذكر عن أبي زكريا فصيل بن أبي مسور الجربي أنه زار أهل الدعوة من أهل وارجلان فرآهم إذا أذن مؤذنه وأقام الصلاة، فَيَطْلُبُ من يَوْمَهُم، فيحظى على الفور به فلا يُعجبه الأمر، فرجع إلى جربة فرآهم إذا أُقيمت الصلاة فيطلبُ من يَوْمَهُم فلا يُصيبه سريعا

¹ واحة من واحات وارجلان واندثرت حاليا كما سمي الوادي الذي يسبقها بساقية تماوط. ينظر: الشماخي، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص840.

² من علماء وارجلان، شكل حلقة وصل بين علماء هذه المدينة، اشتهر عنه تسخير ماله للعلم وأهله، تخرج على يديه علماء كبار عرفوا بإنتاجهم العلمي خلال القرن السادس الهجري. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص65.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص462.

⁴ نفسه، ج2، ص463.

فقال: " حسببت أن الوقوع من قدام فإذا هو من خلف " ¹ ويقصد بذلك بلاد المغرب الأدنى وبلاد المغرب الأوسط وذلك إنما كان تأنيبا منه إليهم، وتوجيها لما يجب أن يكون في أمور الدين، فقد روي أيضا أن أبا إسماعيل بن ملال البصير المطكودي الجريدي (ق: 5/11م) ² زار أريغ ووارجلان وأسوف ³ فجاز على كدية بني مغراوية ⁴ المعروفة في أريغ، فطلبه من فيها للمبيت، غير أنه اعتذر عن قبول طلبهم، متحججا بما رآه فيها من المنكر والمظالم، إذ أنه كثر فيها في ذلك الوقت المنكرات وشاع الظلم، وذلك بعدما انتشر الفساد والغصب وشُن الغارات، وتكلم ناصحا لهم بأن يتركوا الظلم وأن يعطوا الحق لأهله، وأن يدحضوا الظالمين وإن كانوا منهم ⁵، كما وفد أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني ⁶ (ت 471 أو بعد 474هـ/ 1078 أو بعد 1081م) إلى وارجلان زائرا ومطمئنا على حال أهلها بعد أن رحل وغاب عنها، غير أنه رأى من سوء أخلاق بعض أهلها وتدبيرهم للأمور، فرفض المكوث عندهم وممر بقنطرار ⁷ فسأله أهلها عن وارجلان فقال أنه لم ير أحدا، في إشارة إلى أنه لم ير ما يسره من أخلاق الساكنة وخرج غاضبا منها ⁸.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص478-479.

² شيخ إباضي من الجريد التونسي أخذ العلم عن أبي محمد ماكسن بن الخير في توزر. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص890.

³ ويطلق عليها حاليا وادي سوف، تقع في الجنوب الشرقي للجزائر.

⁴ مغراوة قبيلة بربرية زناتية سكن فرع منها منطقة أريغ كان لها دور في بلاد المغرب الأوسط والأقصى. ينظر: الشماخي، كتاب السير، ج2، ص873.

⁵ الوسياني سير الوسياني، ج1، ص347-348. الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص412.

⁶ من مشايخ وارجلان وهو صاحب كتاب السيرة وأخبار الأئمة وله سبق الفضل في رواية الكثير من السير التي اعتمد عليها المؤرخون الإباضيون من بعده، تلقى العلم في أريغ على يد الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص451-452.

⁷ من مدن بلاد الجريد التونسي تقع قرب نقطة شرقي درجين، وفي هذا الموضع حاليا منابع مياه تسمى "عين قطارة" وهي تحريف عن الكلمة. ينظر: صالح باجبة: الإباضية في الجريد خلال العصور الإسلامية الأولى، ص12.

⁸ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص449. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص844-845.

كما أراد أبو يعقوب يوسف بن محرز¹ (ق:5هـ/11م) زيارة وارجلان فأشار إليه الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي قائلا: " يا يوسف إن ذُكِرَ وارجلان مضرة فكيف دخوله "² ولم تكن هذه الأحكام التي يصدرها المشايخ عامة لكل أهل المدينة، غير أنها تحمل في طياتها الامتناع الكبير الذي يبديه المشايخ من انتشار الظلم والفساد، والامتناع الأكبر على ما يبدو كون أهل المدن قد يستكينون للظلم ولا ينهضون للنهي عن المنكر، فعيسى بن زاروا³ وهو رجل من نفوسة أَمْسَنان قدم إلى وارجلان في عهد كان فيه صلاح لأحوال المذهب وأعجبه ما رأى في الوهلة الأولى، واعتبر المدينة ناجية من الشيطان ووساوسه، غير أنه وبعد اطلاعه على أحوال أهلها ومعاملتهم عدل عن رأيه فيها ووصفها بأنها: " موطن الشيطان الذي استوطن فيه، وأطلق العمال في البلدان "⁴.

كما كان الشيخ أبو بكر بن علي (ق:6هـ/12م)⁵ شيخا فاضلا من سيرته زيارة أهل الدعوة، وكان إذا مكث في وارجلان قليلا، جلب الكثير من التلامذة والزائرين، ولم يكن يمكث من شدة الزيارة، حتى أنه عندما مات قال شيوخ جربة: " مات أبو بكر، مات من يزور في الله "⁶.

وجاز أبو يعقوب يوسف بن نفاث القنطاري النفوسي⁷ (ت: 440هـ/1049م) على بني وليل¹ من قنطرار متوجها إلى وارجلان، في وقت كان أبو عبد الله محمد بن بكر قد

¹ لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين يدي.

² الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص843.

³ لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين يدي.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص844.

⁵ لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين يدي. ويظهر حسب سياق النص أنه من علماء القرن السادس هجري.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص738.

⁷ من مشايخ أهل الدعوة بجبل نفوسة، انتقل للسكن في أريغ عاصر الشيخ سعيد بن زنگيل، وأبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، كان ذا مكانة علمية جعلته مقصدا للفصل في مسائل الخلاف. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص494.

هاجر من سدراتة² بعدما وقع له حادث فيها، فَقَدِمَ أبو يعقوب غير مكترث بما فعلوا للشيخ وبعد أن دخل وارجلان، وقع في نفسه أنه قد يكون قصّر في حق الشيخ أبي عبد الله، فقصّد الشيخ إلا أنه تاه في الطريق ومن معه من المسافرين، وكاد يهلك عطشا، حتى وصل تين يسلي³ عند غار الشيخ أبي عبد الله، فأكرمه وأحسن ضيافته، ولم يبد له من لومه عليه وهو في حاله تلك من الإعياء، حتى استجمع قوته، ورجع إلى بلده فأرسل له الشيخ رسالة فيها ثلاثة أبيات شعرية من بحر الكامل يلومه فيها على ما بدر منه من فعل وهي:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ فِيكَ رُجِيَةً تَرْجَى لَصَرْفِ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ
أَوْ فِيكَ لِلْإِخْوَانِ أَمْرٌ يُرْتَجَى فَأَرَاكَ لَا شَيْءَ مِنْ الْإِخْوَانِ
رَاحَتْ فِرَاسَتَنَا، وَخَابَ رَجَاؤُنَا شَمِتَ الْعَدَاةُ بِنَا مَعَ الْأَقْرَانِ
فلما قرأها الشيخ أبو يعقوب تأثر كثيرا وأخذ يكرر قوله: "لا شيء من الإخوان"⁴.

ويبدو لنا من خلال هذه الرواية حكمة وحكمة أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي الذي ما أراد لوم أبي يعقوب وهو في تين يسلي من بلاد أريغ لما كان في إعياء وهلع مما حدث له في الطريق، وإنما انتظر رجوعه إلى أهله سالما معافى ليوضح له خطأ فعلته، وهذا راجع إلى أن الغرض من ملامة الشيخ ليس الانتقاص من أبي يعقوب، وإنما هو الخوف من

¹ قبيلة إباضية سكنت وادي أريغ ونزل قسم منها قنطار وربما يكون قصر بني وليل مركزها. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص880.

² مدينة تقع إلى الجنوب من وارجلان عمرها الإباضية النازحون بعد سقوط تيهرت (297هـ/910م) إلا أنها خربت على يد ابن غانية الميورقي سنة (467هـ/1075م). ينظر: عمر بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية في وارجلان، ص10. وأيضا: محمد لخضر عولمي (2018)، فن الزخرفة المعمارية بمدينة سدراتة الإسلامية، مجلة منبر التراث الأثري، المجلد 02 (العدد 03)، الجزائر: جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، ص310-311.

³ وهي بلدة تقع إلى الجنوب من أريغ تعرف ببلدة أعرم حاليا. ينظر: روبرتو روبيناشي: العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر (وثيقة قديمة عن حياة نُسَّاك الصوامع في الإسلام)، ترجمة، لميس الشجني، مؤسسة تاويلت، د. ط، د ب، 2006، ص7.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص556-557. الشماخي، كتاب السير، ج2، ص669-670.

أن يقع في استصغار ذنب مصاحبة الظالمين، والسكوت عن المنكر، فهو بذلك توجيه أكثر من أن يكون لوما وعتابا.

وذكر أن الشيخ أبا نوح سعيد بن يخلف المزاتي (ق: 4هـ/10م) قدم وارجلان زائرا فرأى أناسا منهم يغتسلون ويتوضؤون في ساقية تماوط ويطلعون في الساقية حافية أرجلهم، ويمشون على الأماكن التي كانت تترك فيها الإبل والغنم، ومختلف البهائم، فانتهرهم قائلا: " فإذا الذي يقول المشايخ صدق من أن أهل وارجلان ترجع إلى مذهب الحشوية¹ "2.

وذكر أنه وصل ذات مرة إلى وارجلان فدخل جنانا للشيخ أبي صالح جنون بن يمران الوارجلاني³ (ق: 4هـ/10م) وكان الشيخ أبو صالح حينها يقطع تمره ويجمعه، فتعجب الشيخ أبو نوح لما رآه من كثرة جنان الشيخ، فقدم له الشيخ أبو صالح وابندر الحديث معه قائلا: " أخاف أن يصيبنا ما قال الله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾⁴. ثم صلى الشيخ أبو صالح صلاة الضحى وكان أرمد يذب الذباب عن عينيه فما إن انتهى عن صلاته قال: "عجبت مني يا مزاتي؟ كل ما يصلح صلاة الرجل يعملها فرحمة الله وبركاته عليهما وإيانا"⁵.

كما قدم رجل من إفريقية يقال له بياضة متوجها إلى تين يسلي من بلاد أريغ قاصدا الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر فمكث عنده مطولا، فلما آن موعد رجوعه إلى أهله ودّعه الشيخ أبو عبد الله فشكاه أمر زوجته، فما كان من الشيخ إلا أن نصحه بحكمة سمعها الرجل ونفذها؛ وهي أن الرجل قد يفدي آخر بماله كله ابتغاء عدم مفارقتها، وقد يفديه بماله كله من

¹ يستعمل مصطلح الحشوية للدلالة على أهل الخلاف من غير المذهب الإباضي في كثير من المواضع.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص301. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص789.

³ شيخ الإباضية بوارجلان تتلمذ على يد أبي يوسف يعقوب الطرقي، كان عالما غزير العلم، كما كان مصلحا، اشتغل في الزراعة وله أحكام ووصايا وردت في كتب السير. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص115.

⁴ البقرة آية: 155.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص555-556.

أجل مفارقتها، فما إن رجع الرجل إلى بلده حتى أعطى ماله كله لزوجته وفارقها، غير أن الله عوضه على كل ما خسر من مال¹.

وقد أتى دوناس بن الخير المزاتي الطرابلسي² (ق:4هـ/10م) شيوخ تجديد³ من بلاد أريغ وتبرأ من ماله عندهم، ثم دخل المسجد ولبس الحصير ورمى إليهم ثوبه، فقبلوا ما قام به، ثم أكرموه وأعطوه من أموالهم ما يسد به حاجته، وأمسكوا ما تبرأ منه⁴. والظاهر من خلال هذا أن الشيخ دوناس قدم زائراً وفي نيته التوبة على يد مشايخ تجديد والتخلص من ماله إن كان فيه شبهة، تجديداً لحياته بمال تطمئن نفسه أنه حلال طيب، وهو الفعل الذي ساندته فيه مشايخ تجديد وشدوا على عضده وساندوه فيه.

فيما صبغت بعض الزيارات بالتهنئة على أداء مناسك الحج فبعد أن أتم المشايخ وهم أبو محمد جمال المدوني⁵ (حي بعد: 354هـ/967م)، والشيخ أبو إبراهيم مصكوداسن بن أوثمار بن يخلف المزاتي⁶ (ق:4هـ/10م)، والشيخ عبد الله بن الأمير اللماي⁷ (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) فريضة حجهم وعادوا إلى بلادهم في نواحي الزاب على ما يبدو،

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص837.

² كان رئيس الدعوة بطرابلس في عهد سلطة الخزيين وكان ذا هيبة وكلمة مسموعة مكنته من نفع أهل دعوته. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص148.

³ من قرى أريغ، تقع إلى القبلية منها. محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص838.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص330.

⁵ من علماء الإباضية ذوو الثروة والكرم، أرسله أبو الخزر يغلى إلى وارجلان وطلب منه استتفار أهلها للنهوض معه في ثورته، إلا أن أبا خزر خسر المعركة قبل وصول المدد، ويعرف على أبي محمد حنكته وحبه للإصلاح شهد له الشيخ أبو مسور بالعلم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص114.

⁶ معاصر لأبي محمد جمال المدوني، عرف عنه علمه الواسع واهتمامه بالكتابة فقد كتب إحدى عشر كتاب في عشرة أيام. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص421.

⁷ عالم إباضي عرف عليه نصحه وإرشاده الشديد لقبيلة لماية. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1010.

قدم الشيخ عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري¹ الجربي (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) من جربة مهنًا لهم على أدائهم فريضة الحج وعودتهم سالمين غانمين، فقال عبد الله لابن الأمير بعد أن رآه معافى في ماله ونفسه: " يا أبا محمد ما أصبت في سفرك هذا بشيء؟"² ، فأجابه بأن الله قد عافاه ممّا قد يصيبه، فقال ابن مانوج له: " قد كنت أود لو احتسبت بشيء تصاب به "³ ويقصد بذلك ما يناله العبد المؤمن من الأجر الكثير حين تنزل عليه نوازل الدهر لقوله عليه الصلاة والسلام: " من يرد الله به خيرا يصب منه "⁴، فأصبح له أحد عشر جملا من جماله جيفا.⁵

2- الزيارات إلى المغرب الأدنى

على غرار إباضية المغرب الأدنى أدى إباضية المغرب الأوسط واجب الزيارة تجاه إخوانهم في المغرب الأدنى، ونورد من هذه الزيارات زيارة الشيخ عبد الله المنصور السوفي⁶ (ت: قبل ق:5هـ/11م) زار الشيوخ ذات مرة في نفزاوة ومنهم الشيخ محمد تامر التناوتي⁷ (ق:5هـ/11م)، فشكا إليه تصرف مملوك لبني خزر⁸ كان قد آذاهم وأضر بهم إضرارا كبيرا، ومن تصرفاته الصعود فوق جدران الناس وكسر منازلهم، والتعدي على ممتلكاتهم فما كان

¹ أحد المساهمين في إثراء كتب التراث الإباضية مع جمع من العلماء عرفوا بأصحاب الغار فعكفوا على تأسيس موسوعة فقهية، دخل باب العلم متأخرا وبرع فيه فله من الفتاوى والحكم والمواظ الشيء الكثير، قتل في غارة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص271.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص348.

³ نفسه، ج2، ص348-349.

⁴ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار بن كثير، ط1، بيروت، 2002، ص1431. (5645)

⁵ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص348-349. الشماخي، كتاب السير، ج2، ص453-454.

⁶ من مشايخ أسوف، تميز بالشجاعة فقد قاتل جند المنصور بن بلكين حين حصاره وغلانة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص260.

⁷ لم أتمكن من التعريف به، ويحتمل أن يكون أحد مشايخ نفزاوة.

⁸ فرع من فروع قبيلة مغراوة البربرية انتشروا في مناطق واسعة من المغرب الأوسط خاصة إفريقية وجنوب المغرب الأوسط. ينظر: فاطمة بلهوار (2003)، معارضة محمد بن خزر المغراوي للوجود الفاطمي في بلاد المغرب الأوسط، مجلة عصور جديدة، المجلد 02(العدد 01)، الجزائر: جامعة وهران، ص107.

من الشيخ الزائر إلا أن قال لهم: " كفيتموه يا مشايخ " فحفر مطمورة¹ في بيت كان موجودا فيه، وجعل عليها الحصير لإخفائها، ثم أرسل لهذا العبد بالقدوم فجاءه معتقدا أنه مدعو لطعام فما إن جلس على الحصير حتى تداعى في الحفرة وارتاح المشايخ من تصرفاته².

وأتى رجل من وارجلان ماكسن بن الخير الوسياني القيرواني³ (ت: 491هـ/1097م) زائرا فسأله ماكسن عن أخبار أبي سليمان اليرتاجني الوارجلاني⁴ (ت: 462هـ / 1069م) فقال له: " إنه لما به إما تدركه أو لا تدركه "⁵ ويقصد بذلك أنه مريض أشد مرض، فهرع الشيخ ماكسن للمسير لزيارته فوصله وهو ضعيف فسلم عليه وسأل عن حاله فأجاب أبو سليمان ببيت من بحر الطويل من الشعر بقوله:

لَا يَعْرِفُ الرَّيَّانُ مِنْ طَالَ عَطَشُهُ وَلَا يَعْرِفُ الشَّبْعَانُ مِنْ هُوَ جَائِعٌ⁶

وذكر أنَّ أبا عبد الله محمد بن داود الأريغي⁷ (ق: 6هـ/12م) دخل جربة زائرا فجلسوا عنده فأخذ في نصحهم ووعظهم وتذكيرهم بأمور دينهم ودنياهم، حتى جاء دور أبي مسعود بن أبي زكرياء فلامه الشيخ أبو عبد الله قائلا: " بلغني أنك تداين ضعفاء أهل جربة في حال العسر تم تأتيهم لتقاضي دينك، فإذا رأوك من بعيد أدخلت الروعة على المرأة والطفل،

¹ لايزال المصطلح مستعملا إلى الآن وهو حفرة تنجز تحت الأرض لحفظ الحبوب كالقمح والشعير.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص599-600.

³ عالم فاضل ولد بالقيروان، وفيها تلقى مبادئ العلوم، ثم توجه إلى أبي محمد ويسلان بن أبي صالح للتعلم، كما تتلمذ على يد أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطاني، أسس حلقة علم تخرج فيها جملة من كبار العلماء من أمثال أبو محمد عبد الله بن محمد العاصم، كان صارما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقط ساهم في صد هجمات الغزاة على أريغ. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص352.

⁴ من مشايخ وارجلان وقرائها وكانت له حلقة علم بقنطنار، ومن شدة علمه قصده عزابة أبي عبد الله محمد بن بكر للدراسة شتاء، كما كان من بين المشايخ المجتمعين بتجديد الدين أجروا بينهم ثلاثمائة مسألة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص142.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص387.

⁶ نفسه.

⁷ من علماء أريغ، عرف بأنه بحر في العلم، ألف في السير والتاريخ، إلا أن كتبه ضاعت. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص376.

وَأثمت فيهم، ويروع المديان منك¹ فما كان من الشيخ أبي مسعود بن أبي زكرياء إلا أن اعتذر وأعلن توبته²، كما زار عبود بن منار المزاتي الوارجلاني³ (النصف الثاني ق:5هـ/11م) أبا محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري الجربي(ط:9: 400-450هـ/1009-1058م) بجرية على ما يبدو فسأله أبو محمد عن أحواله فقال له: "أنت عظيم في نفسي يا عبود، فكيف أنت؟ وكيف أحوالك؟"⁴ فرد عليه عبود بقوله: "بخير يا شيخ، غير أن ديونا كانت علي"⁵ الأمر الذي أغضب الشيخ أبا محمد عبد الله فانتهره وأكبر عليه أنه أتاها زائراً وعليه ديون لم يسدها وأمره بالابتعاد عنه، فرجع إلى منزله وباع بعضاً من أغراضه وسدد ديونه، ثم سقط قتيلًا في غارة للنكار وليس عليه دين لأحد⁶، وتظهر هذه الروايات الصراع العنيف الذي كان بين الوهبية والنكار، ولا نستبعد أن تحمل بعض الزيارات دلالات على حرص الوهبية على تظافر مجتمعاتهم في مواجهة الأخطار المحدقة، ولا تكون الزيارة إلا وسيلة تدفع نحو وحدة المجتمع ذو الخط المذهبي المتماثل.

كما أدى الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي زيارة إلى المغرب الأدنى بعد أن حفر الغار بتين يسلي، وربما تكون هذه الزيارة تدخل في باب الترويج إلى نظام العزابة⁷ المُستحدث، فانتقل من تين يسلي متوجهاً نحو قسطلية وفي نيته المسير منها باتجاه طرابلس، إلا أن جمعا من الناس حذروه من خطر الإغارة، فتوجه إلى تمولست⁸ وما إن

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص506-507.

² نفسه، ج2، ص506-507.

³ رجل صالح من أهل وارجلان عاصر أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، عرف بزهده وورعه. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص285.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص772-773.

⁵ نفسه.

⁶ نفسه.

⁷ هو تنظيم اجتماعي وديني، تأسس في بلاد المغرب على يد أبي عبد الله محمد بن سنة 409هـ/1018م. ينظر: صالح بن عمر أسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، ص292.

⁸ قرية تقع في الجنوب التونسي. ينظر: فرحات الجعيري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة، ط1، (د.ب) 1989، ص115.

اقترب منها حتى التقى الشيخين أبا الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي¹ (ت: 471هـ/1079م) ومحمد بن عيسى بن إبراهيم الأريغي² (ق: 5هـ/11م) ودعواه للطعام فأكرماه، ثم دخل جربة وتوجه عند بني يهراسن³ ومكث عندهم فترة، ثم كر راجعا إلى أريغ وفي الطريق مر بتباجالت⁴ فجاز على الشيخ عمروس بن عبد الله الزواغي الجربي⁵ (ق: 5هـ/11م) الذي أكرمه وأقام على ضيافته مأدبة كبيرة⁶. وقد اعتاد أبو عبد الله محمد بن بكر زيارة جربة فكان أشبه بحلقة تواصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأدنى، فما إن يمكث في تين يسلي أو أريغ أو وارجلان إلا ويرتحل زائرا للإباضية في المغرب الأدنى، ومن زيارته لجربة تلك الزيارة التي التقى فيها الشيخ عمران بن يغلي⁷ (ق: 5هـ/11م) وأخذ في نصحه بقرأة القرآن، والرأفة بالفقراء والمواظبة على فعل الخيرات، والجود بما أنعم الله عليه من المال⁸.

ونزل أبو عمران موسى بن زكرياء التجديتي (حي في: 405هـ/1014م) إلى قسطنطينية⁹ فالتقى بأبي جعفر أحمد بن خيران الحامي¹⁰ (بين ق 4-5هـ/10-11م)، وطلب

¹ عالم وفقهه ومحدث إباضي، أخذ العلم في أريغ عن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، عرف بكثرة أسفاره فقد كانت له حلقة علم يجوب بها مختلف المناطق مثل جبل نفوسة أريغ ووارجلان وغيرهم، تخرج عليه نخبة من علماء المغرب. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص215.

² ليس لدينا معلومات كبيرة عنه غير أنه ابن الشيخ عيسى بن إبراهيم المشوطي. الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص667.

³ قبيلة إباضية نازلة شمال جهة طرابلس، وجبل دمر، كما سكن قسم منها جزيرة جربة، ابتداء من قدوم الشيخ أبي مسورو وكان مسجد بني يهراسن من كبار مساجد جربة. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص882.

⁴ مدينة في الجنوب التونسي. ينظر: عبد الرحمن أيوب، تحقيق كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص258 (هامش).

⁵ من مشايخ جربة. ينظر: مهنا سعدي، الشيخ عمروس و منهجه الفقهي والعقائدي من خلال كتاب اصول الدينونة الصافي، مكتبة الجبل الواعد، (د.ط) سلطنة عمان، 2004، ص418.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص255-259.

⁷ لم يتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁸ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص360.

⁹ تقع في بلاد الجريد التونسي. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص467.

¹⁰ من علماء الحامة عرف عنه ورعه وسخاؤه الكبير، فكان شديد الكرم للعبادين في المسجد. ينظر: أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص297.

منه مرافقته لزيارة الغاية امرأة أبي القاسم يزيد بن مخلد الحامي¹ (ت: 358هـ / 968م) فمضيا حتى دخلا عليها وسألاها عن أحوالها، وقد استغلت الغاية فرصة زيارة الشيخين لسؤالهما عن أمور تخص النساء، فسألتهما عن امرأة ذهبت إلى الوادي تغتسل فيه، وقد اصطحبت غيرها ودخلت الماء في ثيابها، فأجابها أبو عمران أنها ستعوم في سبعة أودية من النار، فطلبت رخصة فرخصا لها بوجوب اتخاذ الحارس والسترة². وتأتي زيارة أبي عمران لامرأة أبي القاسم إكراما لسيرة زوجها وعلمه وورعه.

وقدم الشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي (ق: 6هـ/12م) الحامة³ من بلاد الجريد في وقت كان الإباضية فيها في انحسار وتراجع، وكان أبو عمرو عابر سبيل فوقع في نفسه زيارة أهل الدعوة بها للشد على عضدهم ومؤازرتهم، بما يعينهم على التمسك بعقيدتهم، غير أن من بها من غير الإباضية، وبعد أن سمعوا بقدوم الشيخ، استاءوا وأجمعوا على التآمر عليه، وكان في جملة تآمرهم، مناظرته، فأشار بعضهم أن الرجل ذو علم غزير ولا طاقة لهم بمناظرته، ثم اتفقوا على الإيقاع به في خديعة، وهي أن يظهروا له أنهم يسألونه في أمور الدين، حتى إذا تحدّث بما لا يعجبهم، نهضوا من حوله مفسّقين له. فما إن حل النهار قدموا له فسأله أحدهم: " هل يجوز في مذهبكم تزوج نساءنا؟"⁴ فأجاب الشيخ: " يا سبحان الله قد جاز عندنا تزوج اليهوديات والنصرانيات فكيف نساؤكم؟ "⁵ فصاحوا قائلين بأنه أنزلهم منزلة اليهود والنصارى، وانهالوا عليه ضربا، وشتما، وطردوه من المدينة،

¹ من علماء الحامة، تفقه في علوم اللغة والفقه والأصول، ونال مكانة واسعة أدت إلى اغتياله من قبل الفاطميين. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص467.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص298. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص784-785.

³ من مدن الجريد في الجنوب التونسي. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص467.

⁴ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص483.

⁵ نفسه.

ثم عمدوا إلى أكبر مساجد الوهبية، فغسلوه بالماء وأكروها من بقي من الإباضية على الرجوع عن مذهبهم¹.

وزار الشيخ أبو عمران موسى بن زكرياء التجديتي (حي في: 405هـ/1014م) أبا محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري الجربي (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) فجرى بينهما نقاش علمي حول الطهارات والنجاسات².

وكان من عادة أهل المغرب السؤال عن أصحابهم وأهل دعوتهم، إن كان منهم من ذهب زائراً وعاد، فقد قدم أبو عمرو عثمان بن خليفة المرغني السوفي إلى وغلانة³ زائراً فلقى الشيخ أبو عبد الله سعيد بن عمار الزواغي⁴ (النصف الثاني ق: 5هـ / 11م)، غير أن أبا عبد الله لم يسأل أبا عمرو عن أهل الدعوة من بلاد أسوف، والجريد لكثرة زيارات السوفي لها ما حمل الناس عليه فسأله أحدهم: " لماذا لم تسأل هذا الشيخ - يقصد أبا عمرو - عن أهل الدعوة؟ "⁵ ثم أخذ في ذمه قائلاً: " إن الرجل يكون منه الرياء في شرف أجداده، وأرحامه، وقومه؟ "⁶ وهذا ما يدل على المكانة الكبيرة التي كان يبيدها الإباضية لزيارة أهل دعوتهم والسؤال عنهم، فلا يكاد يفوتون فرصة للاطمئنان على أوضاعهم، كما يستتكرون التفریط في ذلك، وإن بدا من مشايخهم.

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص483..

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص285.

³ من القرى المجاورة لأريغ. ينظر: الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، ص452. عرفها مسعود مزهودي خطأ بأنها من قرى بلاد الزاب في المغرب الأوسط. ينظر: مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296 - 442هـ) (909 - 1058م)، نشر جمعية التراث، غارداية، (د. ط)، 1996، ص37.

⁴ من العلماء المقتنين من قبيلة زواغة التي قطنت نواحي طرابلس، سكن أريغ وأخذ فيها العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، واعتمد عليه أبو زكريا يحيى بن أبي بكر في كتابه. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص183. وأيضاً:

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص620-621.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص620-621.

ثالثا: الزيارات الجماعية:

اتسمت بعض زيارات الإباضية بكونها تتم في جماعات، أو يكون للزائر فيها رفقة، فكان منها العفوية والارتجالية؛ أو المنظمة التي يتفق فيها الركب على المسير لزيارة الإخوان من أهل الدعوة الإباضية، وكانت عادة الزيارة الجماعية سمة مشتركة نظمها الإباضية في المغربين؛ الأوسط والأدنى.

1- الزيارات إلى المغرب الأوسط:

نظم إباضية المغرب الأدنى زيارات جماعية إلى المغرب الأوسط، اختلفت من حيث أعداد الزائرين فيها، وأغراض الزيارة، واستقبلت هذه الزيارات بكل حفاوة وكرم، وسعد بها أهل المغرب الأوسط أشد السعادة، حتى أن الشيخ أبا سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي (ط11: 500-550هـ/1106-1155م)، كانت له داران بوارجلان يفصل بينهما طريق، والداران متصلتان من أعلى الطريق، فاتخذ إحدى الدارين سكنا له، وأفرغ الثانية للضيوف، فكان وجود لضيوفه بأطيب ما يعدُّ في داره، وروى يخلف من يخلف التميمي جاري أنه أتى يوما في جماعة إلى الدار التي أفرغت للضيوف، فكانت هذه الدار مستقرا للزوار يرتاحون فيها¹، وزار محمد بن عباد ويحيى بن مسعود ونزوراس بن عبد السلام الشيخ عبد الله² وهو في تين وال³ وصادفوه في جنانه مشغلا وكان يرتدي نعلا باليا، فبادره الشيخ يحيى بن مسعود وأهداه نعلا جيدا، فأشار الشيخ عبد الله أن له نعلا جيدة في البيت، وإنما يتخذ هذه للعمل. ثم أنشد يقول للمشايخ شعرا من بحر البسيط:

أَلْبَسَ أَخَاكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خَلْقٍ وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا يُبْلَسُ الْخَلْقُ
وَأَنْ أَصْدَقَ بَيِّتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيِّتُ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صِدْقًا

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص 459-460.

² لم أتمكن من التعريف بهم إلا أن الزيارة كانت خلال القرن 6هـ/11م أو قبله لأن الراوي لهذه الرواية هو الشيخ أبو عمرو خليفة المارغني.

³ من قرى وارجلان. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص290.

وَأَتَمَّا الشَّعْرُ لُبَّ الْمَرْءِ يُعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ أَنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمْقًا¹

وذكر أن جماعة من العزاب فيهم أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، وأبو سليمان داود بن أبي يوسف الوارجلاني² (ت: 462هـ/1069م) توجهوا إلى تنومة³، وقد كان على أبي سليمان دين لرجل من تنومة، وفي الطريق لقيهم زنغيل بن نوح بن أبي نوح سعيد الوسياني الجريدي⁴ (ق: 5هـ/11)، فتكلم معه أبو سليمان وسأله عن الرجل الذي عليه دين، فأخبره بأنه مريض وعلى وشك الموت، فأضره ما سمعه، لكن الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر أراد إصلاح الأمر فأخبر أبا سليمان أن له ديناً على الرجل التنومي، وأنه سيقترضه منه، فكان قضاؤه بهذه الطريقة⁵.

وزار ثلاثة من أهل جربة هم الشيوخ أبو صالح بكر بن قاسم⁶ (ت: 431هـ/1039م)، وأبو موسى عيسى بن السمح الزواغي⁷ (ت: 431هـ/1040م) وأبو زكرياء فصيل بن أبي مسور الجربي (ت بين: 420-440هـ/1029-1048م) الإباضية من أهل المغرب الأوسط حتى وصلوا وارجلان، فقدموا إلى الشيخ أبي صالح جنون بن يمران⁸ (ق:

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص733.

² من كبار العلماء في وارجلان حيث عرضت عليه مؤلفات أبي العباس أحمد. وأخذ عنه جملة من علماء المغرب. ينظر: إسماعيل بن موسى الجيطالي، قواعد الإسلام، تحقيق: بشير بن موسى الحاج موسى، المطبعة العربية، ط1، غرداية 2001، ج2، ص291.

³ من مدن الزاب الشرقي في المغرب الأوسط. ينظر: مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص107.

⁴ معاصر للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر وهو ابن أبو نوح سعيد بن زنغيل الوسياني له رواية مع أبي عبد الله محمد بن بكر أوردتها كتب السير. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص437.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص860.

⁶ من بني إزرن، التحق بمدرسة العلامة أبي الربيع سليمان بن خلف، كما درس بجربة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص88.

⁷ من علماء زواغة، عرف عنه تحريره للصواب في أقواله وأفعاله، قتل في هجوم للصنهاجيين. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ص365.

⁸ كان شيخ الإباضية بوارجلان، تتلمذ على يد أبي يوسف يعقوب الطرقي الذي كان قد أخذ العلم عن بعض الأئمة الرستميين، اشتهرت أبو صالح بغزارة العلم، كما كان له دون في إطفاء نار الفتن بوارجلان، له وصايا وعبر نقل بعضها الوسياني، كان باراً بأهل دعوته في سائر الأمصار بقدر أبو خزر يغلي بن زلتاف الملاحق من الفاطميين. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص115-116.

4هـ/10م) فعانقوه وتبركوا برؤيته¹، كما زار أبو محمد ماكسن بن الخير الوسياني القيرواني (ت: 491هـ/1097م)، ويخلف التميمي جاري النفوسي (ط: 550-600هـ/1155-1203م) الشيخ أبا مكدول الزنفي الوارجلاني² (بين القرنين 4-5هـ/10-11م) فقدم لهما ضيافة كاملة، إكراما لقدرهما، فشكرا لصنيعه وسعد بزيارتهما سعادة كبيرة³.

وكان الشيخان أبو محمد جمال المدوني (حي بعد: 354هـ/967م) والشيخ أبو محمد ويسلان الجربي (ت: 431هـ/1039م) كثيرا ما يترافقان في الذهاب إلى المغرب الأوسط، وقد ذكر لويسلان في شأن أبي محمد جمال أنه ذو خفة وحدة فقال "بتلك الخفة بلغ وشرف وكمل"⁴ وقال: "ما صحبته إلى عتريس"⁵، وعتريس موضع يرجح أنه بين الزاب وأريغ لكثرة تنقل الرجلين إلى تلك النواحي، ويقصد بقوله جلدة صاحبه وأمانته وصبره في الخوض إلى الزيارات⁶.

وذكر أن رجلين من نفوسة يُدعى أحدهما أبو يعقوب، والآخر أبو يوسف وكانا يترافقان في زيارة تيهرت وغيرها، إلا أنهما عند وصولهما وارجلان تورعا في دخولها فنزلا قرب المدينة خوفا من الاختلاف لما كان في وارجلان من فتن على ما يبدو، واعتمدوا على إرسال من يقضي لهما ما يحتاجان منها، وهكذا كان دأبهما في زيارتهما المتكررة⁷، وكان الامتناع عن زيارة المناطق التي تعاني من الفتن والاختلاف من وسائل الإباضية في الحفاظ على دينهم، فقد امتنع أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي من السير مع محمد بن سليمان

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص436. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص342.

² من المشايخ الذين عرف عليهم الصلاح، تميز بحكمه باللسان البربري روي عنه الحكم والأفعال الصالحة ينسب إلى قبيلة زنزفة التي سكنت أرجاء واسعة من بلاد وارجلان بشكل أساسي. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص420. وأيضا: أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: 750هـ/1350م)، قواعد الإسلام، تح: بشير بن موسى الحاج موسى، المطبعة العربية، ط1، غارداية الجزائر 1998، ج1، ص353.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص420.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص486.

⁵ نفسه.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص486. عمر بوعصبانة، تحقيق سير الوسياني، ج1، ص486(هامش).

⁷ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص338.

النفوسي¹ (النصف الأول من ق: 5/11م) إلى وارجلان متحججا بتخبط أهل وارجلان بين الحسن والقبيح².

وزار أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الجريدي³ (ق: 6/12) رفقة الشيخ زكرياء بن أبي بكر الوارجلاني⁴ (ط: 11: 500-550هـ/1106-1155م) الشيخ أبا ميدول مصكوداسن الزنزفي⁵ (ط: 9: 400-450هـ/1009-1058م) فحدث عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر فقال أنه أرسل له يوما كتابا فيه " **مد اليد بما أمكنك، مد اليد بما أمكنك** " فأمر أحد العزاب بنسخها فكتبها مرة واحدة، مما أغضبه ودفعه إلى ذم طلاب هذا الزمان، لما ظهر عليهم من كسل⁶.

قد بلغ الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر البرقاوي⁷ (ق: 5/11م) أن أبا العباس بن محمد بن بكر الفرستائي⁸ (ت: 504هـ/1111م) يحتضر، وكان قد أوصى

¹ من علماء أبديلان بجبل نفوسة، رحل من أبديلان إلى وارجلان، من أجل التعلم على علمائها بتوجيه من أبي عبد الله محمد بن بكر (ت: 440هـ/1049م)، فأخذ من علمائها مختلف العلوم، وهو من طلب من أبي العباس حمد تأليف كتابه المعروف بـ "أبي مسألة". ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص378.

² الشماخي، **كتاب السير**، ج2، ص575.

³ من أبرز علماء الإباضية ولد بقسطيلية ببلاد الجريد التونسي ونشأ بأجلو ببلاد أريغ في الجزائر، له تأليف في السير حققه الدكتور عمر بوعصبانة اعتمد فيه على مصادر هامة من معاصرين للأحداث. إبراهيم بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص204.

⁴ أخ أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني صاحب السيرة وأخبار الأئمة له حكم وأقوال مأثورة، قصده الناس للفتوى، وله مناظرات علمية. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص155-156.

⁵ كان من رفقاء الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر كان واعضا وداعية إلى سبيل الصلاح. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص421.

⁶ الوسياني، **سير الوسياني**، ج3، ص825.

⁷ من مشايخ قبيلة لواتة الإباضية ببرقة، سكن شرق برقة ثم انتقل إلى أريغ منتصف القرن الخامس الهجري، الحاد عشر ميلادي. ينظر: تاديوش ليفتسكي، **دراسات شمال إفريقية**، مكتبة الصامري للنشر والتوزيع، ص98-99.

⁸ عالم فاضل أصله من فرسطاء، استقر في وارجلان، هو ابن أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، أخذ العلم عن أبيه وعن أبي الربيع سليمان بن يخلف (ت: 471هـ/1078م) تتلمذ على يديه علماء كبار من أمثال أبو عمرو عثمان بن خليفة وصالح بن أفلح، له تأليف كثيرة مثل كتاب القسمة وأصول الأراضين وكتاب في التوحيد توفي بأريغ. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، **معجم أعلام الإباضية**، ج2، ص49.

الشيخ أبا موسى عيسى الأريغي¹ (أواخر ق: 5هـ/11م) ليخبره عن حاله فوصل أبو موسى آجلو² الغربي ونزل دار يحيى بن جعفر الأريغي³ (حي في: 504هـ/1110م) فوجده يكاد يموت، فأرسل إلى أبي محمد عبد الله فجاء مسرعا بمن معه، وما إن وصل إلا وكان الشيخ قد توفي، وكان الشيخ أبو العباس قد أوصى أن يُصلي عليه أبو محمد فأخبر بذلك فتقدم للصلاة وصلى بمن معه ثم صَحِبَ الجمع إلى الدار فعزّاهم، ثم خرج مع جمع من الناس زائرين الشيخ أبا صالح يعلو الأريغي⁴ (ت: 513هـ/1124م) للعزاء والعيادة، ثم مضى إلى تين وال، وكان قد أنشد بيتا من بحر البسيط حين دفن الشيخ :

حَسِبْتُ الْخَلِيلَيْنِ أَنَّ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهِمَا وَهَذَا تَحْتَهُمَا بَالٌ⁵

ومرض الشيخ إسحاق بن أبي العباس بن محمد بن بكر⁶ (ق: 6هـ/12م) فقرر الشيخ أبو زكرياء يحيى بن زكرياء⁷ (ق: 6هـ/12م) ومن معه من العزابة زيارته في آجلو فكان

¹ قد يكون هو الشيخ أبو موسى عيسى بن فافين (أواخر ق: 5هـ/11م) الذين كان شيخا رئيسا في أريغ إلا أنه لا يوجد ما يؤكد ذلك. ينظر: الشماخي، كتاب السير، ج2، ص723.

² المعلومات المتوفرة حول آجلو تفيد بأنها من قرى أريغ دون أن تمكن من تحديد موقعها بدقة.

³ يحيى بن جعفر الوسلاتي المزاتي أحد مشايخ آجلو بأريغ، أخذ العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر (ت440هـ/1110) كان معروفاً بتنقلاته في بلاد أهل الدعوة، وله روايات في كتب السير والطبقات. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص457.

⁴ شيخ علم جليل من آجلو بوادي أريغ، أخذ العلن عن أبي عبد الله محمد بن بكر، وكانت به حلقة علم بآجلو، من آثاره أقوال فقهية وحكم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص476.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص420-421.

⁶ حفيد أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، سكن آجلو، وله آثار يرويها صاحب المعلقات، فقد أفتى بعدم جواز الكراء لأصحاب الجمال حتى يوصلوا الأحمال إلى الموضع المتفق عليه، وسأل العزابة عن معرفته بالله فأجابوا بالإيجاب. ينظر: مجهول: كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تحقيق: سليمان بابزيز، نشر وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان، 2009، ص124-125.

⁷ وهو ابن أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن فصيل الزواغي.

أحدهم يأخذ لَفَمَ الطعام ويعطيها للشيخ ما جعل الشيخ يخلقتن¹ ينكر ذلك، لما رآه من انتقاص من قيمة الشيخ وفضله².

وقدم وفد من الزائرين من قسطليلية قاصدين المغرب الأوسط، فتلقاها الشيخ أبو محمد عبد الله اللواتي واستبشر بهم قائلا: " جعل الله مجيئكم مجيء أبي مودود إلى أهل حضر موت " ³ لكنه تأسف على لقائهم قبل دخولهم المغرب الأوسط، وتمنى لو أنه تلقاهم في أسوف أو وغلانة⁴، ثم استمروا في المسير إلى أن وصلوا آجلو، وكان معهم الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد، وظهر سوء خلق من فتیان آجلو تجاه الشيخ، فأخرجهم الشيخ داوود بن أبي سهل⁵ (بين ق: 5-6هـ/11-12م) من الخطة⁶، ولم يرددهم إليها إلا بعد أن تابوا واستسمحوه وكان ذلك في العام 490هـ/1057م⁷.

وحدّث الشيخ ماكسن بن الخير الوسياني القيرواني(ت:491هـ/1097م) أنه طلع بجماعة في زيارة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي في تين يسلي عام المجاعة، وقد كانوا قبلها في وارجلان فأكرمهم أحد أهلها إكراما كبيرا، وهو ما جعلهم يذكرونه عند الشيخ ويطلبون منه الدعاء له لما بدر منه في إكرام أهل مذهبه والعطاء في ضيافتهم، إلّا أن الشيخ أبا عبد الله استغل هذه الفرصة لإرشاد الزائرين ونصحهم بأخلاق الزيارة، والحث على اتباع سيرة السلف، بعدم التركيز على الضيافات والإكراميات، والعمل على إحياء سير

¹ قد يكون المقصود هو يخلقتن بن أيوب النفوسي (ط: 10: 450-500هـ/1058-1106م) من مشايخ نفوسة، تنقل بين العديد من حواضر الإباضية في المغرب للتعليم، تعلم على يد علماء بارزين منهم إسماعيل بن أبي العباس. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص466-467.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص675.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص480.

⁴ نفسه.

⁵ من مشايخ طرابلس كان له شأن عظيم بين مشايخ الدعوة، اشتهر بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص139.

⁶ المقصود من حلقة العزابة ونظامها.

⁷ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص745.

الأولين واتباع خطاهم. ثم دعا لصاحب الضيافة بعد ذلك¹، ولا يمنع هذا أن مظاهر البر بأهل المذهب واجبة وضيافتهم الكاملة أمرا يكمل به إيمان الشخص، فلا ينبغي للإباضي الانتقاص من إكرام زواره، أو إطعامهم ما زاد عن حاجته، بل يجب عليه إكرامهم بأفضل ما هو عنده، فقد طلع جماعة من العزاب زائرين، منهم قاسم بن مكنود² ويكنول بن عيسى بن أبي نوح سعيد بن يخلف المدوني التمسكوي³ (ق: 4/10م)، فوصلوا نواحي الزاب فضيقتهم مصكوي الزنداجي الزابي⁴ (ق: 5/11م) وكان صديقا ليكنول بن عيسى وجاءهم بالطعام وعليه لحم شاة، وكان الشيخ أبو نوح يميز ريح لحم الشاة المريضة عن غيره، فلما شمه أدرك أنه لحم شاة مريضة، وكان الشيخ المصكوي واقفا عندهم لخدمتهم فقال له الشيخ أبو نوح " هلا جَعَلْتَ على الإسلام، فإن كان فيهم فقد استحقوا أكثر من ذلك، وإن لم يكن فيهم فقد أصبت ما طلبت "⁵ فلما سمع الشيخ هذا الكلام طأطأ رأسه حياءً، فَمَدَّ الشيخ يده وطلب منه رفع رأسه⁶. ولم يكن فعل الشيوخ عتابا وانتقاصا بقدر ما هو إرشاد ونصح، كما هو خوف على ضياع سير الأولين والتهاون في خدمة أهل المذهب والوقوف على أحاولهم، فما كان المشايخ طالبي ضيافة ودنيا، بل كان همهم الحفاظ على السير والتماسك والبذل في سبيل تماسك المجتمع وتعاونهم، والإكبار بأهل العلم وخدمته.

وقدمت جماعة من بني درجين⁷ تين يسلي زائرين الشيخ أبا عبد محمد بن بكر الفرستائي، وكان يعقوب بن أبي القاسم يونس الأريغي¹ (ق: 5 / 11م) معه فأراد الشيخ

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص817-818.

² لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بجوزتي.

³ لم أتمكن من التعريف به إلا أنه ابن أبي نوح سعيد بن يخلف الذي سبق وأن عرفنا به.

⁴ شيخ إباضي من نواحي الزاب. ينظر: الشماخي، كتاب السير، ج2، ص715.

⁵ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص715.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص842-843.

⁷ نسبة إلى درجين من مدن بلاد الجريد في الجنوب التونسي. ينظر، مسعود مزهودي: جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام

حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (21-442 هـ / 642 - 1053 م)، ص10.

أبو عبد الله النّحضر لاستقبالهم وضيافتهم ولم يكن له ما يضيفهم به فسأل الشيخ يعقوب شاة يشتريها، فأخبره أنه لا يملك إلا شاة واحدة في آجلو، فلم يتحير الشيخ أبو عبد الله، ودخل داره فنام قليلا، ثم خرج، فطلب من يعقوب أن يخرج وينظر ناحية القبلة، فخرج فلم يبصر شيئا فعاد، ثم انتظر قليلا وكرر طلبه فخرج الشيخ يعقوب، فإذا به يبصر شخصا قادمًا من بعيد ومعه شاة يسوقها، وما إن وصل حتى عرفوا أنه شخص من بني وليل² قدم للشيخ بشاة هدية، فذبحها الشيخ للأضياف القادمين³.

وفي عام زيارة هو العام 508هـ/1114م⁴ زار وفد كبير نواحي أريغ ووارجلان منهم الشيخ داوود بن أبي سهل الطرابلسي⁵ (بين ق: 5-6هـ/11-12م) فمروا على الشيخ يعلو بن صالح الأريغي (ت: 513هـ / 1124م) فعاتبوه على أمور بدرت منه، فتاب وتعهّد بعدم العودة إليها مرجعا ذلك إلى ضعفه ومرضه، لا من تغييره وتبدله، فقبلوا منه، كما أوقفوا إسماعيل بن أبي العباس⁶ (بين ق: 5-6هـ/11-12م) فتاب من كل ما بدر منه، ووصلوا تين وال وأوقفوا الشيخ تبغورين بن عيسى، فاتّاهم إلى تين وال وأعلن توبته فتقبلوها، وكانوا قد عاتبوا مشايخ أريغ فتابوا وقبلت منهم توبتهم⁷ وتأتي هذه الزيارة لتصحيح أخطاء اعتُرت

¹ من أعلام بني وليل إحدى فروع قبيلة زناتة بوادي أريغ أخذ العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي (ت: 440هـ/1049م) في حلقته بأريغ، يعد من بين الرواة الذين اعتمد عليهم أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص471-472.

² قصر في إقليم أريغ. ينظر: الدرجيني: طبقات المشايخ، ج2، ص442.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص260-261.

⁴ ورد بأنها سنة 408هـ خطأ أرجعه عمر بوعصبانة للناسخين، لأن الشيخ يعلو لم يكن قد ولد خلال هذه السنة وإنما الصحيح أنها سنة 508هـ. ينظر: عمر بوعصبانة، تحقيق سير الوسياني، ج2، ص714 (هامش).

⁵ من مشايخ طرابلس كان له شأن عظيم بين مشايخ الدعوة، اشتهر بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص139.

⁶ ليس لدينا معلومات كبيرة عنه غير هذه الرواية التي توحى بأنه من مشايخ أريغ خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي.

⁷ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص714.

الإباضية في المغرب الأوسط، وقد آتت جهودهم أكلها وردت الأمور إلى نصابها بكل يسر وسلاسة لما تمتع به مشايخ الإباضية من قدرة على تسيير النسيج الاجتماعي.

واتخذت بعض الزيارات طابع التنظيم والضخامة مثل الزيارة التي كان فيها الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي الذي كان محلًا في نواحي قلعة بني علي¹ مع تلامذته الذين رغبوا بتنظيم زيارة تجمع أنصار الإباضية من مختلف مناطق المغرب الأدنى، فأرسلوا إلى جربة في ذلك، إذ لحقهم بعض أهلها وتوجهوا إلى قسطنطينية، وذلك سنة 449هـ/1057م، ثم توجهوا إلى قنطرة، ثم سار الشيخ ومن معه حتى وصلوا أسوف، فأراد أهلها أن يمكث المشايخ عندهم زمانًا، إلا أنهم استعجلوا المسير، ومع إصرار أهل أسوف عليهم قبلوا البقاء فترة، ومن أسوف انتقلوا إلى وغلانة ومنها إلى تماسين²، وكانوا في عجلة من سيرهم فأمسكهم أهل تماسين وأحبوا بقاءهم وكرهوا مفارقتهم، وأيدهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الذي رغب المشايخ في البقاء حبا في أنسأ أهل تماسين بهم، وسار الجمع بعدها إلى ورجلان، وقبل دخول ورجلان اجتمع من في الوفد للاتفاق على بعض الأمور منها أن لا يبدر منهم إلا ما تقتضيه الزيارة والوعظ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يتمتعوا عن كل فعل دنيء أو خلق سوء أو أي مطمع، فلما دخلوها التقت حولهم جموع كبيرة حتى قيل: " لم يجتمع في أهل الدعوة من الأخيار مثلما اجتمعت في هذه المرة في بلد من البلدان وفي ذلك العصر"³ وقد استغل أهل تين باماطوس⁴ وفود المشايخ لرفع شكواهم من خليفة بن برارة⁵ الذي كثر ظلمه، فلما حضر خليفة للزائرين امتنعوا عن مصافحته، وصار يتوب وألح في طلب العفو، فنزلوا طرف المدينة وذبحوا لأهل ورجلان

¹ منطقة تقع في جبل زنزفة قرب جبل دمر في ليبيا. ينظر: إسماعيل بن موسى الجيطالي، قواعد الإسلام، ج1، ص353.

² تقع في إقليم أريغ لانتزال تحافظ على نفس الاسم لحد الآن.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص271-275.

⁴ من قرى ورجلان. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص32.

⁵ لم نتمكن من التعريف به انطلاقًا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

ثلاث نياق لإيلاهما لهم، وكان في نيتهم حضور خليفة للصلح بينه وبين أهل وارجلان، بعد ردّه الحقوق لأهلها، لكنّه امتنع عن الحضور، ثم قصد الزائرون مسجد الشيخ أبي صالح جنون بن يمران الوارجلاني، وطافوا بمنازل سدراته¹ فكانوا كلما دخلوا منزلاً اجتمعوا بأهله فأمرهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر، ونصحوهم باتّباع السير، وحلت عليهم سنة 450هـ/1058م بنواحي وارجلان، فمضوا متوجهين إلى بلدانهم وفي سماطة² تفرق الزائرون كلّ إلى بلاده، فقصد أهل قسطالية بلادهم، وكذلك فعل الجريون، والطرابلسيون، فيما انتقل الشيخ أبو الربيع إلى زنزفة³ حيث يقيم⁴.

وطلع أبو الربيع سليمان بن يخلف، مع أبي عبد الله محمد بن بكر زائرين وارجلان في جماعة كبيرة من الإباضية، فسمع أهل وارجلان بقومهم، فأراد الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر تنظيم هذه الزيارة لضمان السير الحسن لها، فاتخذ لكل قبيلة سفيرا يرعى شؤونهم أثناء الزيارة خوفاً من أي طارئ قد يحدث أو سوء تفاهم، فطلب من أحد رجال طرابلس المدعو جلداس أن يقوم على شؤون أهل طرابلس فرفض وقال: "لا أملك إلا نفسي" ما جعل الشيوخ يستكبرون عليه فعله هذا، فأخرجوه من الخطة، وما رده حتى تاب واستغفر ربه، ثم أتم الجمع المسير إلى وارجلان، فكانت زيارتهم لها في أمان وسلام وأدوا حقوق أهلها بأكمل خير⁵.

ومن الزيارات الكبرى أيضاً الزيارة التي حدثت في تجديت، إذ اجتمع بها من أهل الفضل والعلم والأدب والخير ما لم يجتمع في سائرهما من بلدان أهل الدعوة في ذلك الأوان على حد وصف الوسياني في كتابه السير، وذكر أنه في هذا الاجتماع تم عدُّ ثمانين توأم

¹ قصر يقع إلى الجنوب من وارجلان لاتزال أطلاله قائمة لحد الآن.

² موضع يقع بين الحامة ودرجين. ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص98.

³ جبل يقع في نواحي جبال دمر. ينظر: أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: 750هـ/1350م)، قواعد الإسلام، تحقيق، بشير بن موسى حاج موسى، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1998، ج1، ص353.

⁴ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص271-275.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج3، 818-820.

ومائتي حافظ للدفاتر والكتب، ومائة عالم لا يرجع أحدهم لآخر مسألة من مسائل العلم إلا أدبا، ووصف كثرتهم بأنهم حين يصطفون للصلاة ويكبرون تكبيرة الإحرام تفرغ المواشي وتتفر من مرابطها لشدة أصواتهم¹. ورغم أننا لا نملك معلومات حول أسماء الحاضرين في هذا الاجتماع ولا أصولهم، غير أن ضخامة الحدث توحى بأنه ضم إباضيين من مختلف المناطق.

2- الزيارات إلى المغرب الأدنى

كأقرانهم من إباضية المغرب الأدنى نظم إباضية المغرب الأوسط زيارات جماعية كانت وجهتها حواضر المغرب الأدنى لغرض الزيارة وتفقد أهل المذهب.

فذكر أن جماعة من أهل وارجلان منهم عمران بن زيري الوارجلاني² (ق: 5/11م) ومحبوب بن أبي عبد الله السدراتي³ (ط: 9: 400-450هـ/1009-1058م) خرجوا زائرين فقال عمران لصاحبه "سيروا بنا لرؤية الأخيار"⁴ فوصلوا أريغ ثم كرر "سيروا بنا لرؤية الأخيار"⁵ حتى وصلوا جربة وما إن وصلوها حتى قال "هل رأيتم الأخيار"⁶، ثم ذهبوا إلى المسجد الكبير وقت صلاة الظهر، فنظروا إلى أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور الجربي، فاستعدوا لمعانقته، إلا أن عمران نبههم بأنه لن يصادفهم في هذا الوقت، فلما وصل إليهم سلم عليهم واشتغل بالتخضر للصلاة فتوضأ وصلى، ثم عاد إليهم فصادفهم وعانقهم جميعا، وكان قد سألهم أهل جربة عن أفضل من جاء معهم فقالوا لهم: عدل بن اللؤلؤ الوارجلاني⁷ (ق: 5/11م)، وسليمان بن موسى الزلغيني الوارجلاني¹ (ق: 5/11م)².

¹ نفسه، ج2، ص645.

² من بني ياجرين. من ساكنة وارجلان. ينظر: أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص315.

³ شيخ علم عرف عليه الصلاح، من سدراتة قرب وارجلان، أخذ العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي (ت: 440 هـ/1049م) روى عنه أبو زكرياء في سيره. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص355.

⁴ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص316. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص808-810.

⁵ نفسه.

⁶ نفسه.

⁷ مؤذن إباضي من تين بامطوس. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص981.

وكان عمران بن زيري الوارجلاني (ق:5هـ/11م) شغوفا بزيارة أهل جربة حيث ذكر لأمه يوما أن أهل جربة من أحسن ما رأى من الرجال في حياته، وكان يقول للشيخ نوح بن المناسك³ " زر الأخيار يا نوح، فإن مثل من لم يلق الأخيار كجرو لم تفتح له عين " وقال " كيف يفلح من لا يرى مفلحا؟ "⁴.

وجازت جماعة من عزاب أريغ على الشيخ محمد بن أبي صالح النفوسي⁵ (ق:5هـ/11م) في أمسنان⁶ فقال لهم " أنتم بنو مغراوة أعظم منا بختا وحظوة، بختكم التي ساقط إليكم أبا عبد الله محمد بن بكر، وفيه خمس خصال قليلة في غيره من أهل العصر: عالم ورع عابد، سخي، شجاع من ذروة نفوسه "⁷.

وفي سنة 460هـ/1067م خرجت جماعة من أهل وارجلان متوجهين إلى طرابلس، فحلت عليهم سنة 461هـ/1068م وهم في تمولست، وفي نفس السنة توفي داوود بن يوسف اليرتاجني الوارجلاني، وهم في زنزفة، فشيعة المشايخ في قلعة بني علي، وكان فيهم علي بن منصور الدمري⁸ (ق:5هـ/11م) ، وإبراهيم بن يوسف الوارجلاني⁹ (ق:5هـ/11م)، ثم تهيأوا للرجوع، فأرادوا تعزية الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي الذي قدم من زنزفة إلى منزله بتمولست، لكنهم تحيروا فيمن يبادر بإخباره عن وفاة الشيخ ويعزيه فيه، فتقدم أبو

¹ من مشايخ تين باماطوس إحدى قرى وارجلان، كما كان شيخ حلقة علم بأجلو، له حكم ومواعظ رويت عنه. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص213.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص316. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص808-810.

³ لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي في حوزتنا.

⁴ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص316. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص809.

⁵ أورده الشماخي باسم محمد بن صالح النفوسي المسناني، وجعله من المشايخ المشاركين في تدوين ديوان العزابة. ينظر: الشماخي: كتاب السير، ج2، ص627.

⁶ بلدة لم يحدد موقعها بالضبط ويحتمل أن تكون من قرى بلاد الجريد ليست بعيدة من قنطرار. ينظر: مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص25.

⁷ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص703.

⁸ محدث إباضي من بني يهراسن، عاش في نواحي جبل دمر. محمد حسن، تحقيق سير الشمخي، ج3، ص985.

⁹ شيخ إباضي من وارجلان. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشمخي، ج3، ص889.

إسحاق إبراهيم بن يوسف إلى الشيخ وكان راكبا على حصان فقال: " أحسن الله عزاك في الشيخ وأجرك في المصيبة فيه " ¹ فرد الشيخ أبو الربيع " ومن الشيخ " فقال " أبو سليمان داود بن يوسف " ² فنزل الشيخ عن حصانه وأدوا له واجب العزاء، ثم ساروا معه وهو يحدثهم عن سير الأولين وعن مكابدتهم للصعاب، ومآل الناس من بعدهم، بما عم فيهم الفساد ³.

وفي العام 471هـ/1078م رجعت جماعة فيهم الشيخ أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني من عند الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف، وهو بتمولست، فوقف لتوديعهم عند عين تونين ⁴، فطلب رجل منهم من الشيخ نصحهم فقال " امضوا بالسلام. فإذا وصلتكم منازلكم، إن شاء الله، فإياكم والدنيا أن تستقبلوها بوجوهكم. فمن استقبلها أغرقته، ومن استدبرها فلا بد أن تأخذ منه، وعليكم بالنصيحة والألفة والتزاور فيمن يرد عليكم من أهل دعوتكم والسلام " ⁵، وكان الشيخ إبراهيم بن ماكسن يريد العودة معهم إلى بلادهم، وله عند الشيخ أبي الربيع شعير كان قد أسلفه له، وكره الشيخ أبو الربيع أن يسافر، ولم يقض ما عليه، فسأله عن سعر الشعير ودفع له قيمته، وهو ما يظهر أنه يحب أن يكون المسافر لزيارة أو غيرها قد قضى جميع ديونه، وليس له شيء يتبعه، لتتم زيارته على خير ⁶.

وزار الشيخان أبو نوح صالح التجمي الأريغي ⁷ (حي في: 557هـ/1161م)، وأبو القاسم يونس بن أبي زكريا الجربي ¹ (ق: 5هـ/11م) أبا محمد عبد الله بن مانوج الجربي، فلما

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 367-368. الوسياني، سير الوسياني، ج 3، ص 887-888. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج 2، ص 438.

² نفسهم.

³ نفسهم.

⁴ يظهر أنها موضع قرب تمولست.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، 371-372.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، 371-372.

⁷ من علماء أريغ روى عنهم أبو عمار عبد الكافي وأبو سليمان أيوب له كتاب في السير ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ص 226.

كانا راجعين من عنده، مرا بشجرة تفاح لابن مانوج، فأراد إكرامهما بما تجود من ثمار، فأشار لأبي يونس بأن ثمارها ناضجة طيبة، فنزل ونزع حذائه، فأخذ يقطف الثمار منها، فأعطا منها للشيخ أبي نوح صالح، ومضيا بها إلى أهلها، ورجع الشيخ عبد الله بن مانوج بعد توديعها، فمر على موضع الشجرة التي قطفوا منها الثمار وقال " ... لم يزل الصالحون في أموال إخوانهم، لهم ولغيرهم، وذلك يوجب المودة والمحبة"² وكان قوله هذا حثا على إكرام الزائرين وبذل كل ما يمكن في إدخال السعادة إلى قلوبهم.

وزارت جماعة من أهل وارجلان الشيخ أبا الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي، وهو بمنزله في تمولست على ما يبدو، وكان قد بلغه انتشار زواج السر في وارجلان، وله ابن مقيم بها، فلما تهيأ الزائرون إلى العودة، أوصاهم بوصية يُبلغونها إلى ولده وهي " إن بلغني عنه هذه الخصلة التي في وارجلان فقد قطعني، ولقد طفت تلك النواحي عشرين سنة فما سمعتها عمن فيه خير، ولكن من أراد أن يسوغ له تخليطه، جعل يحكيه عن الأخيار ويقذفهم به، حاشا لهم من ذلك، لا يرضى بتلك الأفعال من يشفق عن نفسه ودينه، إلا من اتبع هواه، وآثر شهوته "³ فلقد كان أبو الربيع خبيرا بالمنطقة لكثرة زيارته وتنقلاته، ولم يغنه بعد المسافة عن أخبار ولده خوفا مما قد يحدث في نفسه، فقدم له تحذيرا، ولم يكن متسرعاً في الحكم، إذ أدرك أن الكثير من الأخبار هي قذف في الأخيار ولا محل لها من الحقيقة، وهو ما يدل على حنكته رحمه الله، وبرّه بأولاده وحسن تصرفه.

وخرج أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي بحلقته التي كانت تضم العزابة من مختلف المناطق زائرا بلاد الساحل⁴ فخرج إليهم الناس من القرى مستقبليين، وكان فيهم رجل

¹ من علماء جربة، وهو نجل الشيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور، كانت له جلبة علم بالجامع الكبير بجربة، أرسله والده إلى أبي عبد الله محمد بن بكر فدرس عنده بأريغ، ساهم في توطيد أركان نظام الحلقة بجربة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص497.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص589.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص815.

⁴ الظاهر أن المقصود بها جربة.

من تلاميذ الشيوخ، ولم تعجب هيأته الشيخ فقد كان يرتدي لباسا غير لائق، فصافحهم هؤلاء الناس واستقبلوهم أحسن استقبال، ثم أدخلوهم المنزل، وقد أدخلهم ذلك الرجل إلى بيت وأدخل معهم ممن يظهر أنهم جند للصنهاجيين، فأكلوا من الطعام، وفي نية الشيخ إخراجهم من خطة العزابة لما بدر منه، ثم دعاهم إلى بيت آخر وأحضر لهم طعاما خصهم به، وأشار إليهم أنه إنما صنع ما صنع من دعوة أعوان السلطان، مداراة للزائرين كي لا يصلهم شرهم، ثم خرجوا إلى المسجد وصلى بهم، ثم قرأ القرآن وفسر، فلما رأى الشيخ أبو عبد الله سداد رأيه وتقفه، انقشع ما كان في نيته عليه، وحمد الله على عدم تسرعه¹. وكان زيري بن لقمان² مقيما في أسوف، فلما سمع بقدوم المنصور بن بلكين الصنهاجي³ (حكم: 374-384هـ/995-984م) إلى القيروان، قدم في وفد من مغاوة لزيارته، ويظهر أن هذه الزيارة كانت مداراة للإباضية في المغرب الأدنى، كي لا يلحقهم من أذى المنصور شيء، وهو ما أكسبهم وده فوفدوا عليه وزاروه⁴.

وشكل ركب الحج فرصة سانحة أمام إباضية المغرب الأوسط لزيارة إخوانهم في بلاد المغرب الأدنى، كون الحاج المنطلق من المغرب الأوسط نحو الحجاز لابد أن يمر على المغرب الأدنى، ومن هذا ما وثقه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني⁵ (ت: 570هـ/1175م) في قصيدته الحجازية، التي استهلها بذكر الخروج من وارجلان، والتعريف بمن في الركب من أفراد وقبائل، وكذا التعريف بالطريق إلى مكة ووصفها، ثم التطرق إلى

¹ الوسياني، سير الوساني، ج1، ص361-362. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص387-388.

² لم أتمكن من التعريف به ويظهر أنه من أهل أسوف.

³ أمير صنهاجي تولى الحكم بعد وفاة والده بلكين سنة 374هـ/984م. ينظر: الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م. ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ج1، ص31.

⁴ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص378-379.

⁵ من أشهر علماء الإباضية في بلاد المغرب، ولد بسدراتة تتلمذ على يد أبرز علماء عصره، له عدة رحلات منها إلى بلاد السودان والأندلس، ومن إنتاجاته العلمية: تفسير القرآن، كتاب العدل والإنصاف، الدليل والبرهان، والقصدية الحجازية: توفي سنة 570هـ، ودفن بسدراتة. ينظر: إبراهيم بجاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص481-482.

المناسك، نسكا نسكا حتى رجوعهم¹، وقد شرع في هذا بقوله: " خرجنا نؤم الشرق من حيز وارجلان بفتيان صدق من وجوه العشائر " وأشار إلى أن مركبهم في هذه الرحلة كان من الخيل بقوله: "بصيابة من خير كل قبيلة" ثم أهم القبائل التي كانت في الركب بالقول: "ومغراوة غليا زناتة كلها " ويظهر أن الركب لم يكن في جمعه النهائي منذ انطلاق الرحلة من وارجلان، بل انظم إليه جمع آخر من مكان ليس ببعيد ونستنتج ذلك من البيت: " لدى ملتقى الجمعين جمع زهانة وجمع بني فركال أسد البرابر"، وكان الوارجلاني كريما مع أهل دعوته من بلاد المغرب الأدنى الذين استقبلوهم وأكرمهم، بذكرهم في قصيدته ومنها بلاد جرمة وفزان من أرض ليبيا الحالية: " جزی الله عنا جرمة وبلادها وفزان خيرا شاكرًا"².

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص494-495.

² أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، رحلة الوارجلاني، تح: يحيى بهون حاج امحمد، وزارة الثقافة، (د.ط)، الجزائر، 2008، ص37-42.

المبحث الثاني: الهجرة.

أولاً: رحلة البحث عن جوغراف.

لقد كان للهجرة أثر محوري في إظهار الدين الإسلامي وتمكنه، فقد هاجر المستضعفون من المسلمين إلى الحبشة، وكانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه من مكة إلى المدينة التي تكاثفت جهود المؤمنين فيها من مهاجرين، وأنصار في نصره الدين الإسلامي، ويقول الله سبحانه وتعالى في فضل الهجرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِيهِ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَاُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝¹ وللحجرة أثر في تهذيب أحوال المسلم ودعوته إلى الخير، إذا كانت النية منها إصلاح الحال وتجديد الإيمان فقد بلغ عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه "².

ويبدو أن الهجرة وأثرها الراسخ في مسار الدعوة الإسلامية قد ترك أثره في الأدبيات الإباضية خلال فترة عرف فيها المذهب الإباضي في بلاد المغرب تراجعاً، فظهر ما يعرف بالهجرة نحو جوغراف، وهي هجرة على نحو ما هجر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجغراف مدينة اختُلف في موقعها بالتحديد، وعجز عن تحديد تاريخ دقيق لظهور هذه الفكرة، إذ يعد كتاب السيرة لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت471هـ/1078م) أقدم المصادر التي بين أيدينا ممّا ذكرت هذه الأسطورة، ويذكر صاحب كتاب السيرة ما انتقاه من

¹ سورة النساء، الآية 97.

² أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ص612 (2529).

روايات حول موضعها، ففي حين أرجعتها روايات إلى كونها وارجلان¹، ترجعها أخرى إلى أريغ². وروي عن أبي نوح صالح بن إبراهيم بن يوسف الأريغي³ (حي في: 557هـ/1161م) أن قرية آجلو وتين يسلي هما في حيز جوغراف⁴، واعتبر أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني أن آجلو الغرب التي هي في حيز أريغ هي جوغراف، ورواية أخرى ذكرت أن موضع جوغراف يبعد عن وارجلان مسير ستة عشر يوما فحسب⁵.

ويقول الاعتقاد أن الإباضية سيضطرون إلى الهجرة نحو هذا الموضع بسبب الزلازل وشدائد الأمور، إلا أن السبب الرئيس لهجرتهم الموعودة إلى هذا المكان هو الحفاظ على الدين والتمسك به من فتن ستصيب المسلمين في دينهم، فقد أورد أبو زكرياء الحديث عن جوغراف في باب سياق ذكر فيه حال المسلمين في آخر الزمن واشتداد البلاد وقلة الإيمان، وفضل الهجرة بالدين⁶. وهو ما يؤكد أن الهجرة نحو جوغراف، إنما تكون بوازع ديني، هدفها الأساسي صيانة العقيدة والخوف من الفتنة. وما يعزز ما ذهبنا إليه أن التراجع الإباضي في الفترة التي ظهرت فيها هذه الأسطورة إنما هو مقرون بأسطورة جوغراف، التي لا يوجد لها تفسير منطقي، عدا أنها تعززت بالخوف على المذهب والتوغل في التراث الإسلامي داخل المخيلة الجماعية، غير أن الذي نسعى للوصول إليه هو الربط بين هذه الأسطورة، وتفعيل حركة الهجرة بين بلادي المغرب الأوسط والأدنى، انطلاقاً من الربط الواقعي الذي نجده في أقوال المشايخ وأفعالهم.

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 377.

² نفسه، ص 378.

³ من علماء وادي أريغ، روى عنه كثير من المشايخ من أمثال: عيسى بن يرصوكسن، وأبو عمار عبد الكافي، وأيضا أبو الربيع سليمان الوسياني، له كتاب في السير. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج 2، ص 226.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج 2، ص 576.

⁵ مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص 193-194.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 381.

كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي كثير الذكر لجوغراف، فكان يتحسس أمرها ويتبينه عبر إرسال من يستكشف شأنها حتى أنه عمد مرة إلى المسير إليها مع بعض أصحابه، فأراد أهل وارجلان اللحاق به، فردّهم خوفاً عليهم من مخاطر الطريق، وكان أبو عبد الله ومن معه يحفرون الآبار في الطريق طلباً للماء، لكنها كانت تنهدم، وكانت معه امرأة رأت ما يسوء هذه الرحلة، ووافق ذلك وفود مشايخ وارجلان وهو عند إزليج¹ فقرر الرجوع، وكان المشايخ قبل لحاقهم بالشيخ قد تخلصوا من كل ما يشغلهم من ديون وغيرها وهو ما يؤشر إلى أنهم كانوا مستعدين للمضي معه، لولا عدم موافقته على مرافقتهم².

ومنى الإباضية أنفسهم بالعيش إلى أن يشهدوا جوغراف ويموتوا فيها، فقد روي عن الشيخ خزون بن المعز³ (ق: 5هـ/ 11م) أنه قال: "أريت أني لا أموت إلا في جغراف، وأنه آجلو"⁴، فتوجه ذات سنة حتى وصل وغلانة، ومرض فيها، فأمرهم فجمعوا حليب النساء، فمخضه وجعل زبده لعلته، فبرأ، فلما وصل آجلو مرض فيها، فبعث إلى الشيوخ فجاءوه، وما إن جلسوا حتى قام وخرج من البيت، ودار في الدار غربي المصلى للشيخ عيسى بن الشيخ نوح، فرجع إليهم وقال لهم، هذا المريض الذي لا ترجع أفعاله إلى الثلث، فأوصى بوصاياه، ثم تمادى به حتى مات⁵. ونرى تحريفاً في كتابة اسم جغراف عن الوسياني ففي حين ترد عند أبي زكرياء "جوغراف" يوردها الوسياني "جغراف" ولا نرى اختلافاً بين الموضعين، لذكرهما على السياق نفسه وهو الهجرة إلى مدينة موعودة.

¹ غير محدد والظاهر أنه موضع يقع شرق وارجلان.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 380-381. الوسياني، سير الوسياني، ج 3، ص 906-908.

³ لم أتمكن من التعرف عليه والراوي عنه هو الشيخ أبو نوح صالح بن إبراهيم (من أريغ) وأغلب روايات أبي نوح عن أخبار عن إباضية المغرب الأدنى.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج 2، ص 576.

⁵ نفسه.

وذكر عن امرأة سالحة مانوجية، تنبأ لها رجل بأنها ستموت في جوغراف، وأشار لها إلى ناحية الغرب ووصف لها جوغراف وحدودها، فارتحلت مع والدها طالبة جوغراف، فكانت كلما وصلت إلى مكان أشير لها فتقول: " ليست هي " حتى اقتربت من أجلو ووصلت كديتين بها فأشارت بأنها أرض جوغراف، فسكنت أجلو حتى توفيت بها¹.

وتروي المصادر الإباضية الهجرة المنشودة إلى جوغراف وتبيان حيثياتها ومآلها، فعن أبي جدرن الرشيد السوفي² (ط8: 350هـ - 961/400 - 1009م) أنه نزل قرب أسوف فمر عليه رجل من أسوف، و سأل الرجل أبا جدرن عن جديد الأخبار، فأشار إليه إلى أن أهل درجين قد خرجوا من قنطرار إلى أسوف، وأنه يخشى أن تكون روايات الماضين قربت، فاستعجب الرجل من كلام الشيخ وطلب توضيحا فقال: " إذا انتقل بنو درجين من قنطرار إلى أسوف وانتقل أهل أسوف إلى أريغ وانتقل أهل أريغ إلى وارجلان، فإذا اجتمعوا في وارجلان ارتحلوا إلى جوغراف "³ واستشرف الشيخ أبو جدرن قائلا: " لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع بنو يجرين بأسرهم بتين باطاموس، وفي موضع آخر يقال له إقليم وارجلان "⁴. وهذا ما حدث فعلا فقد هاجرت قبيلة بني يجرين التي استوطنت الجريد إلى وارجلان، واستقرت بها وهو ما يظهر تأثير هذه الأسطورة في تفعيل حركة التواصل بين المجالين⁵.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص575.

² عالم فقيه من أسوف، ورد له أسماء أخرى كأبي جدرن الرشيد وأبي خزون، وهو شيخ معاصر لأبي صالح الياجراني، له كرامات وفضائل في كتب السير، وكان منذ صباه متعلقا بطلاب العلم إذ كان يعد لهم الطعام. ينظر: مجهول: المعلقات، ج1، ص148.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص377. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص901-902.

⁴ نفسه.

⁵ إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص103.

وروي عن رجل من بني يجرين نزل ذات مرة أسوف فاستشرف مستقبل الإباضية بقوله: " ... فإن ما يحصل من بني مغراوة في طرابلس يصير إلى أريغ " وقال: " ما كان في سجداسة¹ من مغراوة، فإن مصيره أريغ ..."² واعتبر مآل كل ما ذكر جوغراف³.

ومن أمارات الهجرة نحو جوغراف قيام حرب كبيرة ففي سنة (474هـ/1081م) جاء أبو دوناس⁴ بعسكر فخرج أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت471هـ أو بعد 474هـ/1078-1081م) إلى وارجلان، وفي يوم كان أمام مسجد تماوط عند أبي إسحاق بن إسحاق بن أبي رجاء الوارجلاني⁵ (بين ق: 5-6هـ/8-9م) فحدثه أن أباه أوصاهم ذات يوم أن لا يرحلوا ديارهم ولا يخلو رزقهم من الجمال، وسبب ذلك أن أمر جوغراف إنما ينقطع ذكره حتى تقوم فتنة كبيرة تتحرك على إثرها العساكر فيعود ذكره⁶، وترجع وصية والد أبي إسحاق له بالحفاظ على الجمال لأنها مراكب الترحال والسفر، فيكون المالك لها مستعدا للهجرة عند أي طارئ.

لقد سمح الاعتقاد الفكري لفكرة مدينة "جوغراف" أو "جغراف" بتفعيل حركة هجرة الإباضية إلى المغرب الأوسط بصفة خاصة، كون اتفاق الروايات على أنّ موضع جوغراف في المغرب الأوسط، وبتفعيل الهجرة بصفة عامة كون الهجرة تحمل طابع تغيير الحال إلى الأفضل، والذود عن الدين من كل ما قد يواجهه المسلم من تحديات تمس سلامة معتقده، وهو ما سندرسه في المطلبين القادمين بتبيان واقع الهجرة بين إباضية المغاربة وحيثياتها.

¹ من مدن جنوب المغرب الأقصى بنيت سنة 140هـ/708م على يد مدرار بن عبد الله. ينظر: مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (د.ط) الدار البيضاء المغرب، 1985، ص200-201.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص378. الوسياني، سير الوسياني، ج3، 903-904.

³ نفسه.

⁴ لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي في حوزتي.

⁵ هو ابن أبو إسحاق إبراهيم بن رجا الشيخ الإباضي الذي سكن تماوط بوارجلان، وكان معاصرا لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص889.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص379.

ثانيا: الهجرة نحو المغرب الأوسط.

شهد المغرب الأوسط عدة هجرات للإباضية القادمين من المغرب الأدنى، وينبغي التوضيح هنا أن الهجرة تختلف عن الزيارة، فالزيارة تكون الإقامة فيها لفترة وجيزة تنتهي بانتهاء الغرض منها، أما الهجرة فالإقامة فيها طويلة جدا أو دائمة، وتعددت أسباب هذه الهجرات وحيثياتها، بين كونها طوعية اقتصادية، الغرض منها تحسين الظروف الاقتصادية للشخص المهاجر، أو كونها هجرة لتحصيل العلم من المشايخ المحليين في المغرب الأوسط، أو مفروضة قصرية، بسبب الاضطهاد الذي تعرض له إباضية المغرب الأدنى من قبل القوى المناوئة لهم من الفاطميين، والصنهاجيين وغيرهم. إن هذه الهجرات كان لها أثر كبير في تعميق أوصل الروابط الاجتماعية التي جمعت بين إباضية المغرب الأدنى وإباضية المغرب الأوسط حيث اشترك في تعمير كثير من حواضره إباضية وافدون من المغرب الأدنى، وسنعرض فيما يلي نماذج من هجرات إباضية المغرب الأدنى نحو المغرب الأوسط.

ساهم الانتعاش العلمي الذي شهدته حواضر المغرب الأوسط الإباضية في وفود الطلبة وخدام العلم قاصدين حلقات العلم وأهلها فقد ذكر أن رجل من بني دمر¹ يقال له "بلغين" قدم إلى حلقة أبي عبد الله محمد بن بكر بتين يسلي خادما لهم محتسبا ما يصنعه لوجه الله وتعالى، فكان يعد لهم الطعام ويقوم على مختلف شؤونهم، حتى وافاه أجله². وكان أبو الخطاب عبد السلام بن منصور النفوسي³ (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) في ناحية كنومة إفريقية حتى عرض عليه الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الهجرة إلى أريغ

¹ قبيلة تقيم بالجنوب الشرقي لتونس، قرب حدود جبل نفوسة. ينظر: تادايوش ليفيتسكي: تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم دراسة لُسنية في الأنوميا والطوبونوميا الأمازيغية، ترجمة: عبد الله زارو، مؤسسة تاويلت، (د. ط)، (د. ب)، 2006، ص117.

² الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص860-861.

³ من إباضية نفوسة بليبيا وفيها تلقى العلم، هاجر إلى درجين وخرج منها بعد هجوم الصنهاجيين وهاجر إلى أسوف، تم إلى أريغ، من مشايخه أبو عبد الله محمد بن بكر الففرسطائي، وكان من بين المساهمين في إرساء قواعد الحلقة. ينظر: إبراهيم بجاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص254.

وحبيب إليه المكوث فيها قائلاً: " كن معي يا عبد السلام، فإن من يرفع الناس إليه حوائجهم ويدعونه مثل من كان في الحرب، لا غنى له عن يرعاه ويحرسه ويؤيده ويمدّه ويرفعه ويدّعمه ويدّوي جراحه ويسوّي خلله وإلا هلكه وشيكا " ¹ فأجاب دعوته وتزوج في أريغ ومكث فيها مدة طويلة، إلى أن قرر زيارة أهله فلاموه وطلبوا منه العودة والمكوث معهم، فعاد إلى أريغ ومعه صديق المرأة التي تزوجها ليفك رابطته بها، ولم يلمه أبو عبد الله على ما اتخذ من قرار، ثم عاد إلى أهله ².

وكان الشيخ ماكسن بن الخير قد نشأ في القيروان ثم انتقل إلى جربة إلى أن قرر الهجرة إلى وارجلان واستقر بها، ثم أتاه رجل يدعى العز بن داود الهواري الأريغي ³ (ق: 5هـ/ 8م) من آجلو من هواره ⁴ أسوف، فحبيب إليه الهجرة إلى أريغ والسكن بها قائلاً: " يا ماكسن أقعد هنا، ويأكل أولادك وداد أهل الدعوة حتى تموت، ويقسم أولادك ربح الصبا " ⁵ فأعجب بفكرته وقرر الهجرة إلى أريغ، إلا أنه ومن باب الأدب والأخلاق استأذن أبا موسى عيسى بن أبي الحجاج الوارجلاني ⁶ (ق: 5هـ/ 8م) فرفض له ذلك، وطلب منه أن لا يهاجر إلا بعد أن يتوفاه الله فيغسله ويكفنه ويصلي عليه، ويظهر بذلك أن الشيخ عيسى بن أبي الحجاج إما أنه كان طاعنا في السن أو مريضاً، فشق عليه أن يغادر الشيخ ماكسن وارجلان ولا يحضر وفاته ودفنه، ووافق الشيخ ماكسن على طلبه فمكث في وارجلان ولم يمض إلا وقت يسير حتى توفي الشيخ أبو موسى، وتولى الشيخ ماكسن تنفيذ وصيته، بعدها

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، 303-304. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص790-791.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، 303-304. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص790-791..

³ شيخ إباضي من مشايخ آجلو. ينظر: الشماخي، كتاب السير، ج2، ص607-608.

⁴ قبيلة بربرية استوطنت مناطق واسعة في بلاد المغرب خاصة منطقة طرابلس. ينظر: بيير كوبرلي: مدخل إلى دراسة

الإباضية وعقيدتها، ترجمة: عمّار الجلاصي، مؤسسة تاوليت الثقافية، (د. ط)، (د. ب)، 2006، ص64.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص381-382. الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص431-432.

⁶ شيخ إباضي من وارجلان. ينظر: الدرجيني: طبقات المشايخ، ج2، ص432.

عزم على الهجرة إلى أريغ وصحبه الشيخ عبد الله بن عيسى الوسياني¹ (ق:5هـ/11م)، فمكتا فيها².

ونزل الشيخ أبو محمد عبد الله البرقاوي³ (و: 432هـ/1040م - ت: الأحد 28 جمادى الثانية 528هـ / 1133م) إلى أريغ سنة 450هـ / 1058م وهو في الثامنة عشر ربيعاً وكان في وفد حلقة يزيد بن خلف الزواغي⁴ (ق: 5هـ/11م) فوصل تين يسلي فاستقبلهم الشيخ ماكسن، وأراد أبو محمد عبد الله الاستقرار في أريغ فلحق بالشيخ ماكسن لاستشارته قائلاً: "إن العزاب اتفقوا على أن لا يتركوا أيجوز لي إن بدا لي في مفارقتهم أن أفارقهم"⁵ فرد عليه الشيخ ماكسن قائلاً: "إنما جعلنا الله أحراراً" فكان ذلك إذنا له بالمكوث⁶.

وحكى عن امرأتين هربتا من طرة⁷ بعدما تغيرت طرة حشوية وذلك خوفاً من أن يُكرها على ترك مذهب الوهبية، فقصدتا تجديت، فتزوج الشيخ عيسى بن إبراهيم المشوطي الأريغي⁸ (ق:5هـ/11م) بإحداهما وتدعى أم العز وولدت له الشيخ محمد، وتزوج الأخرى وتدعى "مغريت" الشيخ عبد الرحيم بن أبي منصور⁹ التجديتي (ق:5هـ/11م) وولدت له

¹ عبد الله بن مياي أحد العزابة الأوائل عاصر الشيخ ماكسن بن الخير تتلمذ على يد الشيخ أبي محمد ويسلان بن أبي صالح، وهو أحد الثمانية الذين دُونوا ما كان يجيبهم به شيخهم أبو محمد ويسلان، فجمعوا كتابه: «الوصايا والبيوع». ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، 270.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص381-382. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص431-432.

³ عالم جليل ولد ببرقة وهاجر إلى أريغ فدرس بها على يد مشايخ كبار منهم: أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وأبو محمد ماكسن بن الخير الجرامي، وأبو سليمان داود ابن أبي يوسف، ويزيد بن خلف وكان يتقل معهم في حلقاتهم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص272.

⁴ شيخ إباضي من زواغة إفريقية. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1051.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص397-398.

⁶ نفسه.

⁷ بلد في منطقة نفزاوة بتونس تسكنه قبائل من لواتة. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص860.

⁸ ليس لدينا معلومات كبيرة عنه إلا ما روي من أنه كان من مشايخ أريغ، وتزوج مهاجرة من طرة أنجبت له الشيخ محمد ورواية أخرى له مع الفرستائي ينظر: الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص667-736.

⁹ عالم ومحدث إباضي من مزاة سكن تجديت. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص964.

الشيخ أيوب بن عبد الرحيم (ق:5هـ/11م)، وبهذا أصبح الأبناء من مشايخ الإباضية وعلمائها¹.

وذكر الشماخي في معرض حديثه عن أحد مشايخ تاغرويت²، أن أكثر أهلها هاجروا إلى وارجلان إلا أنه لم يقدم لنا معلومات أكثر حول دوافع هذه الهجرة وحيثياتها ومستقر حالهم بعدها³.

وروي عن رجل من أبدالان نفوسة يدعى أبو عبد الله محمد بن سليمان ضاقت به المعيشة في بلده، فقد عاني فقرا مدقعا اضطره إلى أكل القصب، فهاجر مع أهله في قافلة قاصدا وارجلان، وهناك عانى معاناة كبيرة فلم يكن يرتدي إلا خروقا، ولم يجد ما يسد رمقه وأضر به البرد حتى تورم رأسه، إلى أن أرسل أحد أهل وارجلان ولده إلى المسجد طلبا للعزب لإكرامهم فلم يجد أحداً من العزب، وكان أبو عبد الله مضطجعا من شدة الجوع والبرد، فرجع الولد إلى أبيه وأخبره أنه لم يجد أحدا غير رجل مضطجع، فأمر ولده بجلبه، إلا أن أبا عبد الله لم يقدر على المجيء، فقصده الرجل وحمله إلى بيته، فغسل يديه وأطعمه وأكرمه، إلى أن استعاد قواه، فسأله عن أهله بوارجلان فأخبره بأنه مهاجر لا أحد له، فطمأنه بأن لا يتحير من طعام أو لباس مادام مقيما في وارجلان⁴.

وقد شكل التراجع الذي مس المذهب الإباضي بالمغرب الأدنى دافعا رئيسا للهجرة إذ يحكى أن الشيخ أبي بحر الفزاني⁵ (بين ق:4-5هـ/10-11م) الذي كان أحد مشايخ

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص667.

² هي قرية قريبة من لالت في جبل نفوسة أغلب أهلها من قبيلة زناتة البربرية. ينظر: الشماخي، كتاب السير، ج2، ص459.

³ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص459.

⁴ الوسياني سير الوسياني، ج2، ص668-669.

⁵ نسبة إلى مدينة فزان الليبية، ذكر عنه فقط أنه كان ذاكرة لله وناصحا. ينظر: الشماخي، كتاب السير، ج2، ص521-522.

تامزوات¹، صلى العيد بنحو أربعمائة، ثم صلى في العيد الذي يليه بحوالي مائة أو مئتين، ثم صلى في العيد الثالث بخمسين، وما إن وصل العيد الرابع إلا وقد نقص عدد المصلين فصلى بثلاثة هو وابناه، فقرر الهجرة، وما إن بادروا بالرحيل حتى فاجأهم عدو فقتل ابنه على إثر ذلك².

وكان لهجرة الإباضية إلى المغرب الأوسط دور في تعمير المدن وازدهارها، خاصة أن الكثير من هذه الهجرات أخذت طابع التنظيم والتأسيس، فمؤتمر أريغ 420هـ/1029م كُلف فيه أبو عبد الله رسمياً بالبحث عن مكان يأوي إليه الإباضية بدينهم وأنفسهم، يصلح للحياة، وكان الفرستائي على رأس وفد كبير من الطلبة جابوا مناطق بادية بني مصعب³ واتخذ من منطقة العطف⁴ مقراً لدعوته، وبذل الفرستائي جهوداً كبيرة لتلبيين قلوب السكان الذين كانوا على مذهب الاعتزال، وقد كلفته جهوده هذه حياة ابنه إبراهيم، الذي قتل في المنطقة، وقد أثمرت جهود الفرستائي تقبلاً من سكان البادية للمهاجرين الذين بدأت طلائعهم من وارجلان، وسدراتة، فلاقوا كل الترحاب والقبول، فأخذوا في ضرب الخيام والرعي وممارسة مختلف أنشطتهم، ثم استمرت هذه الهجرات من المغرب الأدنى، فقدم الإباضية من بلاد الجريد، ونفوسة واستوطنوا المنطقة، واندمجوا مع سكان البادية الذين اعتنقوا المذهب الإباضي على يد الفرستائي⁵.

وعن الاستقطاب الكبير الذي شكلته بادية بني مصعب للإباضية من مختلف المناطق، ينقل المؤرخ الكبير على يحيى معمر عن قطب الأئمة في رسالته قوله " وبعد انقراضهم جاءت فلولهم فانضموا إلى من سكن هذه القرى من المعتزلة، وجاء أيضاً أولاد

¹ لم أتمكن من التعريف بها ويمكن أن تكون تامزوا حالياً الواقعة قرب سبها الليبية.

² الشماخي، كتاب السير، ج2، ص521-522.

³ الاسم القديم لمنطقة غارداية.

⁴ منطقة في غرداية لاتزال تحافظ على نفس الاسم إلى حد الآن.

⁵ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج2 ص304-306.

عبد الرحمن من المغرب كما جاء منه بابه عيسى العلواني، وجاء قوم من نفوسة وأكثرهم نزل " يسجن" ¹ وهم أولاد عمي عيسى، وبعضهم نزل " غرداية " وهم اللاواتيون ² وبعضهم العطف، ومن " جربة " عمي عيسى وتناسل في غرداية، وقليل من "بني ميزاب" ³ جاءوا من جربة ونفوسة أولاد أبي مسور من العطف، وجاء أيضا من تاهرت، وجاءوا أيضا من ناحية " فساطو " من جبل نفوسة ⁴ وكان سبب هذا الاستقطاب الكبير للهجرة إلى وادي ميزاب من مختلف المناطق، وخاصة المغرب الأدنى هو الخوف من الاستبداد ⁵.

وإن كان عثمان العكاك يرى أن سكان وادي ميزاب هم قوم من قبيلة نفوسة قدموا إليه مع الإمام يعقوب أحد أحفاد الرستميين سنة (360هـ/970م) ⁶، إلا أن هذا الرأي لا يحمل ما يؤيده كون المصادر الإباضية تتحدث على أن أبا عبد الله محمد بن بكر قد وجد وادي ميزاب على مذهب الاعتزال، وهو الذي قدمه مطلع القرن الخامس الهجري، فكيف يكون الميزابيون إباضيون قدموا من نفوسة، ويكون الاعتزال مذهبهم بعد الهجرة ⁷.

ويقدم لنا النوري كرونولوجيا تاريخية لمشاهير المهاجرين إلى وادي ميزاب وإنجازاتهم بقوله "ومن العلماء الوافدين على غرداية بابه السعد سنة 438هـ/ 1046م وهو مؤسس مدينة بابه السعد، والشيخ بابه والجمة اسمه ابراهيم بن يونس سنة 542هـ/ 1148م، والشيخ بابه عيسى علواني أتى من درنه من طرابلس سنة 542هـ/ 1153م والشيخ بامحمد بوسحابة أتى من قصر البخاري والشيخ أبو الحجاج داود أتى من نفوسة سنة 698هـ/ 1298م.... ومن الوافدين على مليكة الشيخ باي أحمد بن سليمان سنة

¹ قرية في غرداية لاتزال تحافظ على الاسم نفسه لحد الآن.

² نسبة إلى قبيلة لواتة البربرية.

³ تحريف عن كلمة بني مصعب وهم قبيلة سكنوا منطقة غرداية. ينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، وادي ميزاب حضارة تُصنع في صمت، مجلة الحياة، العدد 19، الجزائر. ص 83.

⁴ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج 2، ص 299.

⁵ نفسه.

⁶ عثمان العكاك، موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، (د. ط)، بيروت، 2003، ص 453.

⁷ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج 1، ص 183.

395هـ/1004م والشيخ عيسى وأخوه الشيخ أوعيسى سنة 437هـ/1112م والشيخ عيسى بن موسى سنة 551هـ/1164م ثم تتابعت المشايخ عليها¹ ولم تكن كل الظروف مهيئة للمهاجرين، فقد اصطدم بعضهم مع المعتزلة في وادي ميزاب ففي بونورة بناحية ختالة² مقبرة للمهاجرين النفوسيين قتلوا في معارك جرت بينهم وبين المعتزلة وأواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي³.

ثالثا: الهجرة نحو المغرب الأدنى

ساهمت ظروف متعددة في هجرة الكثير من إباحية المغرب الأوسط نحو المغرب الأدنى وإن كانت هجرتهم أقل زخما من هجرة إباحية المغرب الأدنى نحو المغرب الأوسط، إلا أنها تميزت بكون أغلبها طلبا للعلم، أو فرارا من فتنة حادثة وفيما يلي نعرض أهم ما رصدناه من هذه الهجرات وتفاصيلها.

كان أبو صالح تبركت الياجراني الوارجلاني⁴ (ط: 8: 350-400هـ/961-1009م) مقيما بوارجلان إلى أن وقعت فتنة بها فاضطر إلى الخروج إلى نواحي أدرج⁵ التي مكث فيها حوالي تسع سنوات، وساعده في هجرته هذه أنه وجد شيئا في أدرج محلقا بنحو ثلاثمائة تلميذ، فاندمج مع المجموعة وصار يسأل الشيخ ويستفيد منه إلى أن قرر العودة

¹ حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار البعث، (د.ط)، قسنطينة، د.ت، ص61.

² منطقتان في غرداية لاتزالان تحافظان على نفس الاسم إلى حد الآن.

³ يوسف بن بكير حاج سعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ص23.

⁴ شيخ مجتهد عابد، كان من بين المتلمذين على يد أبي عبد الله محمد بن بكر فقد كان يحضر دروسه، وهو من قبيلة ياجراني الذي هاجرت من درجين إلى وارجلان. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص103.

⁵ تعرف بدرج أيضا وتقع في نواحي غرب غدامس أغلب سكانها من الإباضية. ينظر: صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالرسومية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، ص60.

إلى وارجلان بعد أن استتب الأمر، فاستدان من أدرج عشرة دنانير لزيادته ومتاعه فقصد وارجلان ثم أفل راجعا إلى أدرج لتسديد دينه فوصلها وسد ما عليه¹.

ومن الهجرات التي تمت طلبا للعلم هجرة أبي عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني² (ت قبل: 570هـ/1174م) إلى تونس التي بقي فيها سنوات يدرس الكتب، وكانت تصله الرسائل من وارجلان، إلا أنه ولشدة انشغاله بالدراسة والتعلم، لم يطلع عليها، إلى أن وجد وقتا وأخذ في مطالعة ما جاءه من رسائل، فوجد في رسالة إعلاما بوفاة أحد والديه، وفي أخرى إعلاما بوفاة الآخر، وفي الرسائل الأخرى انشغالات لم يعرها اهتماما، فقدم مشايخ تونس فعزوه في مصابه، ثم ارتحل إلى وارجلان³.

وكانت في زمن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي امرأة بارة بالعزابة كثيرة الخدمة لهم فتزوجت رجلا وهاجر هذا الرجل إلى طرابلس وأطال الغياب، فأضرها غيابه ضررا كبيرا، وأساء ذلك الفعل الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر لحسن سيرتها عنده، فأرسل رجلين إلى طرابلس ليس لهم أمر إلا شأنها وأشارت لهما المرأة أنها تسقط عن الرجل كل ما لها عليه من حق، فتوجهوا إليه فأشهدهما أنه خلى سبيلها، ثم عادا إلى أريغ⁴. وتدل هذه الرواية أن الهجرة أحيانا ما تؤدي إلى ظهور مشاكل اجتماعية يسعى مشايخ الإباضية إلى حلها حفظا للأعراض والتماسك الاجتماعي.

كما اعتمد المشايخ على مشورة أهل الرأي والحكمة في الهجرة، لكونها محطة قد تغير حياة الإنسان ينبغي التفكير مليا قبل الإقدام عليها، فقد استشار الشيخ أبو موسى عيسى بن

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص312. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص802. الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص373-374.

² من علماء عصر الازدهار العلمي بوارجلان، ولد بوارجلان وإليها ينسب، عاصر أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، كان له حلقات علم زاخرة بالطلبة، له تأليف من بينها: كتاب الموجز وهو كتاب يتميز بأسلوب كلامي متميز، وكتاب شرح الجهالات. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص258.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص486.

⁴ نفسه، ج2، ص378-379.

يزركشن الأريغي¹ (ق: 5/11م) الشيخ يعقوب بن سهلون وكان مقيماً في وارجلان على الرحيل إلى تالا قرب القيروان² فنصحته بأنها تصلح " للناس والعبادة " أي للدين والدينا، وأشار إليه أنها طريق مهم واستراتيجي يقصده الناس، فهاجر إليها الشيخ عيسى بن يزركشن، وصلح حاله وعظم شأنه فيها³ فكانت راحة للمسافرين القاصدين أريغ ووارجلان وقد بارك المشايخ إقامته بها، ومن هؤلاء المشايخ عبد السلام بن أبي وزجون والشيخ ماكسن⁴.

¹ أورده الشماخي باسم عيسى بن يزركسن الوليلي، وهو شيخ إباضي من بني وليل، وسكن أريغ بتلا عيسى. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص994.

² من مواضع مرماجنة التي تبعد عن القيروان بمرحلتين. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص84. وأيضاً: القاضي النعمان (346هـ/957م)، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس 1986، ص27.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص331.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص429-430.

المبحث الثالث: التكافل الاجتماعي.

أولاً: خدمة أهل المذهب

تميز الإباضية في بلاد المغرب بنظام اجتماعي متماسك إلى حد بعيد، إذ اعتُبر تماسك المجتمع وتآزره وتضامنه، من تماسك المذهب واستمراره والحفاظ عليه، وفي هذا الشأن دعا المشايخ الإباضية إلى خدمة أهل الدعوة الإباضية، وبذل كل الجهود في سبيل إعلاء كلمته وسد حاجة المحتاجين منهم، وطرقوا في سبيل ذلك كلَّ سُبُل الجود، فجادوا لإخوانهم بما لديهم، ودعوا المنتسبين للمذهب إلى التضامن والالتفاف وأوصوا أولادهم بسلوك هذا النهج في التعامل مع الإخوان، ونعرض فيما يلي أهم ما أورده كتب السير من روايات.

من المظاهر التي تبرز التكافل الاجتماعي بين إباضية المغرب الأوسط، وإباضية المغرب الأدنى، الوصية بالمال فقد ذكر أبو يعقوب يوسف بن أبي عبد الله¹ (ت: 471هـ/1078م) أن أباه أوصى بألف دينار، ثم أوصى بأن تفرق خمسمائة دينار للعزاب وحرص أبو عبد الله على أن تؤدي هذه الأموال دورها في خدمة أهل مذهبه أحسن خدمة فقال لولده " هذه وصيتي ولم أجعلك في حل أن تعطي لرجل أكثر من أربعة دراهم، وإنما عنيت بها حوطة أموال أهل الدعوة، ولم أطعمكم منها غداء ولا عشاء ولعلمهم أرادوا وجها فجعلته أنا في غيره"² وقد أراد أبو عبد الله بهذا خدمة أهل المذهب دعماً لهم ومساهمة في التضامن بين أنصاره من جهة، ومن جهة أخرى سن هذا الفعل في أولاده من بعده وفي سائر العزاب.

¹ هو ابن أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، سكن أريغ، ثم هاجر إلى تماوط التي توفي فيها. ينظر: محمد حسن:

تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1054.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص362-363.

وأوصى زيري بن لقمان¹ (ق:5هـ/11م) لضعفاء أهل الدعوة بألف دينار، فلما سمع يوسف بن تسجاسنت اليراسني² (ق:5هـ/11م) من أهل وغلانة وصيته قصد ورثته بأسوف، وتعامل بالوصية في غير ما أراد الموصي، وقد بلغ فعله المشايخ بأجلو، فأخرجوه من الخطة، لما فعل من التصرف في مال بغير وجه حق، فقصدهم وجعل يتوب من فعلته حتى قبل الشيوخ، وفيهم الشيخ أبو زكريا يحيى بن ويجمن الأريغي³ (ت:467هـ/1074م) توبته بشرط رد ما تصرف فيه من أموال الوصية لأهلها⁴.

وكان أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي كثيرا ما يوصي بخدمة أهل المذهب ويغضب على من تهاون في ذلك أو فرط فيه، وعمد على أن يكون قدوة في الخدمة فكان في غاره يشارك العزاب في كنس الغار، وتنظيفه، ولم يترفع عن ذلك أبدا، وكان إذا خرج إلى إفريقية يقسم العزاب على الأحياء للتواصل مع الناس، وتبادل الخدمات، وروي أنه ذات يوم والعزاب مجتمعون، عثر على طعام تلف فأسف على ما ضاع فيه من مال، واعتبر ذلك تفريطا فيما كان قد ينفع العزاب، فجمع المحلقين وعاتبهم حتى سال العرق منهم، فتكلم أحد المشايخ، واعتذر عما بدر⁵ وحملت نصائح أبي عبد الله دعوة إلى التآزر والتماسك، وقد رويت عنه حكم في ذلك منها " كيف يفلح من لا يرى مفلحا "⁶ والمقصود من ذلك أن صلاح المرء لا يكتمل إلا بحفظه للصالحين والتواصل معهم.

¹ من مشايخ القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر ميلادي، له رواية بأن أريغ هي جغراف. ينظر: مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص193.

² لم نعثر على ترجمة له ويظهر انه من سكان وغلانة.

³ من سكان أجلو بوادي أريغ، أخذ العلم عن الشيخ أبي محمد ويسلان، وسعد بن بيفاو، كان من بين التلامذة السبعة الذين دونوا كتاب الوصايا والبيوع، ولشدة علمه وصف ب "صاحب الغوامض" وهو من الرواة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص464.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص 350-351.

⁵ نفسه، ج1، ص366-367.

⁶ نفسه، ج1، ص 367.

وذكر الوسياني جملة من الأخلاق والصفات المنتشرة في المجتمع الإباضي من التواصي على إطعام التلاميذ، والقيام بهم خاصة عابري السبيل منهم، وأكد أن ذلك من أخلاق أهل الحواضر والبوادي على حد سواء، وأن ذلك أمر متوارث جيلا عن جيل، وأنشد المشايخ الشعر في مدح الضيافة والجود، فقد ذكر عن أبي عبد الله محمد بن بكر أنه كان يقول شعرا من بحر البسيط:

جُهِدُ الْمَقِلِّ إِذَا أَعْطَاهُ مُصْطَبِرًا وَمُكْثِرٌ مِنْ غِنَى سَيِّانٍ فِي الْجُودِ
أَقَلَّ عَارًا إِذَا ضَيَّفَ تُضِيفَنِي يَا أُمَّ عَمْرُو إِذَا أَنْزَلْتَ مَجْهُودَ

وقال أيضا واصفا أهل القرى وعزمهم في خدمة الأضياف من أهل الدعوة:

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ غَدُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهُ

كما كان من عاداتهم جمع التلامذة كل يوم اثنين وخميس للنظر في أمورهم، وإن كان ينقصهم شيء يؤدونه لهم، واختاروا يوم الإثنين والخميس لأنه جاء في الأثر أن الأعمال ترفع في هذين اليومين¹.

وشكلت الزكاة إضافة إلى ذلك مظهرا من مظاهر التآزر بين الإباضية أيضا، وتحري الإباضية وصول زكاتهم لأهل المذهب دون غيرهم، فقد روي عن رجل من أمسنان نفوسة سئل عن جواز إعطاء الزكاة لعابري السبيل من أهل الإباضية، ولم يعرف له كبيرة فأجاب بجواز ذلك في حدود المعقول من العطاء، إلا أن إجابته هذه لم تلق الموافقة من المشايخ سعد بن يفاو النفوسي النفوسي² (ق: 4/10م)، وعلي بن خزر النفوسي³ (4/10م)،

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص660-662.

² فقيه إباضي من جبل نفوسة، درس بأمسنان، له مناظرات فقهية مع شيوخ أمسنان. ينظر: محمد حسن: سير الوسياني، ج3، ص940.

³ أبو الحسن علي بن خزر الوسياني النفوسي، شيخ إباضي من أصل نفوسي، سكن الجريد التونسي. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص910.

وعلي بن سهل النفوسي¹ (ق: 4هـ/10م) واستعظموا أن تعطى زكاة أموالهم لمن جهل أمره، وكل ذلك كان تحرياً وحرصاً على خدمة أهل المذهب دون سواهم، إلا أنهم اتفقوا على أن الزكاة تمنح للإباضية في سائر البقاع بما فيها المغرب الأوسط².

ولكون المسجد مظهراً مهماً من مظاهر تماسك المذهب ومطمعاً في الأجر، شملته الإعانات التي أرسلت بين المغربين فقد أرسل رجل من مزاتة يدعى أبو الخطاب حمل اثني عشر بعيراً من قصب، وسقوف إلى تجديد لتسقيف مسجد، فلما أرادوا إنهاء العمل جمعوا الناس وأمروا بجلب جلود أضحياتهم، ونادوا بالتبرع لهذا، فتقدم التلامذة وسائر الناس فأتوا بالجلود، وجمعوا التبرعات للإباضية فكل جاد بما يملك³.

ونُظِرَ إلى مفارقة الجماعة والتفرد بالرأي على أنه فعل مشين وجب التحذير منه ومحاربته انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁴ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تتاصحوا من ولاة الله أمركم))⁵ وانطلاقاً من مكانة الجماعة عند المسلمين شبه الفرسطائي الخروج برأي دون رأي الجماعة بمثابة الودت الذي يضرب في الخشبة، واستحسان فعله واستساغته كمثل وتد ثان دق فيها، والغضب الذي يعتري القوم من جراء ذلك كالودت الثالث الذي يقسمها قسمين، ولذلك دعا إلى السير

¹ شيخ إباضي من نفوسة. أورده الشماخي باسم علي بن سهل النفوسي. الشماخي، كتاب السير، ج2، ص758.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص712.

³ نفسه، ج2، 663-664.

⁴ سورة آل عمران: 103.

⁵ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الحديث، ط1، مصر، 1991، ص1340 (1715)

وفق رأي الجماعة مستدلاً بما ورد من نصوص في الأمر¹ وكان ابنه أبو يعقوب حين هاجر إلى وارجلان التي توفي بها يتأسف على التغير الذي أصاب الناس في هذا الزمان، من الفرقة ومخالفة سير الأولين².

ثانياً: ضيافة أهل المذهب والاهتمام بشؤونهم.

من مظاهر التكاثف والتآزر بين أتباع المذهب الإباضي الجود والكرم الذي صبغ العلاقات الاجتماعية التي تمت بينهم إذ تنافس الناس في خدمة أتباع المذهب خاصة الطلبة العزابة المحلقون في أرجاء بلاد المغرب، إذ عقدت بمناسبة حلولهم الولائم والضيافات التي شاركت فيها أعداد كبيرة من الناس، في صورة جميلة أظهرت التفاني في خدمة الدين بعيدة عن التحيزات والولاءات القبلية.

كان الشيخ الفاضل أبو عبدة وشق³ (ق:4هـ/10م)، في بادية إفريقية رفقة اثنين وثلاثين عالماً من شيوخ الإباضية يتكفلون بشؤون الحلقة، فكان كلما مات أحدهم واصل الباقيون القيام بمهامه، حتى لم يبق إلا الشيخ وشق، فتكفل بالطعام واللباس والتعليم، غير أنه حلّ عام قحط، وافترق الناس على إثره من كل حذب في طلب رزقهم، وأراد التلاميذ هجران الحلقة والتفرغ لطلب الرزق، فمنعهم الشيخ وشق، واعتبر أن الشدائد إنما تُعرف بالإخوان، فأنفق عليهم حتى نفذت أمواله ومطاميره، فأتوه للوداع فأبى وأنفق ما عنده من دراهم ودنانير، ثم ما يملكه من حلي، ثم باع ما لديه من حيوانات، وفي خِصَم ذلك كان العزابة يُلْحُونَ على الرحيل فيمنعهم، ولم يبق لديه إلا ثور تركبه أمه، وثور تركبه زوجته، فطلب العزابة الرحيل فطلب منهم مبيت ليلة عنده ثم ذبح لهم ثور الزوجة، فلما قاموا ليلاً للقيام وجدوه نائماً فتركوه

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص363.

² نفسه، ص376.

³ فقيه إباضي أخذ العلم عن أبي الربيع سليمان بن زرقون، عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص979.

للفجر، ثم أرادوا إيقاظه فإذا هو ميت، فجهزوه ودفنوه، وطلبت أمه بقاءهم وذبحت ثورها إكراما لهم¹.

وروى أبو الربيع سليمان بن يخلف القابسي (ت: 471هـ/1079م) أنه طلع ذات سنة إلى إفريقية مع جماعة من العزاب، وكان من عادة العزاب إذا طلّعوا إلى تلك النواحي أنهم يقدّون إلى أحياء قبيلة مزاتة في وقت عزم الشيوخ واجتهادهم، وكان الشيخ أبو نوح سعيد بن يخلف يتولى جمع التبرعات من تلك الأحياء رفقة بعض المزاتيين، ثم يصرفون ما جمعوا دراهم، وقد ارتأى المشايخ أن يصُروا ما جمعوا من أموال، ويحملوها على الدواب فيأخذونها إلى من يرونها أهلا للتصرف فيه، فنُصِرَف في شؤون خدمة العزاب، وتُفَرَّق عليهم كلا حسب حاجته²، وكان من عادة أهل المنطقة في زمن الشيخ أبي عبد الله وقبله إذا أقبل عليهم العزاب زائرين محلّين يبنون لهم خيمة، ويتفرغون لخدمتهم فيجتهد أهل الحي على القيام بشؤون الشيوخ والتلاميذ³.

كما كانت تُحَصَّر ولائم كبيرة لإكرام العزاب، إذ أعد إباضية إفريقية وليمة كبيرة أطعموا فيها سبعمائة من تلامذة الشيخ أبي العباس أحمد الفرسطائي، فترة نُزولهم عندهم، وأطعم خليفة بن عمار⁴ في طرابلس ذات الحلقة، وألهم هذا الجو من خدمة العزاب واكتشافهم الشيخ أبا عمرو عثمان بن خليفة السوفي الذي أنشد شعرا لمحمد بن يفاو النفوسي من أربعة أبيات من بحر البسيط شكرا لصنيع الشيخ ورفعاً للهمم جاء فيها:

إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ وَأَدْرَأُ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
لَمَّا عَفَوْتَ وَلَمْ أَخْخِذْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

¹ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص566-567.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص357.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص643.

⁴ لم أتمكن من التعريف به ويظهر من أهل طرابلس.

وَحَالِقِ النَّاسِ وَاصْبِرْ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ

أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَى دَا بُلَيَّاتٍ

يَا لَهْفُ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَجُودَ بِهِ

عَلَى الْمُفْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ¹

ولد للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر ولد فابتهج الناس بذلك وأرادوا تنظيم وليمة بالمناسبة، إلا أنه امتنع ورفض ذلك فكلّمته زوجة أبي القاسم يونس بن وزجون الوليلي الأريغي² (حي قبل: 440هـ/1048م) وألحت عليه، وذكرته بالمودة التي بينه وبين زوجها أبي القاسم فأشار إلى أنه لا يمتنع عن الصدقة، وأنه يكره أن يكون ذلك مكافأة على أفعاله ومواقفه³ وبادر بنو ورتيزلن⁴ إلى غراسة الفسائل لأبي عبد الله حيث غرسوا له خمسمائة فسيلة نخل أصبن غلالهن وبلغن العشور التي أرسلت إلى آجلو عند الشيخ معاذ بن أبي علي⁵ (ق: 5هـ/11م)⁶، وقد عُرف عن الشيخ كرهه لأن يتم تمييزه عن بقية العزابة، أو أن يصنع له شيء يظهر وكأنه كوفئ به، ومن ذلك أنه تنقل إلى أهروان⁷ يوماً مع أصحابه، فأكرمهم أهلها وجاؤوهم بموائد الطعام، ووضع على مائدة الشيخ ورك شاة من اللحم، فأمر أحد من الرجال أن يتفقد سائر الموائد الموضوعة للعزابة، فينظر إن كان قد وضع عليها ما وضع على مائدته أم لا، فنظر الرجل ولم يجد على الموائد ما على مائدة الشيخ فقام أبو عبد الله وترك الطعام، وبلغ عنه أنه لما خرج من وارجلان ووصل تين باماطوس أرسل له رجل من وارجلان لفائف وبعض الجمار⁸ فامتنع الشيخ عن أخذ اللفائف لأنه طعام مميز

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص746.

² من مشايخ أريغ، كان فاضلاً ذا مكانة عالية، وهو الذي حفر لأبي عبد الله محمد بن بكر الغار الذي أنشأ فيه حلقة العزابة، وبذلك كان من المساهمين الأوائل في تأسيس الحلقة عام 409هـ/1018م). ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص496.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص260.

⁴ قوم سكنوا ناحية أسوف وأريغ. ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص407.

⁵ لم نتمكن من التعريف به انطلاقاً من المصادر التي بين أيدينا.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص595.

⁷ لم أتمكن من التعريف بها.

⁸ وهو لب شجر النخيل ويتميز بطعمه الحلو ولونه الأبيض الناصع. لا يزال هذا المصطلح مستعملاً الآن في أريغ.

واكتفى بالجمار¹، ونزل وغلانة وكان بها تلامذة العزابة فأراد أبو عمران موسى بن كنون الواغلاني² (ط9: 450-500هـ/1058-1106م) إكرامه فأرسل إليه طعاما مميّزا من رطب وقثاء، فعاتبه على ذلك وطلب منه إكرام سائر التلامذة لأنهم أولى لكونهم غرباء، ولهم تشوق لهذا الطعام فنّفذ أبو عمران طلب الشيخ وأكرم التلاميذ³.

وأقام الشيخ سليمان بن موسى بن عمر الوارجلاني⁴ (ق: 5هـ-11م) مأدبة كبيرة لأهل الدعوة دعا لها التلامذة والغرباء وسائر المسلمين، فجمعت مأدبته مشايخ كثر من بينهم عبود بن منار الوارجلاني (ت: 358هـ/968م) ويحيى بن أبي بكر وموسى بن علي⁵ وأبو البكر بن القاسم⁶ ويونس بن أبي زكرياء فصّيل الجربي (ق: 5هـ/11م)، وشكر الجميع صنعه فأرادوا إبهاجه وإدخال السرور إلى قلبه بذكر محاسن ما صنع عند السلف، فتكلم موسى بن علي قائلا " تعرف يا عم سليمان ما ذكر في الكتاب⁷ بأن من أطعم صاحب عيال كمن أطعم عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه " فسر لذلك سرورا كبيرا وفرح لقوله وأخذ يكرر كلامه مسرورا⁸.

وضيّف أبو مكحول الزنزفي الوارجلاني (بين القرنين 4-5هـ/10-11م) الشيخين أبا محمد ماكسن (ت: 491هـ/1097م)، ويخلف التيميّجاري النفوسي (ط12: 550-600هـ/1155-1203م) ، فقدم لهما طعاما رأى أنه دون قدرهما فأراد بذكاء كسب طيب

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص267.

² شيخ إباضي من وغلانة جنوب الجزائر، كان معاصرا للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر فقد روى الدرجيني بقاءه به.

ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص384.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص384-385.

⁴ ولد بتّين باماطوس إحدى قرى وارجلان وفيها سكن، كان شيخ علم في آجلو، عرف عنه امتنانه للزراعة. ينظر: إبراهيم

بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص213.

⁵ لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁶ لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁷ غير واضح أي كتاب يقصدون، ولم نقف عليه في المصادر التي بين أيدينا.

⁸ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص596.

خاطرها فقال " كلوا فقد مات من يسلم في نفسه ويسلم معه غيره " ¹ فشكرا له قوله وضيافته فسعد بذلك ²، ومن مظاهر البرِّ بأهل المذهب والاهتمام بهم وضيافتهم تخصيص أماكن لراحتهم، فقد خصص الشيخ أبو سليمان أيوب بن إسماعيل دارا مقابل داره بوارجلان ووصل بين الدارين، فكانت الدار الأولى دار سكناه، والدار الثانية مخصصة للتلاميذ والضيوف من شتى البقاع فكان يجود بما يقيمه في منزله للأضياف بشتى أنواع الأطعمة والإكراميات، وذكر الشيخ يخلف بن يخلف التميمي جاري، أنه كان يزوره ويفد داره المخصصة للضيوف التي كان يترك بابها مفتوحا فيدخل الضيوف ويرتاحون فيها ³.

وكان أهل المغرب يرسلون زكاة أموالهم إلى أبي عبيدة الأعرج ⁴ (ق: 3هـ / 9م) الذي كان عالما بالكلام والفقه واللغة فيصرفها في سجالمة وغيرها ⁵. وتوجه بعض الإباضية إلى إرسال الأموال لأهل دعوتهم لأجل الضيافة إن تعذر عليهم حضورهم، وذلك ما فعله سليمان بن موسى الزلغيني الوارجلاني (ق: 5هـ / 11م) حيث أرسل إلى أبي الربيع سليمان بن يخلف القابسي (ت: 471هـ / 1079م) مالا وطلب منه أن يشتري به من طرائف الأطعمة، ولطائفها وأن يأتي به الشيخ أبا محمد عبد الله بن الأمير (ط: 400-450هـ / 1009-1058م)، ونفذ أبو الربيع طلب الشيخ سليمان وذهب إلى ابن الأمر في ذلك الشأن ⁶.

ومن القصائص الطريفة التي تظهر ولع الإباضية بخدمة أهل مذهبهم أن رجلا من أهل آجلو اصطاد دجاجة سمينة فسعد كثيرا بذلك، وأول ما فكر به إكرام الضيوف بها،

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص420.

² نفسه.

³ نفسه، ج2، ص459-460.

⁴ من علماء عهد الدولة الرستمية، في زمن الإمام أبي اليقطان، كان من الشيوخ العارفين بالفقه والكلام واللغة، تمتع بمكانة عالية عند الإمام أبي اليقطان. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص285.

⁵ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص363.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص291.

فأسرع إلى الشيخ ماكسن بن الخير الذي كان في آجلو حينها، فأكرمه بها ودعا شيخا وجده في طريقه أيضا¹.

وتحلّى العزابة أثناء ضيافتهم بأخلاق وسلوكيات معينة، فقد روي عن أبي العباس بن محد بن بكر أنهم لا يجعلون بينهم حدودا حين الأكل، ولا يلتفت الأصحاب إلى أهلهم وقت الأكل ولا يتحادثون ووصف من لا يلتزم بهذه الآداب بالنطاع القطاع²، كما عمدوا إلى تجنب أهل البلد وعدم دخول الجنات والدور والخيام بغير إذن، وذكر شعر من بحر مجزوء الكامل يصف رحلاتهم وأخلاقهم فترة النزول بغير بلدانهم بالقول:

رَحَلْنَا مِنْ قُرَى أَصْطَخَرَا إِلَى الْقَصْرِ فَقَلْنَاهُ

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَأُهُ

وَفِي الْمَشْيِ عَلَى الشَّيْءِ عَلامَاتٍ وَأَشْبَاهُ³

ثالثا: المؤازرة عند المحن

واجه الإباضية في بلاد المغرب الأوسط والأدنى محنا مختلفة، لاقت تضامنا وتآزرا اجتماعيين، إذ عمل الإباضية على مساندة أهل دعوتهم بكل ما بدا لهم من حيل، وشكّلوا في كثير من الأحيان نسيجا اجتماعيا متلاحما، حتى أنه لم يكن مكروه يصيب أهل الدعوة في موضع إلا تأثر به أقرانهم، فإن كان في استطاعتهم رده فعلوا وإن لم يكن ركنوا وتأسفوا.

ومن مظاهر التآزر والتعاون المساندة وقت الجفاف والمجاعات ومن ذلك ما حل بأهل طرابلس عام 430هـ/1038م وهو عام شديد، سمي "فروراو" ما دفع أهلها إلى الرحيل إلى

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص398-399.

² نفسه، ج2، ص674.

³ نفسه، ج2، ص 664-665.

أصقاع متعددة¹ ومن بين اللاجئين الشيخ أبو يعقوب يوسف بن الوالي² (ق: 5هـ/11م) الذي ذهب إلى تين يسلي عند المشايخ المحلقين بها، والذين استقبلوه بالمصافحة والعناق، وأبدلوا ما عليه من لباس رث بآخر جديد، ثم تحدث مع الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر ووصف له ما بهم من حال، وكيف ترك عياله، فأعانه بعشرين ديناراً، ثم طلب المشورة من أبي عبد الله في رحيله إلى وارجلان طالبا الإعانة، فرفض الشيخ ذلك وحثه على الرجوع سريعاً إلى عياله لما قد يصيبهم من مكروه، ودعا له بالخير والسداد وأعانه برجل من بني ينجاسن³ وأوصاه به، فرحل إلى أسوف ومنها إلى نفزاوة، ثم إلى طرابلس⁴.

كما كانت الأحوال في بعض الأحيان تضطر سكان إفريقية إلى الانتقال إلى المغرب الأوسط طلباً للإعانة فكان فتى من أبناء أبي ويدران الفطناسي⁵ (ق: 5هـ/11م) ينتقل إلى أريغ طلباً للمعروف، فيذهب إلى آجلو عند حلقة الشيخ أبي الربيع سليمان الزلغيني الوارجلاني (ط: 10: 450-500هـ/1058-1106) فيكرمه المشايخ ويعطونه حاجته⁶، وأتى رجل من بني دمر إلى الشيخ أبي يعقوب يوسف بن سهلون الوارجلاني (ط: 9: 400-450/1009-1058) سنة مجاعة، وأراد الشيخ إعانة الرجل بطريقة ذكية حيث طلب منه الذهاب إلى السوق والنظر أي الأشياء رخص ثمنها، فقصد الرجل السوق وكانت الجمال أرخص ما فيه من السلع، فاشترى له ثلاثة جمال بأربعة وعشرين ديناراً، وابتاع دينارين قطرانا وعوتلة⁷ ووجهه موضع الركبة الضالة وهو موقع بين وارجلان وأندرار¹ لرعي الجمال،

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص832.

² من المشايخ المعاصرين لأبي عبد الله محمد بن بكر.

³ قوم من البربر سكنوا ناحية أريغ ووارجلان عرف عنهم القيام بأعمال غصب ونهب. ينظر: الشماخي: كتاب السير، ج2، ص703.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص832-834. الشماخي، كتاب السير، ج2، ص736.

⁵ ذكر الدرجيني أن أبي ويدران الفطناسي كان أول غريب يفد بلاد أريغ وهو الذي بنى مسجد تين سلمان. ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص442.

⁶ نفسه، ج2، ص442.

⁷ يظهر أنه من الزاد الذي يحتاجه المسافر.

وبعد مدة عاد بالجمال وقد سمنت فباع واحدا بأربعة وعشرين ديناراً، فطلب منه الشيخ أن يبيع جملاً ثانياً ويشتري بثلثه حملة يحملها على الجمل الثالث يقصد بها أهله في دُمر، فنفذ الرجل ما طلب منه الشيخ، وتحمل هذه الرواية قيماً تربوية واجتماعية كون الشيخ أبي يعقوب أراد تعليم الرجل الاعتماد على النفس والسعي في الرزق، وفي الوقت نفسه إعانته ومساعدته في تجاوز محنته².

ووقع وباء في أهل آجلو ضرر بجنائهم فكانوا يصومون تطوعاً ويتضرعون إلى الله أن يرفع عنهم ما أصابهم من بلاء، ولم يتمكن إخوانهم في قسطنطينية من مساعدتهم في شيء إلا نصيحتهم بما يرون فيه نفعهم ومصلحتهم فكتب إليهم أهل قسطنطينية بما يلي " أما بعد فاجعلوا حوائجكم بكريات وإذا وجدتم ما ترعون فارعوا رعي النهماء من الغنم، ولا تمجوه من الريان الماء " ³ ونصحوهم بنصائح أخرى في أمور دينهم ودنياهم⁴.

ولم يتوان الإباضية في مساندة بعضهم حين يمسه ضرر أو اعتداء من قبل قطاع الطرق أو المعارضين، ومن ذلك ما حدث للشيخ أبي الخطاب عبد السلام بن منصور (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) الذي كان مقيماً في قلعة درجين، حتى أغار عسكر الصنهاجيين على القلعة عام 440هـ/1048م وخربوها فما كان من الشيخ إلا أن فر مع عياله بمساعدة المزارتين بعد أن صاحت زوجته زينب مستجدة، فتوجه بهم إلى أسوف، وما إن سمع بنو ورتيزلن بخبر قُدومِهِ لاجئاً حتى سارعوا نحوه بالمتاع، وصاحبوه إلى آجلو فمنحوه أرضاً كبيرة وصلح حاله فيها، ثم إنه لما دخل آجلو لقي الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر يُحتضر فحادثه وطلب منه الشيخ الدعاء قبل أن يتوفاه الله رحمة الله عليه، وأحزنت

¹ منطقة في جبل نفوسة. ينظر: مسعود مزهودي: جبل نفوسة، ص205.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص431-432. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص332. الشماخي، كتاب السير، ج2، ص449-450.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص440.

⁴ نفسه.

وفاة الشيخ أبي عبد الله الشيخ عبد السلام فقال متأسفاً وواصفاً حاله " إنما مثلي كمثلي رجل سار في يوم ذي حر شديد، فرفعت له شجرة، فتوجه إليها ليستظل تحتها. فلما اتاها انقلعت وزالت "¹.

وأغارت غارة على بني واشية² فاخطفوا بنات الشيخ أبي جدرن السوفي (ط8: 350هـ-961/400م) وأخذوهم إلى نفزاوة في المغرب الأدنى وأراد رئيس العصابة ببنات الشيخ شراً إلا أن الله خلّصهن منه، فكان كلما أراد بهن شراً منعه الله ثم يسارع في اللحاق بقومهم، فمنع عنهن، وما إن بلغوا نفزاوة قدم إليهم الإباضية من نفزاوة وافتدوهم بالمال، صيانة لهن وبراً بالشيخ أبي جدرن³. كما أخذت غارة للشيخ أبي محمد عبد الله بن ناصر البرقاوي (ق: 5هـ/11) الذي كان قد سكن أريغ⁴ غلاماً يدعى صهيب فجاز المغيرون على عزاب فلما رأوا الغلام افتدوه بأموالهم، ثم قصدوا به الشيخ أبا محمد عبد الله وسلموه له فحمد الله تعالى وشكرهم ثم دفع لهم جزاء ما فعلوا⁵.

وكان من عاداتهم تعويض من يصاب في سلعة اشتراها أو بضاعة كان في نيته المتاجرة بها، فقد أصيب أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر البرقاوي في كتب كان قد اشتراها من قلعة بني حماد، فعاد خائباً وقصد وغلانة، ولما علم أهل وغلانة بما خسر الشيخ في كتبه التي سرقت، أرادوا تعويضه فيما فقد، ولما علم الشيخ أبو عبد الله بنيته هذه خرج من المدينة وتوجه صوب تين وال قرب وارجلان، لأنه لم يرد أن يكلفهم⁶ وزار الشيخ أبو القاسم يونس بن أبي زكرياء الجربي الشيخ أبا عبد الله محمد بن مانوج، وقال له: " يا شيخ،

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص306. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص792-794. الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص407.

² الظاهر أنها في المغرب الأوسط لذكر الوسياني للرواية في باب روايات أسوف وأريغ.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص352-353.

⁴ أبي محمد عبد الله بن محمد بن ناصر، يظهر أن الرواية جرت في المغرب الأوسط لكثرة تواجد الشيخ في تلك المنطقة.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص403-404.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص418.

سمعت أن وصيتك إلى الحج قد أصيب، وأخذ ما معه، فاستخلفني ذلك، لعلني أجمع لك بعض ما تجبر به ما أصيب¹ فوافق الشيخ أبو عبد الله على اقتراح أبي القاسم، فمضى إلى جربة، ورجع منها بحوالي خمسة وعشرين ديناراً ودفعهم له، وأراد الشيخ أبو عبد الله قسمتهم مع أبي القاسم كونه متزوجاً حديثاً وعليه مصاريف يقضيها فرفض، رغم إلحاح الشيخ عليه، وما أراد برفضه إلا إظهار حسن نيته في مساعدة الشيخ، وتخفيف ما ابتلاه الله به من خسارة².

من مظاهر التأزر بين الإباضية الإسراع في العزاء، حيث أنهم أولوا أهمية كبيرة في الوصول إلى المصابين في أحد أقاربهم أو مشايخهم، لمواساتهم وعمل كل ما يدخل في باب العزاء، من تجهيز للميت والصلاة عليه وذكر مناقبه وآثاره، وكان من عاداتهم إذا توفي أحد لا يسرعون في دفنه حتى ينعونه في المدن المجاورة، ليحضر من يستطيع الحضور، وكان ذلك دأب أهل وارجلان خاصة، فكان إذا مات أحد بوارجلان يرسلون إلى تين باطوموس، وإذا مات شخص في تين باطوموس يرسلون إلى وارجلان، وقد حُذِّثَ الوارجلاني عن جنائز وارجلان بالقول أن الدار التي فيها الجنازة تكون محشوة ومشحونة بالناس في وصف لمظهر الالتفاف الاجتماعي³، وكان من عاداتهم وآدابهم الاجتماع على صلاة الميت وانتظار وفود أهل القرى المجاورة، ثم المكوث في دار الميت ثلاثة أيام يقرأون فيها القرآن، أو يجتمعون في المسجد يقرأون القرآن ويذكرون فضائل الميت ومناقبه⁴.

في العام 471هـ/1078م كان المشايخ وفيهم أبو زكرياء يحيى بن أبي بك الوارجلاني، والشيخ ماكسن بن الخير الوسياني، ومزين بن عبد الله الوسياني الوارجلاني في تين وال، وقد بلغهم خبر وفاة الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف القابسي، فاجتمع عليهم

¹ نفسه، ج3، ص771-772.

² نفسه.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص375.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص677.

أعيان نواحي أريغ يعزونهم، ووقع للمشايخ من الحزن الكبير، ما جعل أعينهم تسيل دمعاً حزناً وأسفاً، فقدم إليه الشيخ أبو يعقوب بن محمد بن بكر وواساهم قائلاً " أخرجوا هذا عن أنفسكم فإنه قليل عنكم وعليكم بالحفظ والتمسك بما سمعتم وحفظتم من ذلك فإنه قد أخذ عن شيخنا وحفظ آثاره. واذكروا فيما حفظتم عنه...¹ " وأرسل أهل وارجلان كتاباً إلى أهل أبي الربيع يعزونهم في مصابهم أوردوا فيه بيتاً من الشعر وحديثاً عن مناقب الشيخ وفضائله².

وبلغ خبر وفاة أم الشيخ أبو زكرياء يحيى بن جعفر رجلاً من تالا يدعى أبو زكرياء فجاءه إلى آجلو معزياً، فابتدر بحكمة قائلاً " إن العزاء بعد ثلاث تجديد للمصيبة³ " يقصد أن من عزى شخصاً في ميت بعد انقضاء ثلاثة أيام إنما هو تذكير له وتجديد لجرحه، ثم استدرك حديثه بأن الأمر ينطبق على المعزين من الأماكن القريبة، أما القادمين من المناطق البعيدة فلا⁴.

وفي عام 462هـ/1069م توفي داوود بن أبي يوسف الوارجلاني، وكان المشايخ في ذلك الوقت في زنزفة في وقت كان الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف متوجهاً فيه إلى منزله بتمولست، فمضى معه المشايخ حتى وصلوا قلعة بني علي وكان منهم علي بن منصور⁵ (ق: 5هـ/11م) وإبراهيم بن يوسف⁶ (ق: 5هـ/11م)، ولم يكن للشيخ أبي الربيع علم بوفاة أبي يوسف بعد، وكره مرافقوه إخباره، فلما حان وقت فراقهم، تناقش المشايخ فيمن

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 374-375. الوسياني، سير الوسياني، ج 3، 897. الدرجيني، طبقات المشايخ، ج 2، ص 428-429.

² الوسياني، سير الوسياني، ج 2، ص 677.

³ نفسه، ج 2، ص 710.

⁴ نفسه.

⁵ محدث إياضي من بني يهراسن، عاش في زنزفت في جبل دمر. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج 3، ص 985.

⁶ هو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الويسيليني المراتي، شيخ إياضي من وارجلان. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج 3، ص 889.

يتولى أمر إخباره بشكل لا يدخل عليه الهلع والأسى، فتولى الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف أمر إخباره، فتقدم إلى الشيخ أبي الربيع وكان راكبا فرسا فقال: " أحسن الله عزاك في الشيخ وأجرك في المصيبة فيه " ¹ فسأله أي شيخ يقصد فرد قائلا: " أبو سليمان داود بن يوسف" ² ثم تقدم إليه بقية المشايخ يعزونه ويواسونه، ثم قرروا المسير معه إلى تمولست واستغل الشيخ مسيرهم لتذكيرهم بمناقب السلف، وما كابدوه من محن ومصاعب، وكيف أنهم صبروا وصابروا ³.

رابعاً: المدافعة.

حمل مسؤولية الحفاظ على المذهب الإباضي وكيانه السياسي (الدولة الرستمية) كل منتسبي المذهب الإباضي في بلاد المغرب، ورغم أن الانشقاق المذهبي للإباضية إلى نكارية ووهبية، قد أضعف شوكتهم في مواجهة كل التحديات التي واجهتهم، إلا أن منتسبي المذهب حافظوا على النسيج الاجتماعي، ولم يتوانوا في كثير من المواقف في المدافعة عن بعضهم، حتى وإن تطلب الأمر رفع السلاح وإعلان الثورة، خاصة أن الإباضية خلال الكثير من محطات تاريخهم في بلاد المغرب قد أخذوا على محمل واحد من قبل معارضيتهم، في عهد الدولة الرستمية شكلت قبيلة نفوسة منذ بداية الإمامة ذراعا عسكريا وسندا قويا للأئمة، في تيهرت، دافعوا بكل ما لهم من قوة على استمرار إمامة الظهور، في كثير من المحطات، ومن بين أهم هذه المحطات الصراع الذي حدث بين الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم: 171هـ-208هـ/778-823م) والواصلية، إذ اجتمع على تيهرت عدد كبير من الواصلية أغلبهم من قبيلة زناتة البربرية، وأحدثوا فيها من الشقاق شيء كبير، حيث طلبوا المناظرات مع الإمام عبد الوهاب، واستمروا في الضغط على الإمام حتى خرج لهم بالعساكر ولم يُجد معهم ذلك في شيء، ما جعله يستنجد بجبل نفوسة لمساعدته طالبا إمداده بجيش

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص438.

² نفسه.

³ نفسه.

لمحاربة الواصلين، ودعّمه برجل له باع في فنون الرد على المخالفين وآخر بفنون التفسير وفارس يبارز فتى من الواصلية، كان ذا شجاعة وقوة كبيرة، وقد لبي الإباضيون من جبل نفوسة طلب الإمام سريعا وأرسلوا ما طلب، وكان فيهم رجل يدعى مهدي الويغوي، وأيوب بن العباس النفوسي¹ (حي بعد: 204هـ / 819م) ومحمد بن يانيس النفوسي² (ط5: 200-250هـ/815-864م) ورجل يدعى أبو محمد³. ومن شدة الحماس والتفاني في خدمة أهل المذهب طلب محمد بن يانيس من رفاقه أن يكون خادما لهم فكان يهتم بسائر شؤونهم من مأكّل ومشرب، ولم يغنه ذلك عن أداء الصلاة والاجتهاد في العبادة⁴.

ما إن وصل نفر الأربعة إلى الإمام حتى تعرف على مهام كل واحد منهم فتحمّل مهدي مهمة المناظرة، وتولى محمد بن يانيس التفسير، وكان قد ضرب موعدا للقاء مع الواصلية، وتولى أيوب بن العباس أمر المبارزة، فلما التقى الجمعان أثنى فيهم أيوب قتلا حتى طلب الواصلية المناظرة، فخرج فتى منهم عالم بفنون المناظرة، غير أن مهدي استطاع هزيمته، فخرج الفتى الفارس ابن سيدهم فخرج له أيوب بن العباس فقتله، ثم هجمت جيوش الرستميين فقتلوا من المعتزلة عددا هائلا لم يقم لهم قائمة بعده⁵.

واستمرت نفوسة على ما دأبت عليه من نصرة الإمامة في تيهرت في مختلف الفتن التي مرت بها ومن بينها الفتنة التي وقعت بعد وفاة السّمح بن الأعلى المعافري⁶ عامل

¹ من مشايخ تين دوزيغ بجبل نفوسة، تلقى العلم على يد الشيخ عاصم السدراتين، بالإضافة إلى العلم الواسع الذي تمتع به، فقد اشتهر عليه شجاعته وإقدامه على القتال. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص65.

² من علماء نفوسة، أخذ العلم عن عاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، مارس التجارة، تتلمذ على يديه شيوخ أجلاء من أمثال أبو خليل صال الدركلي، وأخوه عمرو بن يانس. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص395.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص105-106.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص351-352.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص108-112.

⁶ إباضي من قبيلة معافر اليمنية، درس على يد أبيه، عينه الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171-208هـ/778-823م) على جبل نفوسة عاملا. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص947.

الإمام عبد الوهاب على جبل نفوسة، فسارع بعض النفوسيين إلى تعيين ابنه خلف بن السمح¹ (حي في: 221هـ/826) كعامل على الجبل دون انتظار رد الإمام وتركته، الأمر الذي جعل الإمام عبد الوهاب يرفض هذه التولية ويغضب من مؤيديها، وأمر في رسالة بعثها إلى نفوسة بعزل كل من عينه خلف على المناطق²، ولم يكن هذا الصراع بعيدا عن إباضية المشرق إذ بعث الشيخ عيسى الخرساني النفوسي³ (ق: 3هـ/9م) برسالة فيها تأييد للإمام عبد الوهاب⁴، ورغم حكم الإمام عبد الوهاب في الموضوع وتأييد الإباضية المشاركة لرأيه، إلا أن خلف لم يتراجع، واستعان بمن التف حوله من العامة، والمشايخ الذين كان من بينهم عمرو بن يانس⁵ (بين ق: 2-3هـ/8-9م) الذي سخط عليه الإمام عبد الوهاب في رسالة وجهها إليه⁶، واستغل خلف هذا التأييد الذي حصل عليه من قبل بعض الوجهاء والقبائل في الطمع في تحقيق انفصال عن الدولة الرستمية⁷، متجاهلا رسائل الإمام وللحصول على تأييد أرسل أتباعه في طلب الفتوى في الأمر من أبي سفيان محبوب بن الرحيل⁸ (بين ق: 2-3هـ/8-9م) هذا الأخير الذي أشار إلى خطئهم ونصحهم بطاعة الإمام واتباع أوامره، ورغم ذلك استمروا في معارضة الإمام وأعلنوا استقلالهم بحوزة طرابلس، حينها ولي الإمام أبا الحسن أيوب بن العباس في صراع الإمام مع الواصلية، واليا على الجبل⁹ ولم يدخل أبو الحسن في صراع عسكري مع خلف ربما لأن الإمام عبد الوهاب لم

¹ حفيد الإمام أبي الخطاب، يعد إمام الفرقة الخلفية، قاد تمردا ضد الرستميين، وأسس الفرقة الخلفية، استقل بجزء من حوزة طرابلس وقابس. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص134.

² مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص76.

³ محدث إباضي من اجناون، اعتمد عليه مقرين البغطوري. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص993.

⁴ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص293.

⁵ من أنصار خلف بن السمح، تعلم على يد أخيه أبي المنيب محمد. ينظر: الشماخي: كتاب السير، ج3، ص987.

⁶ مجهول، المعلقات، ج1، ص298-299.

⁷ علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، ص312.

⁸ من فقهاء الإباضية بالمشرق ومؤرخيهم، اعتمد عليه الشماخي في الكثير من رواياته، عاصر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص942.

⁹ مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص100.

يشأ أن يؤجج الشقاق ويوسعه، وبعد وفاة أبي الحسن، ولى الإمام أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني النفوسي¹ (ت بعد: 826/211م)² الذي تحمل غارات خلف عليه ولم يرد عليها التزاما بتوجيهات الإمام³ وبعد وفاة الإمام عبد الوهاب وتولي ابنه أفلح أمور الدولة، تشجع خلف وزاد من حدة غاراته حيث انحاز إلى موضع يدعى تيمتي⁴ ووجه ضرباته نحو عسكر عبد الحميد غير أنه هزم فتراجع، ورغم هزيمة خلف إلا أنه جمع جيشا ضخما توجه به صوب أبي عبيدة وراسله بخلع إمامة أفلح بن عبد الوهاب، ومبايعته فرفض أبو عبيدة وأبى إلا أن يدافع على الإمام وأهل مذهبه فرفض عرضه قائلا " هل أحدث الإمام عبد الوهاب ...، أو ابنه أفلح ... حدثا أو أمرا يحل به خلع ولايتهما؟ "⁵ وضربا موعدا للقتال حيث تلاقى الجمعان سنة 221هـ/836م وانتهت المعركة بهزيمة خلف، ومن معه هزيمة كبيرة لم تقم له قائمة بعدها فركن إلى جربة⁶.

وكان لنفوسة دور كبير في الوقوف إلى جانب الدولة الرستمية عند الفتنة المعروفة بفتنة محمد بن عرفة، ومحمد بن عرفة هذا هو صهر الإمام أبو بكر بن أفلح⁷ (حكم بين: 258-261هـ/871-874م) وبلغ بمصاهرته الإمام نفوذا كبيرا داخل الدولة الرستمية حتى صار وكأنه الإمام، وقد أدى هذا إلى حدوث اضطراب في الدولة جعل الإمام أبو بكر يقرر

¹ من علماء إجنانون، قرب جادو بجبل نفوسة، تلقى العلم عللا يد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، عينه الإمام عاملا على حيز طرابلس، بعد وفاة أيوب بن العباس، شهد عهده مشاكل وقلقل من قبل خلف بن السمع. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص244.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص126-128.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص71-72.

⁴ إحدى قرى جبل نفوسة ينظر: إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96 - 296 هـ / 715 - 909م) (عصر الولاة - المدراريون - الرستميون - الأدارسة - الأغلبية)، ، جمعية التراث، ط1، الجزائر 2006، ص183.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص130-135.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص130-135.

⁷ رابع الأئمة الرستميين، تلقى العلم بتيهت على يد علمائها، عرف عنه اهتمامه بالشعر والتاريخ، وأيضا اهتمامه الكبير بالزخرفة والحضارة، عرف عهده فتنة محمد بن عرفة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص87.

اغتيال ابن عرفة، إلا أن الأمر أدى إلى حدوث هزة كبيرة للإمامة فبعد أن اكتشف اغتيال الإمام لابن عرفة ثار أتباعه وحملوا السلاح ضد الإمام وجنده، وفي هذه الأثناء التجأ أبو اليقضان إلى نفوسة، وأمام تقدم ميدان القتال إلى منطقته دخل النفوسيون إلى جانب أبي اليقضان محمد بن أفلح¹ (حكم: 261هـ-281هـ/874-894م) في حربه ضد المناوئين للرستميين، والذين كان أغلبهم من العرب والعجم، وفي هذه الأثناء استغل محمد بن مسالة خلو تيهرت من الجند لدخولها والاستيلاء عليها، واجتمع الوافدون من تيهرت مع قبيلة هواره على أبي اليقضان الذي عُين إماماً، وحاول أبو اليقضان بعد تعيينه إماماً استعادة تيهرت دون أن يفلح، فلجأ إلى قبيلة نفوسة التي أدت دوراً كبيراً في استعادة تيهرت حيث أشاروا على أبي اليقضان بأن يرسل أهلها، ويطلب منهم الدخول في الطاعة فإن أبوا دخلناها عنوة، وعادت الرسل بقرار أهل المدينة بأنهم كرهوا الحرب ويريدون الدخول في الطاعة، شرط العفو فأجابهم الإمام وتعاهد معهم أمام النفوسيين على ذلك².

ويظهر أن الإسراف في الذود عن حمى الإباضية ودولتهم قد أدى بنفوسة إلى الدخول في مواجهة غير ضرورية ضد أعدائهم الأغالبة إبراهيم بن أحمد الأغلب³ (حكم: 261-289هـ/874-901م) سار بجيشه من تونس متوجهاً نحو طرابلس غير أنه اصطدم بقبيلة نفوسة التي رفضت اجتيازه بحيزها/ رغم أنه طلب مقدار مد عمامته على ساحل البحر للمرور هو وجيشه إلى مقصدهم، وكان عامل الإمامة على الجبل أفلح بن العباس⁴ (ط6:

¹ خامس الأئمة الرستميين، ولد بتيهت، وتلقى العلم على يد أبيه أفلح وجده عبد الوهاب، كانت له حلقات علم بتيهت، فتخرج على يديه الكثير من المشايخ، له رسالة في الفرق، وكتاب في الرد على المخالفين، وأربعين كتاباً في الاستطاعة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص359.

² ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص62-76.

³ أمير أغلبى ولي من قبل الخليفة المعتمد، أسس مدينة رقادة وبنى جامعها. ينظر: ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1988م، ص61.

⁴ من مشايخ نفوسة بليبيا، تلقى علمه على يد علماء الجبل، كان ذا مكانة لدى الإمام أبو اليقضان محمد بن أفلح (ت: 281هـ/894م)، فولاه أمور جبل نفوسة بعد وفاة والي أبو منصور إلياس. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص59.

250هـ-300هـ / 864-912م) ضد هذه المواجهة إلا أنه رضح لضغط وجهاء قومه¹ والتقى بجيوش الأغالبة في معركة كبيرة قرب قصر مانو بين قابس وطرابلس سنة (283هـ/ 896م) وهزم فيها النفوسيين هزيمة كبيرة، كان لها الأثر الكبير في انهيار الدولة الرستمية على يد العبيديين² كما أدت هذه الهزيمة إلى مقتل عدد كبير من علماء الإباضية بلغ حوالي أربعمئة عالم، ولم يبق من يفتي في النوازل غير أبي القاسم البغطوري، وعبد الله بن الخير الوزريفي النفوسي³ (حي في: 283هـ / 896م) ثم تلامذتهما من بعدهما⁴، ومما لا شك فيه أن هذه الواقعة كان لها عظيم الأثر على المذهب الإباضي، كون العلماء ركيزة أساسية في المحافظة على وضعية المذهب وانتشاره.

وناصب العبيديون العداء للإباضية منذ تأسيس دولتهم، فأراد عبيد الله المهدي (ت: 322هـ / 934م) تسيير جيش لتأديبهم في وارجلان غير أنه فشل، فجازوا إلى المغرب الأدنى فدخلوا توزر وقتلوا ونهبوا أهلها⁵، وخلال الحكم الصنهاجي لبلاد المغرب أرسل المعز بن باديس (406 - 454هـ/ 1016 - 1062م) حملة إلى جربة قتل خلالها عدد من المشايخ، منهم أبو عمرو النميلي الزواغي الجربي⁶ (و: 311هـ / 923م . ت: 431هـ / 1039م) وأبو بكر بن يحيى الزواغي، وأبو محمد كموس الزواغي الجربي⁷ (ق: 5هـ/ 11م)⁸، ويظهر في قول أبي محمد ويسلان بن أبي صالح الدعوة إلى تماسك أهل

¹ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص423.

² الباروني، الأزهار الرياضية، ص333.

³ من شيوخ جبل نفوسة، أخذ العلم عن أبان بن وسيم، ويعد من العلماء المفتين. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص265.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج1، ص89.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص164-166.

⁶ من علماء جربة، كان أحد أقطاب الجزيرة، اشتهر عليه الصلاح، ومن العلماء الذي ألفوا ديوانهم بغار أمجاج. ينظر: إبراهيم بحاز: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص317.

⁷ من علماء جزيرة جربة، من تلاميذ أبي زكريا فصيل بن أبي مسور، لا يزال ضريحه في مدينة جربة. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1016.

⁸ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص307-308.

المذهب في المدافعة عن بعض حين ذم زمانه، ووضع المذهب في عهده، فرد عليه من معه بأنهم في أحسن حال فهم مجتمعون، ويؤدون الواجبات من زيارات وحلقات علم، كما أنهم آمنون، فرد بقوله: "...هيهات لم ير زمان منذ قيام هذا الدين إلا ولهم إمام إما ظهور، وإما دفاع، وإما شراء، يقتلون ويقتلون ولا يهابون القتل في ذات الله أثر عندهم من الحياة في أرغد عيش لا يريدون غير إظهار الدين ودعوة الإسلام"¹.

وسار أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي رفقة عدد من المشايخ من بينهم سعيد بن إبراهيم² (ق: 5هـ / 11م)، فمروا بحي يعمل فيه من المنكر مثل المعازف وغيرها، فتقدم الشيخ سعيد بن إبراهيم إلى امرأة تعزف فكسر الآلة التي كانت تعزف بها، وكانت هذه المرأة ابنة عامل صنهاجة على إفريقية، فلما رأى الحضور ما فعله الشيخ صاروا يصيحون وأخذوا في طرد العزّاب، إلا أنّ الخبر وصل عمّها فرد المعتدين على المشايخ، وانطلق المشايخ حتى وصلوا أحياء للإباضية من قبيلة مزاتة، فأعلموهم بما حل بهم فقال لهم أهل دعوتهم "إن شئتم أن تقيموا عندنا فإننا نمنعكم بأنفسنا، ولو تفنى في ذلك أرواحنا، ولا نبالي ما يصيبنا من أجلكم"³ إلا أن العزابة رفضوا الإقامة عندهم خوفا مما قد يحل بهم من قبل الصنهاجيين، وفر سعيد بن إبراهيم إلى جربة وأرسل إلى بقية المشايخ يستسمحهم لما لحقهم من الأذية بسببه⁴.

ومن مظاهر التقاف الإباضية للمدافعة حملة عدنان بن دليم المطرفي⁵ (ق: 6هـ / 12م) الذي نزل مرة في أريغ حوالي سنة 502هـ / 1108م، فأراد أبو العباس بن محمد بن بكر

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص513.

² من علماء قنطرة ببلاد الجريد، عاصر أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي (440هـ / 11م)، عرف عليه الصلاح والغيرة على الدين، وهو من العزابة الأوائل. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص176.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص358.

⁴ نفسه.

⁵ أورده الشماخي باسم عنان بن دليم. إلا أنه لم يعط معلومات حول أصله أو خلفيات إغارته، ويظهر كونها قطع طريق وإغارة غايتها السلب. ينظر: مصطفى بن محمد شريف (2015): الجانب الاجتماعي في سير الشماخي، ورقة بحثية

مواجهته فحشد له بني مغراوة، فاشتبكوا معه وردوه، ثم أغار عليهم مرة ثانية، ثم توجه صوب وارجلان ونزل عند قصر تنديت¹، فهُزم، ثم رجع إلى نواحي أريغ وفي نيته الغدر بالشيخ أبي العباس، فجمع له الشيخ من قبيلة بني ورتيزلن، وحاول اللقاء معه عند آجلو إلا أنه انسحب نحو وارجلان، فتبعه ملاحقوه وتمكنوا من هزمه²، وبعد عودة بني ورتيزلن إلى وارجلان، أعابوا على يوسف بن يوجين³ عدم مساعدتهم وإمدادهم بالجند لنصرة أهل مذهبه⁴.

وذكر أن حجاجا من الإباضية من أهل وارجلان مضوا إلى الحج ومعهم رجل يدعى حلو وخادمه ويدعى ابن أم أحمد لم يكونا إباضيين، وكان الحجاج من أهل وارجلان على دين وورع، ما جعل ابن أم أحمد يعجب بهم ويريد التمذهب بمذهبهم، فلم يعجب ذلك حلو سيده، ولما جازوا على طرابلس وأميرها من بني خزر⁵ وليس على الإباضية، سؤل له حلو نهب الركب فأجابه وعزم على ذلك، وكان رجل يهودي في المجلس لم يعجبه اختلاس الركب فذهب إلى دوناس بن جبر المزاتي وكان رئيس أهل الدعوة في تلك الناحية وقال له "أيدريك ما نزل بأهل دعوتك ويحريك؟" فأجابه "كيف لا يحيرني يا هذا" فأجابه بعزم أمير طرابلس على انتهاب حجاج وارجلان، فانتفض وتوجه إلى أمير طرابلس وخاطبه بخطاب يظهر تمسك الإباضية بالدفاع عن أهل مذهبهم فانتهره قائلا "كم معك من مزاة يضربون بأسيا فهم قدامك؟" قال الأمير "كذا" فقال له: "كم معك من دمر" ثم ذكره

مقدمة إلى: الندوة الدولية حول كتب السير الإباضية سير المشايخ ليدر الدين أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي 16 - 18 محرم 1437 هـ / 30 - 31 أكتوبر - 1 نوفمبر 2015م تونس العاصمة، ص15.

¹ قصر تنديت يقع قرب مدينة جامعة في الجزائر حاليا. ينظر: عمر بوعصبانة، تحقيق سير الوسياني، ج1، ص374. (هامش)

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص374-375.

³ لم نستطع التعرف عليه انطلاقا من المصادر المتوفرة.

⁴ الظاهر أن خطأ وقع في هذه الرواية فحين روى الوسياني وقائع هذه الغارة أشار بأنها حدثت في العام 502هـ/1108م. غير أنه أضاف إلى الوقائع ما كان من بني ورتيزلن بعد عودتهم إلى وارجلان وأشار إلى أن الحادثة جرت في 522هـ/1138م. ينظر: الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص577.

⁵ قبيلة بربرية لعبت دورا مهما في الأحداث منذ بدايات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، عرفوا بمنازعتهم الحكام، واستقلالهم بإمارات صغيرة. ينظر: محمد بن عميرة: بنو خزر، منشورات وزارة الثقافة، (د. ط)، الجزائر، 1984. ص6-7.

دوناس بقبائل الإباضية، وتوعده بأنهم يضربون بالسيف جهتك إن سولت لك نفسك أذية
حجاج وارجلان فتتكر الأمير لفعلته وتنازل عنها¹.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص423-426.

المبحث الرابع: الحضور الاجتماعي للإباضية.

أولاً: الترابط الاجتماعي للإباضية بين القبيلة والمذهب.

ارتبطت العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الإباضية، ارتباطاً مباشراً بالمذهب حتى صار يهياً للقارئ في كتب السير الإباضية أن العصبية القبلية قد حيدت تماماً على مسرح الأحداث، ولفهم العلاقات الاجتماعية التي ربطت بين المجتمعات الإباضية، لابد أولاً من التعريف بالمرتكزات الأساسية للدعوة الإباضية على الصعيدين السياسي والتاريخي، ثم الدخول في تفاصيل تطور العلاقة التي ربطت المذهب الديني بالعصبية القبلية، وتأثيراتها على العلاقات بين المجتمعات الإباضية.

وعلى هذا الأساس أردنا الانطلاق من السياق التاريخي لنشأة المذهب الإباضي، مركزين على مختلف الجوانب، خاصة الاجتماعية والسياسية التي ولد فيها المذهب الإباضي، وتبلورت في ظله آراء للفرقة الإباضية، وبنيت فيها نظرة الإباضي للعلاقات الاجتماعية والمذهبية، فقد أفرزت الفتنة التي تبعت مقتل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه (47ق.هـ - 35 هـ / 576 - 656م) سنة 35هـ/655م صداماً بين الخليفة الجديد علي بن أبي طالب رضي الله عنه (23ق هـ-40هـ/599م-661م) ووالي الشام المطالب بدم عثمان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (15 ق هـ-60هـ/608-680م)، إذ انخرط كبار الصحابة في صفوف الفريقين، ف وقعت معركة الجمل سنة 36هـ/656م، ثم معركة صفين سنة 37هـ/657م، والتي تمت الدعوة في خضمها إلى تحكيم كتاب الله بتعيين حكم من كلا الفريقين، هذا العرض الذي استجاب له علي بن أبي طالب، ما سبب معارضة فئة ستكون فيما بعد أرضية لنشأة اتجاه مذهبي عرف بمسمى الخوارج تبني آراء فقهية وسياسية مُمَيَّزة، وينتمي المذهب الإباضي إلى المحكمين الأوائل وهم الرافضون للتحكيم¹.

¹ لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-136هـ)، دار الطليعة، ط1، بيروت،

وتحمل معارضة التحكيم في حد ذاتها جوانب سياسية أعمق من مجرد معارضة علي، فأغلب الرافضين للتحكيم هم من القبائل العربية الشمالية حديثة العهد بالإسلام، فلم يكن لهذه القبائل إرث تاريخي وحضاري كبير، كما سيطرت عليها نزعتها البدوية وبدأت رافضة للسلطة المركزية المتمثلة في الخلافة القرشية، ومن بين أهم القبائل الرافضة قبيلة تميم¹ التي تعد من أكبر القبائل المضرية² عدداً، فكان قبول علي بن أبي طالب ولو على مضض للتحكيم قطرة أفاضت كأس هذه القبائل من السيطرة القرشية على الحكم³، فنزح الرافضون إلى حروراء⁴، ويبدو أن إرهاصات تبلور الفكر السياسي للإباضية قد بدأ من حروراء، خاصة فيما يتعلق بمسألة الخلافة حين تبني الرافضون التحكيم، والنازحون إلى حروراء رأي إسقاط شرط القرشية فيها، معتمدين على مبدأ من مبادئ الحكم في الإسلام وهو الشورى كأرضية لتبني فكرهم قائلين: " الأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "⁵ وتبنى الخوارج رأيهم بأحقية الخلافة في أي مسلم اجتمعت عليه كلمة المسلمين مستدلين بالشورى مرة أخرى في قول الخريث بن راشد⁶ (ت: 39هـ/660م) الثائر عام 38هـ/658م والذي وجه كلامه لأنصار علي بقوله: " لم أرض صاحبكم إماماً ولم أرض سيرته فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من الناس فإذا اجتمع الناس

¹ من أكبر قبائل العرب، سكنوا نواحي نجد وامتدوا إلى الكوفة، كانوا أهل بادية. ينظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: 821هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانيين، ط2، بيروت، 1980، ص188.

² بنو مضر قبيلة عدنانية كانت لهم الرياسة بمكة والمدينة. ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص422.

³ عوض خلفات، نشأة الحركة الإباضية، ص54.

⁴ قرية في ناحية الكوفة. ينظر: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني زين الدين (ت: 584هـ)، الأماكن أو ما اتفق لفظه واقترب مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (د. ط)، (د.ب)، 1415 هـ، ج1، ص332.

⁵ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص108.

⁶ من أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان من أنصار علي بن أبي طالب مع طلحة والزبير، إلا أنه فارقه بعد التحكيم، وقصد بلاد فارس، فأرسل له على جيشا عليه معقل بن قيس، وزياد بن خصفة، وتمكنوا من هزم جيشه وقتله. ينظر: ابن الأثير الجزري: أسد الغابة، ج2، ص165.

على رجل لجميع الأمة رضا كنت مع الناس¹ وكان لهذه المعارضة أن تنتهي بمعركة تواجه فيها علي بن أبي طالب مع المعارضين له قرب النهروان² هزم على إثرها المعارضون وتشنت جموعهم، ف اتخذت فئة منهم أسلوب المواجهة فكانوا في صراع دائم مع الأمويين، فيما اتخذت فئة خيار السلم والمهادنة ونزحوا إلى البصرة فكانوا يحرمون قتال أهل دينهم ويتنزهون عن الدماء وتولى شؤونهم أبو بلال مرداس بن أدية التميمي، وكونت هذه الجماعة النواة الأولى لنشأة المذهب الإباضي³.

كما رأينا فإن المذهب الإباضي قد خرج من رحم المعارضة السياسية المبنية على أسس فكرية، وإن كان الطرح الذي عرضناه والمتمثل في كون رفض القرشية كشرط أساسي للحكم عاملا مساهما قد دفع ببعض القبائل إلى تبني معارضة علي بن أبي طالب إلا أنه لا يمكن أن يكون عاملا رئيسيا في كل الأحداث الجارية، إذ أن النقاش لم يكن محتتما حول مشروعية الخلافة في غير القرشيين من عدمها، بقدر ما هو جار في الأحداث القائمة والمتمثلة في الصراع بين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، ومهما تكن الخلفية التاريخية التي دفعت الإباضية إلى تبني هذه الرؤية إلى الخلافة والحكم فإنها صارت جزءا من آراء المذهب ومعتقداته.

وبتتبع مسار المذهب الإباضي وانتشار دعوته في بلاد المغرب، فقد كان لروح المعارضة التي ظهرت عند سكان بلاد المغرب تجاه حكم الأمويين وولاتهم دور بارز في تقبلهم لآراء هذا المذهب⁴، الأمر الذي ساهم في نجاح مهمة سلمة بن سعد⁵ (حي:

¹ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص141.

² مدينة قرب بغداد يشقها نهر النهروان. ينظر: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (ت: 346هـ)، مسالك الممالك، دار صادم، (د.ط) بيروت 2004، ص86.

³ عوض خلفات، نشأة الحركة الإباضية، صص 61-64-65.

⁴ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص62

⁵ عالم وداعية، من الطبقة الأولى، أخذ العلم عن جابر بن زيد، أرسله الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى بلاد المغرب، فكان أول من دعا إلى مذهب الإباضية بها يذكر الدرجيني أنه كان يقول "وددت لو ظهر هذا الأمر يعني مذهب الإباضية يوما واحدا من أول النهار إلى آخره فلا أسف على الحياة بعده" ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، صص 11-12. وأيضا: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص189.

135هـ/752م) الذي كان أول داع لمذهب الإباضية في بلاد المغرب¹، واتخذ من القيروان مركزا لدعوته التي لاقت استجابة كبيرة من قبيلة نفوسة البربرية ثم انتشرت بعدها في كثير من القبائل البربرية مثل لماية، وهوارة، وزناتة، وسدراتة، وزواغة، ولواتة، وإن كانت الدعوة في هذه المرحلة لبست ثوب العصبية القبلية متمثلة في عصبية نفوسة، وغيرها من القبائل المعترقة للمذهب الإباضي، إلا أن الجانب العلمي العقدي كان الأبرز، وإن كانت العصبية القبلية واقعا معاشا لا يمكن إنفاذ الدعوة دون اللجوء إليها في تلك الفترة غير أنه يقع في خانة الوسيلة لتحقيق الفكر، الفكر الذي ارتكزت عليه الدعوة الإباضية في بلاد المغرب منذ بداياتها فسلامة بن سعيد ركز على تكوين نخبة علمية حقيقية، ولم يكن الإسراع في إعلان الثورة والتمرد ضمن مخططاتهم، وإن كان طريقا يجب سلوكه لإعلان إمامتهم المنشودة، فتقرر إرسال بعثة علمية للنهل من العلوم من البصرة معقل المذهب الإباضي سنة 135هـ/752م، وكان من الدهاء اختيار شخصيات من مناطق مختلفة انتشر فيها المذهب الإباضي في المغرب الأدنى والأوسط فاختر عاصم السدراتي (141هـ/758م) من غرب الأوراس، وأبو داود القبلي النفزاوي (حي في: 140هـ/757م) من نفزاوة جنوب إفريقية، وإسماعيل بن درار (حي في: 211هـ/826م) من غدامس جنوب طرابلس، وانظم إليهم عبد الرحمن بن رستم (حكم: 160هـ-171م/777-788م) من القيروان، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري (ت: 144هـ/761م) وتوجه هؤلاء النفر الخمسة إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت: 145هـ/762م) وبقوا مدة خمس سنوات عنده، وهي مدة تتم على رغبة حقيقية في التشرب من تعاليم المذهب ومختلف العلوم² وبعد عودة حملة العلم إلى بلاد المغرب توجهوا نحو ترسيخ المذهب فتخلق حولهم الناس، وظهر جيل جديد من العلماء

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص11.

² محمد اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص54-55.

الإباضية، كما فتحت مدرسة لتعليم علوم القرآن على يد عمر بن يمكتن في ضواحي نفوسة بمدينة إفطامن¹.

ظل الاهتمام بالعلم وبحملته راسخا في المذهب الإباضي في بلاد المغرب حتى أضحى الوفاء للمذهب مقدما عن العصبية القبلية، ووجدت السلالة الرستمية ذات الأصل الفارسي سندا في صراعاتها التي خاضتها مع معارضيه رغم افتقارها للعصبية التي تحميها، وقد طغى الخطاب المذهبي وتناقص الخطاب القبلي عند منتسبي المذهب، فالروايات التي ترونها كتب السير تظهر أن الانتماء القبلي لا يبدو ذو أهمية كبيرة بالمقارنة مع الالتزام الديني المذهبي، بل تكاد المصادر الإباضية تخلو من أشكال تمييز بناء على خلفيات قبلية، وظل الحديث عن وحدة المجتمعات الإباضية وتعزيز أواصر العلاقات بينها الشغل الشاغل للمشايخ، حتى في أمور قد تبدو هامشية كاللباس فيورد الوسياني روايات حول توحيد اللباس بين الوهبة باتخاذ العمامة، والتحذير من لباس المخالفين² وصدعت دعواتهم عند كل مناسبة بضرورة التماسك وما فتئوا يُذَكِّرون بعضهم بهذا فالشيخ زكرياء بن أبي بكر³ قال مخاطبا الشيخ مكاسن بن الخير الوسياني القيرواني "مثل من كان في الجماعة مثل تمر في رأس نخلة لا يصل إليها إلا بعد جهد وعطب أو لا يصل إليها فاعذرني فيما لم أصل إليك مما أردتك"⁴ والجماعة هنا أهل المذهب والمنتسبون إليه وليست أي انتماء قبلي أو عصبية⁵. وعن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي أنه كره العصبية للقبيلة فكان ينهى عن التداعي بالقبائل، فلا يحب أن يقول أية جماعة نحن بنو فلان وقال "من كان لقبيلته منهم سهم، إذا ذكروا عشيرته بسوء تغير وجهه واغتاظ بقلبه، وإن كانت لهم حوائج مع غيرهم في خصومة أو غير ذلك، فلا يستوون عنده مع غيرهم من العشائر الأخرى، فهذا قلت

¹ محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي (2-8هـ)، ص 85.

² الوسياني، سير الوسياني، ج 2، ص 525.

³ من مشائخ جربة. ينظر: الوسياني، سير الوسياني، ج 1، ص 476.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج 1، ص 477.

⁵ نفسه.

نجاته وخلصه، وإلا أن ينجيه الله " ¹ وعنه أيضا أنه قال " ولا ينبغي للمسلم إلا أن يكون مع الحق قريبا أو بعيدا، حبيبا كان أو بغیضا رفيعا كان أو وضيعا " ².

ثانيا: إباضية المغرب الأدنى والمجتمع الإباضي في المغرب الأوسط

أسفرت حركة التواصل الاجتماعي بين إباضية المغرب الأدنى وإباضية المغرب الأوسط عن آثار تركها المرتحلون بين المجالين، إذ شكل حضورهم في المجتمعات الإباضية، إضافة على كافة الأصعدة، كما استقبلت المجتمعات الإباضية إسهاماتهم المختلفة بصدر رحب، حتى صار عطاء الكثير منهم على المستوى الاجتماعي، عاملا في تغير الكثير من الوقائع المعاشية وساهم في ذلك كما سبق وأشرنا الرؤية المجتمعية الموحدة التي تجعل من أنصار المذهب أخوة في الدين لا يفرقهم امتداد جغرافي ولا حيز مكاني.

ونذكر من هذه الإسهامات، الإسهامات الجمّة للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي مؤسس نظام حلقة العزّابة وصاحب الإسهامات الكبيرة في ميدان التربية والتعليم، إذ تعد نشاطات الفرستائي ورحلاته العلمية، ذات أثر بالغ في المجتمعات الإباضية، وأضفت تحركاته ومواعظه حركة اجتماعية كبيرة، وتعتج كتب السير بذكر مناقبه ونصائحه وإرشاداته، وهو ما ساهم في وحدة المجتمعات الإباضية خلال فترات زمنية طويلة.

فقد ساهم أبو عبد الله في تفعيل حركة التواصل بين الإباضية في بلاد المغرب من مركزه في أريغ فقد زاره محمد بن سليمان النفوسي ³ (النصف الأول من ق: 5/11م)،

¹ أبو الربيع سليمان بن يخلف، كتاب السير، تح: حاج سعيد مسعود، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط2، سلطنة عمان، 1993، ص92.

² نفسه.

³ من علماء أبيدلان بجبل نفوسة، رحل من أبيدلان إلى وارجلان، من أجل التعلم على علمائها بتوجيه من أبي عبد الله محمد بن بكر (ت: 440هـ / 1049م)، فأخذ من علمائها مختلف العلوم، وهو من طلب من أبي العباس حمد تأليف كتابه المعروف بـ "أبي مسألة". ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص378.

ومحمد بن عمرة اليروثني النفوسي¹ (بين ق: 4-5هـ/10-11م)، وكانا يدرسان الكتب في غيران بني أجاج²، فسألها أبو عبد الله عن أحوالهما فأجابا بأنهما يدرسان الكتب في غيران بني أجاج فاستحسن فعلهما وشجعهما، وزاره رجل من لمطة³، وتاب على يديه، وتعلم السير وسار في طريق الصلاح، فصار من حاشيته، واستخدمه على غنمه، بجبال بني مصعب⁴.

ونذكر من سير الفرستائي وآثاره على المستوى الاجتماعي، ما رواه الوسياني من أن أبا الربيع سليمان بن يخلف القابسي (ت: 471هـ/1079م) قصد أبا عبد الله محمد بن بكر الفرستائي في جماعة كبيرة زائرين، ولدهاء الفرستائي ونباهته جعل ممثلاً عن كل جماعة أو قبيل معه من الزائرين، يرعاهم ويتولى شؤونهم وعلاقاته، وذلك خوفاً مما يحدثون في وارجلان، وكان اهتداء الفرستائي بوضع ممثل عن كل قبيل أو وفد، احتياطاً من كل طارئ أو فتنة قد تقع بين أتباع المذهب الواحد، وهو ما قد يعكر العمل الكبير للعمل الذي كان يقوم به في توحيد أتباع المذهب والذي كان من بين أهداف هذه الزيارة⁵.

وذكر عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر أنه حين دخل وارجلان ذهب إلى الشيخ أبي عبد الله محمد السدراتي⁶ (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) وكان قد ولاه أهل وارجلان شؤونهم غير أنه تنحى عن هذا الأمر بعدما كبر ولزم داره، ثم تباحثا أمور المجتمع من باب الشريعة الإسلامية ويظهر من الحوار أن أبا عبد الله محمد السدراتي قد ابتدر تبرير موقفه من الانعزال ببيته وتركه شؤون أهل الدعوة فسأل الشيخ قائلاً "يا محمد أستم تقولون

¹ درس الكتب مع محمد بن سلمان النفوسي في غيران بني أجاج. محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1015.

² غيران تقع قرب وارجلان ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص378.

³ قبيلة بربرية إباضية تسكن بالفزان بين زويلة وأوجلة وجدابية، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص183.

⁴ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص576.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص818-820.

⁶ من علماء سدراتة بوارجلان، ولاه أهل وارجلان شؤونهم فقام بها أحسن قيام، إلا أن البعض حاول عرقلة فاعتزل الأمر. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص356.

خير الرعاة راع ساوى بين القوية والضعيفة¹ فلم يجب الفرستائي ثم سأله "ألستم تقولون اصطحبوا الناس على المكروهات لئلا يتفرقوا ؟"² فأجاب أبو عبد الله محمد بن بكر " إنما ذلك في أمور الدنيا في النزول للمسافرين والارتحال وحسن المعاشرة وقلة الاختلاف ومثل ذلك. وأما في أمور الدين فلا... " ³ فكان اللقاء بين الشخصين أشبه بلقاء تكويني يتعلق بعلاقة الفقيه بالمجتمع، وصبره على ما يلقاه من اختلاف وتعرش، وهكذا كان دأب الفرستائي، فلا تكاد أفعاله وأقواله تخلو من حكم ومواعظ تتعلق بعلاقات أهل المذهب والسبيل إلى تمتينها وصونها، وفي ذلك ذكر الشيخ إسماعيل بن أبي زكرياء الوارجلاني أن أبا عبد الله محمد بن بكر قال "إنما يفرق الجماعة رجل استغنى برأيه، وقطع أمرا دون الجماعة، فكان ذلك كمثل وتد ضرب في الخشبة، فإذا اجتمعت الجماعة على فعل لينظروا فيه، قام من الجماعة بعض فخاصم وزين فعل الأول فيصير ذلك كالوتد الثاني في الخشبة ... " ⁴ فكان الفرستائي لا يمانع مناقشة الأمور بما يحفظ صالح المجتمع ويمنع الفرقة بين أفرادها والتي يكون الانفراد بالرأي أحد أبرز عواملها، وأوصى أبو عبد الله إسماعيل بن أبي زكرياء الوارجلاني فقال "اذهب إلى منزلك، فإن وجدت من تقدّمه في الأمور فاتبعه، فإن لم تجده ووجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى، فإن لم تجد ووجدت من يسعى في الخير فكن إمامه، فإن لم تجد أحدا من هؤلاء فاستقم على الطريقة وحدك " ⁵.

وعمل الفرستائي أثناء إقامته في آجلو على حفظ المجتمع من الفتن التي يواجهها، فقد جاز عليه عيسى بن إبراهيم الملشوطي الأريغي (ق:5هـ/11م) في الغار فسأله عن وجهته فذكر له أنه متوجه إلى قاتل والده لكي يقتله، وأراد الفرستائي تبيان المسألة خوفا من فتنة

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص259-260.

² نفسه.

³ نفسه.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص880.

⁵ نفسه، ج3، ص881-882.

قد تقع أو ذنب عظيم فسأله " رأيته أو أقر لك أو شهد لك على قتله العدول؟ " ¹ فنفي عيسى بن إبراهيم الأريغي كل ذلك، فاستتابه الشيخ وحذره من أن يكون قاتل لنفس حرمها الله فتأب².

وانتقل أبو عبد الله إلى وغلانة وكان فيها فتنة قادها رجل من لواتة يدعى أبد الله وهو من نسل أبد الله السكاك الجريدي³ (ق:6هـ/12م)، حيث عمل هذا الرجل على إثارة الفوضى وإشاعة الخلاف، وما كان من أبي عبد الله إلا أن قرر التدخل لما رآه خطر يهدد أهل المذهب ويمس بعقيدتهم ودينهم، فنصح الرجل وأوقف كيده بقوله " من تكلم وقد احتج إلى كلامه فقد ابتلي ببلية ومن يتكلم ولم يُحتج إلى كلامه فقد ابتلي ببليتين " ⁴ وقول الفرستائي يحمل في طياته أن صاحب الفتنة إنما وَقَعَ فيما زَاغَ به عقله مجتهدا، ولم يكن مريد فتنة وقاصد خراب، وإلا فإن أمر مواجهته كانت أولى من أمر نصحه وإرشاده.

وأبان الفرستائي عن أسلوب آخر في مواجهة الفتن، قائم على الهجران والعتاب خاصة لما يبدر تقصير من قبل أهل دعوته في مواجهة الفتن، فقد طغى قوم في أريغ يدعون بني ورزمار⁵، وذلك بقطع الطرق والفساد، فاجتمع أبو عبد الله بأهل أريغ وطلب منهم الوقوف في وجه فساد هؤلاء القوم، فأجابوه بأنه لا طاقة لهم لمواجهتهم، فغضب وهجر أريغ إلى إيفران⁶ من قرى وارجلان، مما أدى إلى استفحال الفساد في أريغ، فقصده جماعة وألحوا عليه بالرجوع، فرفض وعدّ لهم مساوئ ما يحدث في أريغ من فساد وقتل للعبادة الوافدين إليها من

¹ من شهد له بالعدل.

² الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص 736.

³ من قنطرار بالجريد التونسي، عاش في أوائل ق 6هـ، انفصل عن الاباضية بأرائه المتطرفة منها إبطال الأذان وصلاة الجماعة وتنسب إليه الفرقة السكاكية. ينظر: عدون جهلان، الفكر السياسي للإباضية، ص134.

⁴ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص384.

⁵ قوم من قبيلة مغراوة التي سكنت أريغ. ينظر: إبراهيم بجاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص416.

⁶ تقع شمال وارجلان لاتزال تحافظ إلى نفس الاسم إلى اليوم.

مختلف أرجاء بلاد المغرب، فرجعوا وأصلحوا حالهم، وما إن صلحت أحوالهم رجع إليهم الشيخ¹.

وعمل على منع الشقاق والخلاف، وتطويع القلوب وجمع كلمتها، فقد سمع أبو تغلا² قراءة عزاب في غار آجلو الشرقية فأشار إلى أن هذا من البدعة، ووصل قوله الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، فأمر بإعداد طبق كبير من الطعام وأحاط به كل ما تشتهيهِ العين مما لذ وطاب، ثم أرسلها إلى الرجل وقيل له أنها من عطايا أبي عبد الله، فلان قلبه لأهل دعوته، وفي صباح اليوم الموالي جاز على الغار كعادته فسمع ما سمعه بالأمس من قراءة العزاب فقال: " ما في هذا البلد كلام إلا كلام محمد بن بكر من أراد ومن كره "³.

وذكر أن رجلاً صالحاً من بني نصير⁴ يدعى عبد الله بن منصور⁵ (بين ق:4-5هـ/10-11م) من أهل أسوف، اشتكاه الأهالي لأبي عبد الله محمد بن بكر بسبب عادته في حدِّ رُمحه وحمله معه طوال الوقت، ولم ير الشيخ أبو عبد الله في ذلك بأساً فقد كان الرجل ممن يعرف عنهم الشجاعة والإقدام، وحينما حان وقت انصراف الشيخ تقابلوا للوداع فطلب الشيخ أبو عبد الله من عبد الله بن المنصور رؤية رُمحه، وتفحصه فإذا هو حاد جداً وشكر له ذلك بقوله " احذر رُمحك، نعم، يا عبد الله "⁶.

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص386-387. الشماخي، كتاب السير، ج2، ص575.

² لم نستطع التعريف به انطلاقاً من المصادر والمراجع التي بين أيدينا، ويظهر أنه من سكان أريغ.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص363-364.

⁴ يظهر أنهم من القبائل التي سكنت أسوف.

⁵ لم نتوصل إلى معلومات حول غير ما ذكره أبو زكرياء والتي تُظهر أنه من أهل أسوف.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص364.

واحتاج بنو ورتيزلن قاضيا، فَقَدَمَ إليهم أبو عبد الله أبا الحسن أفلح¹ (ق: 5/11م)، فحكم بالعدل بينهم، إلا أنهم انزعجوا منه فشكوه إلى أبي عبد الله محمد بن بكر، فاستدعاه وجماعته، وسأل القوم فيما نعموا على أبي الحسن أفلح، فأشاروا بأنه يحكم لبعض دون البعض، وأفردوا من الأمثلة أنه حكم على رجل بالصدّاق دون بيّنة وإقرار، وبأنه أبطل الشفعة من القائم بها، وأوصى رجل بوصية فاستأثر بها، وكان أبو الحسن يسمع شكواهم، ثم أخذ في الرد فبدأ بقوله أن الرجل أقر بالنشوز فحكمت عليه بالصدّاق، وإنَّ إبطاله للشفعة كان في نخل نبتت في مجرى العامّة، ولا يكون لمجرى العامّة شفعة لأحد على أحد، والرجل الميت استخلف امرأته لتنفيذ وصيته، فَطَلَبَتْ أن أعاونها بمن يشرح لها كيفية إنفاذ الوصية فَفَعَلْتُ، ولم أر ما أنفذته فيها، ثم حلف أن لا يحكم فيهم سبع سنين، وغضب أبو عبد الله من بهتان القوم فصاح فيهم وتفرقوا².

وكانت امرأة مجتهدة في خدمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر وتلامذته، وهم آنذاك مجتهدون في طلب العلم بأريغ، وكان لها بعل قد غاب عنها في نواحي طرابلس، وكان الشيخ يكرُّ لها مكانة لخدمتها التلاميذ ورعاية شؤونهم، فأرسل رجلين إلى نواحي طرابلس يدعى أحدهما يعقوب والآخر عمرو بن يحيى وشهدا منها أنها تبرأت من مهرها منه فذهبا إلى طرابلس ولقيا الرجل وسمعا منه طلاقها ثم كرا راجعين لأريغ³. ويأتي إقدام الفرستائي على هذا الفعل في باب حفظ الأعراض ودرأ المفاصد التي قد تتجم عن الهجران، والقطيعة خاصة في ظل مجتمع إباضي يعرف عليه محافظته وتمسكه بقيم الدّين الإسلامي.

واستمر أبناء أبو عبد الله محمد بن بكر في نهج أبيهم، وكسبوا قلوب الساكنة حتى صار يتقرب إليهم من يرغب في نيل دعائهم، ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد

¹ من تلامذة حمو بن اللؤلؤ، عرف صلاحه فقدم للقضاء في بني ورتيزلن ثم اعتزل الأمر بعد شكواهم ضده. ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص381.

² الشماخي، كتاب السير، ج2، ص572.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص262. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص378-379.

الفرسطائي(ت:504هـ/1111م)، فكان يأتيه مريدو الدعاء أثناء قراءته للقرآن مع المشايخ، فلا يسأل المشايخ المريد ولا يقربونه ولا ينادونه، إلا بعد أن يختموا القراءة، ثم يأخذ أكبر المشايخ الحاضرين في الدعاء بصوت جهوري، حتى يسمع الحاضرون ويأمنوا، وكل ذلك طمعا في نيل بركة الشيخ أبي العباس أحمد ورفقائه المشايخ¹.

ورغم العوائق فقد استمر بنو أبي عبد الله محمد بن بكر في سكنى المغرب الأوسط الذي صار موطننا لهم وبنيتهم، ومن هذه الفتن والقلال التي واجهوها فتنة معروفة باسم "حمران وتاعمارت" وذلك في العام 471هـ/1078م، وهي فتنة وقعت في أريغ، وكان أبو العباس أحمد قد استُخلف من قبل أخيه أبي يعقوب يوسف بن أبي عبد الله في تنفيذ وصية له قبل وفاته بتماوط، فخرج من أريغ متجنباً الفتنة وقاصداً أبناء أخيه ليطلب منهم ما يُنفذ به الوصية وكانوا عند عين يونس².

وذكر أن الشيخ مزين بن عبد الله الوسياني الوارجلاني (ط10: 450هـ/500م) استُخلف على وصية أبو ويدرن الفطانسي³ (ق: 5هـ / 11م)، فقام الشيخ فتصرف في مال الشيخ أبي ويدرن، فشكته امرأته وبناته إلى أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي مخبران أنه باع أفضل ما يملك الشيخ أبو ويدرن، وترك الأطفال دون شيء، وأراد أبو عبد الله تبيان المسألة فسأل الشيخ مزين عن دواعي إقباله على هذا الفعل فرد عليه قائلا: " ما علي في الأطفال ولا غيرهم، وإنما اشتغلت أنا في فكاك رقبتى ورقبة حبيبي رحمه الله "⁴.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص658.

² نفسه، ج2، ص583.

³ أول غريب دخل بلاد أريغ في زمانه. وعرف عنه أنه بنى مسجد تين يسلمان، على مصلّى حبيب بن زلغين. ينظر:

إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص447.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص377-378.

وذكر أن الشيخ أبا موسى هارون بن أبي عمران الوسياني الحامي¹ (ق: 4هـ / 10م) قصد الشيخ أبا صالح جنون بن يمران الوارجلاني (ق: 4هـ/10م)، وطلب من أهل وارجلان الاجتهاد في حلقة ربما لما رأى من هفوت لروح التعلم والاجتهاد، غير أن أهلها تحجبوا بأن الأمر أكبر من طاقتهم، ثم جاءوه بمائة دينار، ربما لاستعطافه، إلا أنه رفض قبضها وقرر السفر إلى غانة، فسمع أبو عبد الله محمد بن بكر بخبر إعداده للسفر، ولم يرد أبو عبد الله من الشيخ هارون أن يترك أهل دعوته ويسافر، فالفرسطيني يعلم أن القيام بالمجتمع وصيانتة، وصيانة الدعوة والحفاظ عليها؛ إنما يكون بسواعد العلماء والمشايخ، فكتب إليه بأن يترك السفر إلى تلك الناحية، وأن السفر البعيد فيه إجحاف في انتفاع أهل الدعوة من علمه وكتبه، غير أن الشيخ أبا موسى هارون أصر على السفر وأرسل كتابا إلى أبي عبد الله فيه شعرا على بحر الطويل من جاء فيه:

فَسِرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمَسَ الْغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فَتَعَذُّرًا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ شَكَا الْفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَدْنَيْنِ كُلاًّ وَأَوْشَكْتَ صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ تَنْكُرًا

ثم سافر ف وقعت فتنة ألزمته بيته حتى توفي، فكان اجتهاد الفرستائي هذا مما يراد به صون أهل دعوته، والعمل على إحياء السير التي لابد أن يكون المشايخ إحدى ركائز القيام بها².

ورغم المكانة الكبيرة التي تمتع بها أبو عبد الله محمد بن بكر، إلا أنه أراد إلغاء نمطية الشيخ الذي يعلو شأنه ويُميز دون غيره من الناس، فالقضية التي عمل عليها هي قضية

¹ من إباضية الحامة، عاصر الشيخ جنون بن يمران الوارجلاني وهو الذي طلب أن يضع له مسائل في التوحيد والرد على المخالفين، فألف أو نظم كتاباً في الألواح. لم يعرضه بسبب سفره. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص441.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص566-567.

فكر لا يزول بزوال الأشخاص بل يستمر ما دام المشروع قائماً، فكانت رسائله تؤيد هذا الطرح في كثير من الروايات، فقد كان الشيخ أبو عبد الله يوماً بوغلانة مع جماعة كبيرة من العزّاب فأتاه أبو عمران موسى بن جنون¹ (ق: 5/هـ 11) بطعام خصّه به وهو بسر² وفقوص، فلامه أبو عبد الله محمد بن بكر، وأبى أن يأكل مما جلبه له وطلب منه أن يقدّم ذلك إلى العزّاب عبر تقسيم ما جاء به أجزاء، ووصف الوسياني ما أقدم عليه أبو عبد الله محمد بن بكر من رفض هذه العطية التي خصه بها أبو عمران بقوله " وهذا من حسن سيرته، وكثرة سياسته، وخوفه من عقوق أصحابه " ³ وأرسل محبوب بن الشيخ⁴ وأبا بكر بن محمد⁵، ليشترى له خادماً، فنفذا ما أوصاهما غير أن صاحب الخادم خفض لهما السعر لمّا علم أنه للشيخ أبي عبد الله خمسة دنانير، وما إن وصلا إليه وأخبراه بذلك رفض استلام الدنانير تورعاً عمّا مُيز به عن غيره⁶، ومن الحوادث الطريفة التي جمع فيها أبو عبد الله بين التربية والموعظة ما حدث له مع عمران بن زيري الوارجلاني (ق: 5/هـ 11م) إذ أعطى الأخير لأبي عبد الله لحم شاة، وما إن أعطاه له حتى أتى سائل، فنزعه عمران من يد الشيخ وأعطاه للسائل، واستحسن الشيخ أبو عبد الله فعل عمران فكان يحدث أصحابه قائلاً " أين من يفعل مثل هذا سوى عمران " ⁷.

وكما سبق وأشرنا فالفرس طائي يحمل مشروعاً تربوياً اجتماعياً، يحاول ترسيخه في المجتمع وفي أصحابه، ليس عن طريق الإرشاد والعمل الدؤوب فحسب، وإنما يسعى ليكون قدوة يُحتذى بها في تفضيل مصلحة المجتمع العامة على أيّة منفعة خاصة، ونستشف من

¹ لم أتمكن من التعريف به، لكن يحتمل أن يكون أحد أبناء أبو صالح جنون بن يمران.

² لا تزال هذه العبارة متداولة في نواحي أريغ وهي التمر الذي لم يبلغ النضج الكامل بعد

³ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص822-823.

⁴ لم نتمكن من التعريف به انطلاقاً من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁵ لم نتمكن من التعريف به انطلاقاً من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁶ أيو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص268.

⁷ نفسه، ص315.

هذا أن الفرستائي لا يكفي أن يكون الشخص العالم الفقيه مبعثا للوحدة والتماسك بين أفراد المجتمع، بل ومبعثا لإحياء سير الأولين في سيرته وحياته ومواعظه وأعماله.

ومن مشايخ الإباضية من أهل المغرب الأدنى الذين كان لهم الدور الاجتماعي الكبير أبو محمد ماكسن بن الخير الوسياني القيرواني (ت: 491هـ/1097م)، وإن كان القول الشائع أنه من أهل وارجلان في المغرب الأوسط، فلأنه عاش عمرا طويلا بها كما تنقل بين واحات المغرب الأوسط مثل أريغ وتجديت وآجلو، وله فيها آثار جمّة، غير أنه سكن وارجلان بعد هجرته إليها، ولم تكن موطنًا أصليا له أو لأبيه، فمولده بالقيروان وبها ترعرع وتلقى مبادئ العلوم، ثم انتقل إلى جربة وتتلّمذ على يد ويسلان بن يعقوب الدجمي، وجمعت رفقة علمية متينة مع الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف، ثم هاجر إلى وارجلان في وقت كانت تشهد ازدهارا علميا كبيرا، ويظهر أن صيت الشيخ ماكسن الذي صار شيخا عالما قد بلغ أهل وارجلان قبل أن يبلغهم هو شخصيا، فقد رحب به أهلها ترحابا كبيرا، وأنزلوه مقاما عاليا يليق بفضله وقصده مشايخها وطلابها¹.

كان لاستقرار ماكسن بن الخير في ناحية وارجلان وتقلاته في المغرب الأوسط أثر كبير بها - نقصد من الناحية الاجتماعية - فقد روي عنه الكثير من الآثار فرغم افتقاره لحاسة البصر إلا أنه كان صارما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخاف أثناء قوله الحق لومة لائم، فقد روي عنه أنه قال: " عسى الله ولعل الله أن يجعل لأهل الدعوة إلينا سبيلا وقد تبعوا ملوكهم من قبل ثم جعل الله إليهم سبيلا لعزمهم، وشدة عزمهم عن الحق ورد المنكر ممن كان على من كان لا يخافون في الله لومة لائم، ولا سطوة ظالم غرضهم رضا الحاكم"².

¹ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج4، ص139-141.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص383.

وروي أنّ رجلاً ادّعى أنه يملك داراً اشتراها وجاء بالبينة بين يدي قاضي وارجلان، فأراد القاضي أن يصدر حكمها له، فقال نصف الدار شراء ونصفها ميراث، فتوقف القاضي، فسار أبو محمد ماكسن حتى وصل جربة وسأل عنها فقيل بأن القائل أبطل بينته¹.

ووقعت فتنة بين قافلة من أهل وارجلان و معهم من أريغ قوم من بني سيتتن² وبين أهل وغلانة، حيث تقاتلوا حول بئر ماء، الأمر الذي أدى إلى مقتل رجل، ثم انتشر القتال بينهم وكانوا كلهم من الإباضية، فسقط قتلى كثيرون حتى أدى الأمر إلى تفكير أهل تين ثلاث³ من بني سيتتن في الاستجداد بغير الإباضية، وبلغ هذا الأمر الشيخ ماكسن بن الخير فاستعظم الأمر وغضب قائلاً: " من ذا الذي يُعرض لأهل المذهب تنثلاث "4 وقرر الانتقال بحلقته إلى ذلك الموضع لإطفاء نار الفتنة بين أتباع المذهب الواحد، ولم تكن مهمة الشيخ ماكسن يسيرة أبداً فقد احتاج أن يقيم فيها مرشداً وموجهاً وناصحاً ثلاث سنين، واستطاع بحكمته أن ينهي هذه الفتنة، خاصة أن الأمر أدى إلى تغلغل من هم على غير مذهب الإباضية، ثم أنه أراد أن يثبت ما توصل إليه من نتائج فرأى أنه من الواجب بناء مسجد لجمع شمل المنتمين إلى المذهب في ذلك الموضع، وهو ما جسده بمساعدة الشيخ أبي صالح يعلو بن صالح الأريغي (ت: 513هـ/1124م) الذي قدم من وغلانة، والشيخ يعقوب بن موسى الصاويني⁵، وبفضل هذه الجهود تم إنهاء الفتنة ليس فقط في تين ثلاث، بل في سائر آجلو، ولاقت جهود الشيخ ماكسن استحسان شيوخ المنطقة، ووصف الشيخ يعقوب بن موسى هجرته بقوله " الرجل خرج مهاجراً لأهل الظلم "6.

¹ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص559.

² قبيلة بربرية وهابية من سكان أريغ خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي. ينظر محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص856.

³ يظهر أنها من قرى أريغ.

⁴ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص435-436. الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص649.

⁵ لم أتمكن من التعريف به.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص649-650.

وواصل الشيخ ماكسن بن الخير مهامه الاجتماعية والدينية آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ودارئا للمفاسد، في فترة عرفت فيها حواضر الإباضية في المغرب الأوسط فتنا كثرة فكثرت فيها الإغارة وكثر فيها الفساد، فقد أقدم بعض الأشخاص من ويلييل من أهل تين يسلمان¹، على إغلاق طريق للعامة بمانع فجاءت إحدى بنات الشيخ أبي ويدرن (ق: 5هـ / 11م) وأزاحت ذلك المانع ما أغضبهم فنكلوا بها وشتموها وضربوها، ولعلمها بمكانة الشيخ الاجتماعية بين أهالي المنطقة وعلو كلمته وكرهه للظلم توجهت له شاكية، فجمع الشيخ ماكسن عددا من مشايخ الإباضية، وتوجه إلى الفاعلين وأخذ في جلدتهم، تعزيرا وتأديبا لما فعلوا ولم يقوَ أحدٌ على رَدِّه².

وأغارت قبيلة من العرب³ على وارجلان فأخذوا إماء كثر فلحقهم الشيخ ماكسن دون تردد أو خوف كعادته، ويظهر أنَّ الشيخ ماكسن قد كان ممن عرف بورعه وتقاه وكسب قلوب الناس، وتقديرهم الأمر الذي جعل قطاع الطرق أنفسهم، لا يحبون أن يرفضوا له طلبا، فما إن وصل إلى قطاع الطرق هؤلاء وطلب منهم رد ما سلبوا من الإماء، حتى استجابوا وقال أحدهم "افعلوا ما قال لكم العزابي" إلا أنهم احتفظوا بواحدة مولدة، إلا أن الشيخ استطاع بذكائه وفطنته أن يستردها مع من ردهن من الإماء⁴.

وأغارت قبيلة بني يوجين على أريغ ونهبوا من أغنامهم، فسارع الشيخ ماكسن بن الخير وعدد من المشايخ، منهم الشيخ أبو العباس الوليلي الأريغي⁵ (حي في: 472هـ/1079م-ت

¹ من قصور أريغ، ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص39.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص596-597.

³ تطلق المصادر الإباضية لفظ العرب على ممتنهي الإغارة والذي يرجح أنهم من الأعراب الهلالية وليسوا من العرب البلديين.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص434. الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص391-392.

⁵ من سكان قصر " تي يسلمان " بوادي أريغ، كان من المدافعين عن وادي أريغ، عرف عنه طلوعه إلى جبل بني مصعب والكرامة التي صادفها عنده. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم اعلام الإباضية، ج2، ص39.

قبل: 504هـ/1111م) وعيسى يوصكشن الوارجلاني¹ (ط10: 450-500هـ/1058-1106م) وعبد الله الدّمي² (ق: 5هـ/11م)، وعملوا مدة من الزمن على استرداد ما نهب حتى تمكنوا بفضل من الله من رد جميع ما سلب من الأغنام، ولأقوا في سبيل تنفيذ مهمتهم هذه الكثير من المتاعب فقد كاد قوتهم ينفذ من طول مدة السعي وراء تحصيل المسلوبات من سالبها³. ويبدو أن جهود الشيخ ماكسن ورفقائه قد آتت أكلا أكثر من مجرد رد المسلوبات فقبيلة بني يوجين قد أرادوا التوبة من أفعالهم، توبة كان لها أن تكتمل لولا أنهم أرادوها على مقاسهم، فقد سألوا الشيخ ماكسن أن يفتيهم في رخصة ثلاث مسائل فقالوا له: "إن رخصت لنا في ثلاث مسائل رجعا إلى مذهبك، وهي أموالنا، وأولادنا، وأزواجنا، كلها حرام، فأذن لنا في المقام فيها"⁴ فرفض الشيخ ماكسن أن يفتي برخصة ذلك فليس ذلك من مذهبه، فصدوا عنه متحججين بأنهم وجدوا من أفتى لهم بذلك⁵، والملاحظ استعمالهم للفظ "رجعنا إلى مذهبك" وذلك دليل على أنهم كانوا من أتباع المذهب الإباضي، ثم خرجوا عنه بامتهانهم السلب والنهب، واستعمالهم لفظ الرجوع إنما قد يقصد به التوبة والاستقامة، كما أن قصدهم الشيخ ماكسن يدل على المكانة الاجتماعية الكبيرة التي تمتع بها، ليس فقط في المجتمعات الإباضية في المغرب، وإنما لدى سائر الناس، ما يدل على تميزه بالمرونة واستعماله للحوار والجدال، كما عرف عليه سعيه للنهوض بالمذهب وصون المجتمع من أي تبديل قد يحدث، وبنو يوجين ربما أرادوا استغلال شغف الشيخ بهذا لافتكاك رخصة للظفر بما كسبوا، إلا أن الحكم الفقهي كان مقدسا عن أية غاية اجتماعية دنيوية.

¹ من سكان تلا عيسى بوارجلان، وهو أول من قطن ذلك المكان، بعد أن شاور أبو يعقوب بن سهلون الطرقي، فأحيا الموضوع وبلغ مبلغا عظيما حتى صار مقصدا للسكان. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص335.

² من مشايخ القرن الخامس الهجريين الحادي عشر ميلادي. يرجح أنه من جبل دمر نسبة لكنيته بالدمري. ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص433.

³ نفسه.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص434. الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص391.

⁵ نفسه.

وكان زيري بن محسن المستولي¹ أحد رؤساء مغراوة، غير أنه كان مخالفا للإباضية من أهل سوف، فأخذ إحدى قوافلهم، ما جعل أهل سوف يستجدون بالشيخ ماكسن الذي كان بتين وال حينها، فرحل إلى أسوف وقال لزيري "رد علي أموال الضعفاء"² ولم يكن لزيري إلا أن ردها ولم يخالف أمر الشيخ أو طلبه³.

وكان من المكانة بحيث يستشير المشايخ في أمور دينهم ودنياهم فلم يكن للشيخ أبي العباس أحمد الوليلي الأريغي (حي في: 472هـ/1079م - ت قبل: 504هـ/1111م) غير نخلتين، فشاور الشيخ أبا محمد ماكسن بن الخير الوسياني، والشيخ مزين بن عبد الله الوسياني الوارجلاني في أن يطلب من الإباضية أن يعينوه عليها، إلا أن رأي الشيخين كان أن يقوم عليها بنفسه وأهله، فقام بما أشارا عليه وبارك الله له في نصيحتهم، فأدر عليه نخله منتوجا وفيرا⁴ وروي أن رجلا بأجلو جاء شاكي المشايخ، وفيهم الشيخ أبو زكرياء يحيى بن ويجمن الأريغي (ت: 467هـ/1074م)، وغيره من أهل آجلو، في أمر والده الذي منعه دينا له عنده، فعاتبوا الأب وهجروه، وبلغ الأمر الشيخ ماكسن بن الخير (ت: 491هـ/1097م)، فعارض ما ذهبوا إليه، لكن المشايخ استدلوا بما فعله الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي في وغلانة وأيضا في آجلو وأصروا على رأيهم، ولم يبد الشيخ ماكسن بعدها معارضة لاحترامه لسيرة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر واختياراته⁵.

وكعادة المشايخ كان لهم في علاقاتهم مع الناس حُكم، وفي شؤون حياتهم المختلفة يتورعون عن الخطأ فيكون ذلك حُجة على الناس أن يتبعوا سيرهم، لذلك تورع الشيخ ماكسن بن الخير مراعاة للمصلحة العامة وحاذر أن يؤذي غيره، فقد ذكر أن أولاده زادوا إلى عتبة الباب شيئا من أرض طريق العامة فأتاهم ورفض أن يتحرك من مكانه إلا وقد أرجعوا الجدار

¹ لم أتمكن من التعريف به.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص353-354.

³ نفسه.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص606-607.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص370.

إلى موضعه¹، وذكر عنه أنه أجاز الماء عبر طريق عام وجعل عليه جسرا لكي لا يؤدي حركة المرور ولا يتسبب في إزعاج، لكن الأمر لم يعجب شخصا يدعى سطتسمان بن عمرو² ونبه الشيخ ماكسن لهذا الفعل، لكن الشيخ رد عليه بجواز إجازة الماء على الطريق شرط أن لا يكون هناك ضرر قد ترتب عليه، كما كانت لهذا الرجل نخلة في جنان الشيخ لم يقربها الشيخ بزرع تورعا واحتياطا، وكان يتعامل مع جيرانه من أصحاب الجنان بحيلة أكسبته مودة كبيرة واحتراما³.

وعمل الإباضية على استغلال نفوذهم لدى الحكام لرد ما قد يصل إلى إخوانهم من ضرر أو ظلم، فكان الشيخ أبو يحيى زكرياء بن صالح اليراسني⁴ (ط12: 550-600هـ/1155-1203م) ذا مكانة كبيرة في البلاط الموحي بمراكش لما يحوزه من علم وأدب فقرب منه، يعقوب المنصور الذي كان وزيرا عند والده الخليفة، وكان الشيخ أبو يحيى ينسب يعقوب بأنه سيرث الحكم بعد أبيه، فوعد هذا الأخير الشيخ بتكريمه إن تحققت نبوءته، وبعد أن تولى المنصور الحكم قدم إفريقية وأكرم أبو يحيى وكتب فيه كتابا، وكانت المكانة التي وصل إليها أبو يحيى ذات نفع كبير لأهل جربة، وتعدى نفعها الإباضية في نفوسة والمغرب الأوسط⁵.

واحتاط الإباضية على إخوانهم من أي تغير أو تبدل وحذروا من أي مخاطر قد تصيبهم، فقد كتب أبو القاسم يونس بن أبي زكرياء فصيل الجربي (ق: 5هـ/11م) إلى أبي مكدول الزنزفي الوارجلاني (بين القرنين 4-5هـ/10-11م) رسالة تحذير من جماعة من النكار كانوا وافدين " بسم الله الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم إلى أبي

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص385-386.

² يظهر أنه من سكان وارجلان.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص386.

⁴ من مشايخ الإباضية عرف بتثقلاته بين وارجلان وجربة التي توجي بأنه كان تاجرا. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص502-504.

⁵ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص504.

مكدول أطل الله بقاءه وأدام عليه نعماءه أما بعد فإنني سمعت أن جماعة من النكار طلوعوا قبلكم فإياكم ثم إياكم أن يردوا أرضكم ولو للضيافة، فإن القوم أذخ الأمة، وأنت ممن لا يحتاج أن يوصى والسلام¹.

ومن بين الأعمال التي حضروا فيها الإصلاح بين المشايخ إن وقع بينهم سوء تفاهم في مسائل مشتبهة، فقد تدخل أيوب بن أبي عمران المزاتي² (أواخر ق: 6هـ/12م) حين وقع خلاف بين الشيخ سليمان بن شاعر الفطناسي التجديتي³ (النصف الأول من ق: 5هـ/11م) وشيخين من تجديد عمرا أرضا مشاعة لهما ما اعتبره الشيخ سليمان تعديا ليس هناك ما يبرره، إلا أن أبا عمران طلب قول الشيخ وارسفلاس بن مهدي النفوسي⁴ (النصف الأول ق: 5هـ/11م) في الأمر فأخبر بقوله بأنه إذا اتفق أهل المشاع على عمارة الأرض فلهم ذلك، ببيع أو شراء وغيره، إلا إذا خربت الأرض ولم تعد تدر شيئا فحينها تعود لسالف عهدها مشاعة. فكان تدخل أيوب فاصلا في المسألة وإن كان اختلاف المشايخ فقها في حكم المسألة ولم يكن وراءه أية خلفيات، فلما تبين القول الحق في الأمر انتهى كل شيء⁵.

ثالثا: إباضية المغرب الأوسط والمجتمع الإباضي في المغرب الأدنى

كما هو الحال بالنسبة للإسهامات الاجتماعية التي أضافها إباضية المغرب الأدنى، أثناء تواجدهم واحتكاكم بالمجتمعات الإباضية في المغرب الأوسط، فقد كان لإباضية المغرب الأوسط، إضافات وإسهامات في المغرب الأدنى، مست نواحي عديدة من شؤون

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص420.

² نشأ في دار علم بمزاتة، كان مرجعا للفتوى والنوازل. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص64.

³ شيخ إباضي من تجديد، أخذ العلم من وارفلاس بن مهدي. محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص924.

⁴ إمام من رزيق وقيل من ويغو بنفوسة، هاجر إلى شروس، مكث في قصر " ولم " اثنا عشر عاما يدرس العلم ويطلع الدواوين، اختبره المشايخ فكان مقتدرا، عاصر أبو عبد الله محمد بن بكر، وله صحبة معه إلى لمائة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص444.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص644-645.

الحياة، ودفعت نحو التآزر والوحدة بين أهل الدعوة الواحدة، ولم يختلف تعامل المجتمعات الإباضية في المغرب الأدنى عما لمسناه في المغرب الأوسط، فقد تقبلوا إخوانهم بكل صدر رحب، ودون أي تمييز أو تفريق، فالإباضي إنما ينظر إلى صاحب دعوته بنظرة الإخوة مهما اختلف مجال سكناهم.

ومن بين الروايات نذكر ما فعله أبو زكرياء يحيى بن ويجمن الأريغي (ت: 467هـ/1074م) الذي ساهم في إصلاح ذات البين أثناء اجتماع المشايخ بتمولست، وسبب اجتماعهم خلاف وقع بين أهل تين وال، وكان المشايخ يعاتبون رجلا ربما ساهم في استمرار الخلاف، فتدخل أبو زكرياء، وعرف موطن الخل، فطلب ترك جدال هذا الرجل والالتفات لمن بيده أمر الحل والعقد في المسألة قائلا " اتركوا عنكم البله الذي تمتلئ بهم الجنة ... دعونا من هؤلاء وهلموا لمن يثقب الخرزة بكيسه مثل ياتياسن بن حمو¹(حي بين: 438-528هـ / 1046-1133م) " ² فجاءه من بيده الأمر وتابوا وتم الصلح بينهم³، وساهم أيضا محمد بن الخير الأريغي⁴(ط10: 450-500هـ / 1058-1106م)، وداود بن يوسف الوارجلاني⁵ (ت: 462هـ/1069م)، بمعية الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي في حل خلافات تتعلق بالدين، فقد كان رجل من نفوسة صاحباً لرجل مزاتي يدعى يكنول، وكانا بتجديت، وكان للرجل النفوسي دين على يكنول يقدر بعشرين ديناراً، إلا

¹ فقيه وعالم بالأحكام من إباضية تين وال، له فتاوي أوردتها الوسياني، كان مقدم " بني تين وال ". ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص450.

² نفسه، ج2، ص416.

³ نفسه.

⁴ من علماء وادي أريغ، من بني مغراوة، أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه بكدية مغراوة، وتعلم الفقه والأصول عند أبي عبد الله محمد بن بكر وقد روت كتب السير الأسئلة التي كانا يناقشانها، اشتهر باشتغاله بالفلاحة، وهو أحد الذين أحيوا أرضاً تسمى «تلاعيسى»، واستصلحوها، فجاءها المشايخ من كل مكان. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص364.

⁵ الظاهر أنه الشيخ أبو سليمان داود بن أبي يوسف الوارجلاني، الفقيه المشهور، كان معاصراً لأبي عبد الله محمد بن بكر وتلمذ على يديه، كما ساهم في تكوين نخبة علمية عبر نشاطه التعليمي، ومن المشايخ الذين درسوا على يديه، أبو عمرو خليفة، وأبو نوح صالح بن إبراهيم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص142.

أن يكون توفى في نواحي إفريقية، فقدم النفوسي إلى مشايخ تجديد طلبا لدينه أن يوفى له مما ترك يكون، إلا أن المشايخ رفضوا الفصل في القضية لافتقاره إلى الدليل، كما أنه لم يترك شيئا، ولما علم بخبر اجتماع المشايخ بقطر، قصدهم وشكا إلى أبي عبد الله محمد بن بكر حاله، فتدخل داود بن يوسف وقال " علي دين يكون أقضيه عليه من مالي "1 فأمره أبو عبد الله بالجلوس ثم قال محمد بن الخير " علي دينه بسعة مالي "2 فأمره أبو عبد الله بالجلوس. وكان لفعل الشيوخ أثر في نفس الرجل فتنازل عن حقه وأشهد المشايخ على ذلك، إلا أن الفرستائي أبى ذلك وتم جمع المبلغ وقدموه إليه3.

وحدثت فتنة كبيرة بمنطقة درجين السفلى4 وكانت من الشدة بحيث أدت إلى خراب كبير، وقتل فيها الكثير ونهبت الأموال، حتى أصاب كلا الفريقين نكد كبير ووصف الدرجيني ما أصاب الإباضية من نكد بسبب ما وقع في إخوانه بقوله " فبلغ ذلك أهل الدعوة في الجهات الشرقية والغربية فعظم عليهم ما نال أهل درجين من الضعف واستبدال أحوالهم واستبعدوا استصلاح حالهم "5 فما كان إلا أن تحرك الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي السوفي6 (ق: 6هـ/12م) وقدم من سوف إلى أن وصل درجين ولم يدخلها بل نزل بنفطة7 فأتاه من العزابة يخلف بن يخلف التميمي النفوسي (ط: 12: 550-600هـ/1155-1203م) ومحمد بن سعيد وطلبا منه أن ينزل في ضيافتهما فامتنع أن يُضيّف عندهم قائلا " جئت بهم ولا أبدأ بغيره حتى يقضيه الله ويسره، وأنا أحب معاونتكم بأن تستحضروا له كل مهاجر إليكم، وفارق لوطنه بسبب هذه الفتنة وترغبوا إليهم في

1 الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، 383-384.

2 نفسه.

3 نفسه.

4 بنيت على أنقاض مدينة درجين التي خربها الصنهاجيون سنة 440هـ/1048م. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص852.

5 الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص499-500.

6 شيخ إباضي من قبيلة مغراوة. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص973.

7 تقع في إقليم الجريد ولا تزال تحمل نفس الاسم

الدخول في هذا الصلح...¹ فقدم إليه من اغترب من أهل درجين وحلقوا حوله عند مسجد قنطرار، ثم قدم إليه جماعة من كلا الفريقين المختصمين، فتقدم إلى أصحاب الدماء واستعفاهم عنها فعفوا، ثم طلب الجميع إلى الصلح فاصطلحوا، ثم عقد بينهم الصلح، وأخذ سبع حصيات من سبعة رجال كانوا جاءوا من الحج لتوهم وتولاها بيده وقال " هذه حصيات تناولتها أيدٍ قد استلمت الحجر الأسود "² ثم حفر في الأرض بمقدار ذراع ودفن الحصيات قائلا " هذه فتنة درجين قد دفنت "³ ثم طلب أن تنبذ أية قبيلة تبادر إلى الفتنة ولا تلتزم الصلح، وانتهت الفتنة بجهود شيخ أسوف أبو عبد الله محمد بن علي رحمه الله تعالى⁴.

وكان الشيخ أبو زكرياء يحيى بن يوسف الأريغي⁵ (ط12: 550-600/1155-1203م) ينتقل في بلاد المغرب بعزابته ويتوجه إلى مواطن أهل الدعوة، أو المناطق التي ضعف فيها المذهب الإباضي، فيثبت حضوره وعزابته دون تردد أو خوف، وإن استدعى الأمر التسلح والاشتباك، فقد روي عليه أنه نزل ببلاد تنتمرن⁶ وبات فيها في العراء ولم تكن البلدة إباضية في تلك الفترة، فحد صدام بين عزابته وبعض أهل تنتمرن حتى قتل أحدهم من مرافقي الشيخ، فجهز سلاحا ودخل إلى المدينة وطالب بالجاني، ولم يكن لأهل المدينة إلا أن قدموه إلى الشيخ فقتل، وتعطي هذه الرواية إشارة إلى وضعية المذهب الإباضي في تلك الفترة، التي آل منتسبوه إلى التراجع والضعف في بعض المناطق، تراجع

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص499-500.

² نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ من حفدة الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطاني، كان بمثابة الإمام العادل بأريغ، كان عالما حافظا، وله مؤلفات في المذهب، وقصائد شهيرة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص453.

⁶ يظهر أنها في الجريد.

لم يثن مشايخ الإباضية من وضع قدم لهم في تلك المناطق بعزابتهم، ولم يثنهم أيضا عن الدفاع عن أهل الدعوة بما قدروا عليه وإن تطلب للأمر، استعمال القوة¹.

وأراد رجل من أهل الدعوة أن يزوج ابنته لرجل نكاري، فاشتكتة إلى الشيخ أبي موسى بن السمح²، والشيخ عبد الله المدوني الوارجلاني³ (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) الذي كان بجرية حينها فزوجها المشايخ برأيهم، وقدم والد الفتاة إلى المشايخ وأخذ يردد " لا نكاح إلا بولي يا وهبية " فنهزه الشيخ عبد الله المدوني وأبان له خطأ ما فعله ورأيه⁴.

اعتبرت الشدائد من بين أهم الظروف التي تستدعي تدخل المشايخ فيستخدمون ما من الله عليهم من مكانة ووجاهة للتفريج عن بعض هموم أهل دعوتهم، فقد وقعت مجاعة في نواحي إفريقية ما دفع الناس إلى الهجرة وتغيير أوطانهم، فنزحت مزاتة إلى قابس لأخذ زادهم بالدين والقرض، ولم يكن لهم من يضمنهم عن المداينة فقصدا ضمام بن أبي موسى⁵ (ق: 6هـ/12م) وكان معروفا وله من الجاه ما يمكنه أن يضمن لهم الاقتراض، وطلبوا منه ذلك، فاستشار والده، وأخبره بما طلب منه القوم، فقال له والده: " فرض إذا أن تنجيهم بجاهك "⁶ وكان الشيخ أبو نوح صالح بن إبراهيم الأريغي (حي في: 557هـ/1161م) مشجعا للوالد ومؤيدا لرأيه فشكر صنيعة ونصحه لولده قائلا " يُسأل المرء عن فضل جاهه كما يسأل عن

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص510-511.

² لم نتمكن من التعريف به.

³ فقيه إباضي من وارجلان، ممن يرجع إليهم في الفتوى مع الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر، والشيخ عبد الله بن زوررتن. ينظر: عمر بوعصبانة، تحقيق سير الوسياني، ج1، ص291. (هامش)

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص291.

⁵ لم نتمكن من التعريف به، ويظهر أنه من مشايخ قابس.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص569-570.

فضل ماله ¹ فكان مما أدى بأهل مزاته إلى النجاة والاستزادة بالطعام، ضمان بن أبي موسى وجاهه، ونصح والده وإرشاده، وشكر أبي نوح وتأنيده ².

لم يتوان المشايخ عن تهذيب سلوكيات العامة في سائر الأمور، فقد ترافق الشيخان أبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي، والشيخ أبو سليمان أيوب الوارجلاني ³ (ط11: 500-550هـ/1106-1155م) حتى نبج كلب أدخل الروع إلى قلبي الشيخين، ولأجل ذلك دعا الشيخ أبو عبد الله إلى إدخال الروع إلى قلب صاحب الكلب، وكان ينصح قائلاً " ثلاثة لا أرها في بيت عدو الفرس في رأسه مطحنة، وفي تحته مزبلة، والكلب ينبج فيسمع نباحه فيروع ولو مسلماً واحدا ... والثالثة المرأة تفشي الأسرار وتهتك الأستار " ⁴ ونصح علي بن يخلف الدرجيني ⁵ (حي في: 557هـ/1179م) وكان رجلاً متقهاً في الدين رجلاً من وارجلان يدعى الخلف بن الخلف أو الزناد الوارجلاني كما يطلق عليه بأن يترك الشعر وكان مولعاً به وطلب منه الاهتمام بالفقه. إلا أن حبه للشعر كان قد ملأ قلبه فرد عليه بشعر من بحر البسيط قائلاً:

دَعْنِي بِفَقْهِكَ يَا ابْنَ يَخْلَفٍ إِنِّي
رَجُلٌ غَدًا بِفُؤَادِي الْأَشْعَارِ
إِنَّ النَّقَّةَ وَالنَّسْكَ وَالنَّقَى
أَنْسَاكَ ذِكْرُ الْخَرْدِ الْأَبْكَارِ ⁶

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص569-570.

² نفسه.

³ من أشهر علماء وارجلان، كان همزة وصل في سلسلة علماء هذه المدينة، ومبعث حركة علمية مزدهرة بها، سخر ماله لخدمة العلم فخصص داراً للتلاميذ متصلة بداره، عرف بكراماته وردت في كتب السير، تخرج على يديه علماء أفاضل ساهموا في الحركة العلمية بوارجلان خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي، من بينهم: الشيخ يخلف بن يخلف التيمجاري، والشيخ أبو عمار عبد الكافي، والشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص65.

⁴ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص418-419.

⁵ من أعلام درجين ببلاد الجريد، وهو جد أبي العباس أحمد الدرجيني، كان من كبار التجار إلى السودان الغربي، وهو سبب هداية ملك مالي. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص295.

⁶ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص515-516.

إن الحضور الاجتماعي لإباضية المغرب الأوسط في المجتمعات الإباضية من المغرب الأدنى أقل زخما من حضور إباضية المغرب الأدنى في مجتمعات المغرب الأوسط الأمر، الذي يرجع إلى كون المغرب الأوسط كان بعيدا عن السلطة المعادية فكان مجالا مفتوحا للعمل الاجتماعي، وكان أهل المذهب الإباضي أكثر تحررا من قيود الحُكام، أضف إلى ذلك، أن المغرب الأوسط عرّف شخصيتين كبيرتين كان لهما دور اجتماعي كبير هما أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، والشيخ ماكسن بن الخير. واللذان قادا ثورة في مجال العلاقات الاجتماعية وحاولا أن يؤسسا لوحدة اجتماعية إباضية يكون الرابط فيها المذهب الإباضي، واستعملا في سبيل الوصول إلى هذه الغاية كل الوسائل التي أتاحت لهما، دون أن نغفل دور كل المشايخ الذين آمنوا بنهضة المجتمع الإباضي وحفاظه على عراقته.

الفصل الثاني

التواصل الاقتصادي

المبحث الأول: مقومات التواصل الاقتصادي بين المجتمعات

الإباضية في بلاد المغرب

أولاً: العلاقات الاجتماعية

ثانياً: الطرق التجارية

المبحث الثاني: المميزات الاقتصادية للحواضر الإباضية

أولاً: في المجال الزراعي

ثانياً: في المجال الصناعي

المبحث الثالث: التبادل والتفاعل الاقتصادي

المبحث الرابع: مُعَيقات التواصل الاقتصادي بين الحواضر

الإباضية في المغربين

أولاً: الحُرابة وقطع الطرق

ثانياً: العراكات السياسية

المبحث الأول: عوامل التواصل الاقتصادي بين المجتمعات الإباضية في بلاد المغرب.

أولاً: العلاقات الاجتماعية.

ساهمت وحدة المذهب التي جمعت بين الإباضية في منطقتي المغرب الأوسط والأدنى في تفعيل الحركة الاقتصادية بين المجالين؛ ذلك أنَّ النشاط الاقتصادي يعدُّ علاقة إنسانية تؤثر فيها بالسلب أو بالإيجاب علاقات الأخوة أو العداء، وعليه فإن الإباضية وبكونهم حافظوا على العلاقات الاجتماعية التي جمعتهم، والتي تظهرها كثافة الحركة البشرية بين المجالين، فإنهم نسجوا علاقات اقتصادية تشمل التبادل التجاري، والإمداد بالمؤونة، وكذا التعاون والتضامن الاقتصادي كالشراكة والاستشارة. وفي هذا المطلب سنحاول توضيح مساهمة العلاقات الاجتماعية في تفعيل وتنشيط الحركة الاقتصادية بين الإباضية في بلاد المغرب الأوسط والأدنى.

توطدت العلاقات الاجتماعية عبر زمن الدولة الرستمية لمكانتها السياسية والدينية، وكثيراً ما صبغت هذه الزيارات بإشارات تحمل مدلولات اقتصادية، فأبو مرداس مهاصر مثلاً كان إذا أراد الزيارة للولاء بتيهرت أخذ معه أموال الوصايا من أهل الدعوة في جبل نفوسة إلى تيهرت قصد نفع بيت مال المسلمين، وأيضاً لكي ينتفع أصحاب الوصايا بالرخص، والمقصود هنا أن من الأموال أموال خاصة بإطعام المساكين لأصحاب الرخص لليمن والصيام وغيرهما، فإذا وصل وهياًها يجمعها في موضع كومة واحدة ويسمح للمساكين فيحملون ما يعينون به أنفسهم فيما خصهم من طعام أو لباس¹.

كما كان أبو مرداس أيضاً إذا قدم تيهرت بعد حصاد الناس لزروعهم ولقط اللقطين ما تبقى من السنابل التي توجد بعد انتهاء عملهم، وبعد أن ترعى المواشي يأتي فيلقت ما

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص257-258.

يكفيه قوت عام؛ وذلك لأنه يُعتبر ما بقي بعد كل المراحل سالفه الذكر إنما هو متروك لا إثم في أخذه¹.

ومن بين مظاهر العلاقات الاجتماعية التي حملت مدلولاً اقتصادياً؛ الهجرة، فالكثير من الإباضية هاجروا إلى حواضر إخوانهم وساهموا مساهمة واضحة في الحياة الاقتصادية، ومن بين الأمثلة على ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي الذي تذكر كتب السير استثماراته في مجالي الزراعة والرعي، فقد كان له غنم في بادية بني مصعب يُعين الرعاة لخدمتها² كما كانت له ضيعة في تين يسلي نزل بها الجراد ذات عام وانقشع ببركة دعائه³ ويمكن أن تكون الزروع التي جلبها أبو عبد الله من الحجاز قد غرست في ضيعته التي في تين أسلي ويورد الوسياني مسمياتها " حمل أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي ستة غروس : البرني والعجوة والصيحاني وأم جردان، وقضب الجيب وغرس في جرمة فغرسها فقامت كلها آجره الله، وقد جعلها في سقاء ماء، وله غار يزار فيه شرقي المصلى في داره، وهو شيخ سخي زكي رحمه الله وله أولاد صالحون محمد وزكريا والغروس التي حملها من الحجاز، وهي قضب الجيب حية إلى اليوم يدعى عندها في آجلو الشرقي"⁴ وكان عند أبي عبد الله أكثر من هذه الضيعة وذلك بما تظهره الرواية التي كانت عند وفاته إذ أوصى لمن حضر معه بقوله: " جناني الذي على العيون ليوسف ابني "⁵ ما يوحى أنه كان لأبي عبد الله أكثر من جنان وإلا لما خصص بالقول موضعاً معيناً يقع قرب العيون ليوصي به.

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص293.

² نفسه، ج2، ص390.

³ نفسه، ج2، ص380.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص369.

⁵ نفسه، ج1، ص489.

بالإضافة إلى إسهاماته في الزراعة كان أبو عبد الله محمد بن بكر يملك أغناما يرسل لها من أولاده من يتفقدوها في الأمصار، فعن أبي يعقوب يوسف بن أبي عبد الله قال: " إن مواشي والدي في أفدود فكنت أزورها وأتفقدوها وأنا راكب جملا، وربما أجد في الجمل العياء وأرأف به وأنزل وأسعى على رجلي، فإذا قدمت على والدي فيستخيرني وأخبره فيقول: ما أهمك شيء يا ولدي ولا حفلت بشيء، ولم يشفه عملي ولم يقنعه ذلك من سعيي ولا أترك طاعتي رغبة ولا رهبة، حتى أود الموت إذ لم يرضه سعيي، فلما مات رحمه الله رجع إلي ذلك كله، وعرفت أنني في راحة أيامه ¹ ولم يكن ليتم سعي أبي عبد الله وعمله في مهنة تربية الماشية، لو لم يكن في كنف إخوانه وبين قومه، وما تحركاته وتقلاته بما حملته من طابع اقتصادي؛ إلا انعكاس للعلاقات الاجتماعية والمذهبية التي ربطت بين الحواضر الإباضية.

عمل أبناء أبي عبد الله محمد بن بكر على تشجيع الوافدين القاصدين لأريغ قصد الزراعة، وطلب الرزق فكان أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر البرقاوي (ق5هـ/11م) يريد القطن في أريغ، فشجعه أبو يعقوب يوسف واستعجله في المجيء، وفك ما وراءه من التزامات فأوصاه ببيع ما يملك من نخيل وإن كان بنصف سعرها، ثم عرّفه بسعر حوض النخيل الذي يبلغ عرضه أربعة أذرع وطوله ثمانية أذرع والذي يبلغ ديناراً².

ومن الصالحين من استغل مكانته العلمية والاجتماعية في تذليل مهام أتباع المذهب، والأخذ بيدهم للتزود واقتناء ما يلزمهم وقت الضيق، فالشيخ أبو نوح صالح بن إبراهيم بن يوسف الأريغي (حي في: 557هـ/1161م) كان في إفريقية وكانت سنة مجاعة، جعلت الناس ينزحون إلى قابس وبلاد الجريد، ومن بين الأقوام التي هاجرت مزاتة التي نزلت بقابس يجمعون التمر بالدين، إلا أنهم لم يوفقوا لجهل أهل قابس بهم، فذهبوا إلى ضمام بن أبي

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص360-361.

² نفسه، ج1، ص370-371.

موسى الذي كان من العلماء من تلامذة الشيخ أبي الخز، وكان معروفاً عند أهل قابس وكلمته مسموعة عندهم وسألوه أن يتوسط لهم عند أهل قابس لإقراضهم التمر، فشاور والده أبي موسى يزيد المزاتي¹ (ق:4-5هـ/10-11م) وأخبره بطلب القوم، فسأله عن أهل قابس، وإن كانوا يقرضونه ويأمنونه فأجاب بالإيجاب، فطلب منه أن يُعينهم على القرض بما يملكه من جاه ومكانة فشجع الوالد ولده على مساعدة إخوانه، وأيد الشيخ أبو نوح فعل الوالد وردد قائلاً: " يُسأل المرء عن فضل جاهه، كما يسأل عن فضل ماله " ² فكانت هذه الحادثة مظهراً يوحى بالرابطة القوية التي جمعت بين الإباضية، فما كان أهل مزاتة لينتجعوا حواضر غير حواضر أهل دعوتهم حين يمسه بأس، كما كان للعلماء أثر في مختلف المعاملات.

ودفعت فتنة وقعت في وارجلان أبو صالح الياجراني الوارجلاني (ق:5هـ/11م) إلى الهجرة نحو أهل دعوته في أدرج³ وبعد انقشاع الفتنة بوارجلان استدان بأدرج عشرة دنانير، قصد شراء بعض الأغراض التي تتمثل في قطران وعلف لبهائمه وقصد بها وارجلان، ثم كر راجعا ومعه العشرة دنانير وفي طريقه تصادف مع جماعة من محتاجين فحز في نفسه أن يقدم لهم من العشرة دنانير رافة بحالهم ورغبة في أن ينال الأجر والثواب، فدفع لهم منها ديناراً، فلما وصل لمقصده وأراد رد الدين لصاحبه، عدّ ما لديه من نقود فإذا هي عشرة دنانير⁴.

وكانت المناسبات الدينية، والزيارات الاجتماعية فرصة للتبضع وشراء ما تشتهر به المناطق من سلع، ومن هذه المناسبات فريضة الحج، فقد عاد من الحج أبو محمد ماكسن

¹ من علماء الإباضية الذين عرف عليهم الصلاح وصفه الدرجيني بأنه متقن لمسائل الحلال والحرام، كما كان ذا ورع كبير. ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص421.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص569-570.

³ مدينة تاريخية بليبيا تعرف حالياً بدرج تبعد على طرابلس 550 كلم مائة وعشر كلمترات ولها ارتباط وثيق بجبل نفوسة.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص373-374. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص802-803.

بن الخير القيرواني وأصحابه أبو الربيع سليمان بن موسى الزلفيني الوارجلاني¹ (ط10: ق:5/10) وعبد السلام بن عمران اليكشني² ومحمد بن عيسى بن إبراهيم الهواري الأريغي³ (ق: 5/11م) وكانوا في مجموعهم اثنا عشر رجلا، وما إن وصلوا طرابلس حتى استغلوا حلولهم بها لشراء اللباس، وكل يمكن أن يُظهرهم في أحسن حلة، ويظهر أن طرابلس في تلك الفترة قد اشتهرت بإنتاج الملابس، وإلا لما كان المشايخ ينتظروا حلولهم بها للتبضع، ثم قصدوا جربة لزيارة إخوانهم، فدخلوها وكان حلولهم بها في أبهى حلة؛ ذا أثر كبير في نفوس أهل الدعوة، إذ شكروا لهم صنيعهم بها، وقال لهم الشيخ زكريا بن أبي بكر الوارجلاني (ط11: 500-550هـ/1106-1155م) الذي يبدو أنه كان بجربة حينها " فعلتم لنا هذه المرة ما لو أقمتم وأحييتم جميع من مات من شيوخنا من لدن أبي عبيدة إلى يومنا هذا لكان هذا الذي صنعتم أجل وأفضل"⁴.

تَبَعَتْ هذه العلاقات الاجتماعية مسائل مالية متعلقة بالإرث، إذ أن كثيرا من إباضية المغربين يفاجئهم الأجل في غير محل إقامتهم، فيحضر من لهم نصيب في تلك التركة لنيل حقهم، أو يحضر من له دين على المتوفى ليقبض دينه، فقد كان رجل من نفوسة صاحبًا لرجل مزاتي يدعى يكحول بن عيسى التجديتي⁵ (ت قبل: 440هـ/1049م)، وكان مقيما معه بتجديت، يقوم على شؤونه وكان ليكحول دين للرجل النفوسي يقدر بعشرين دينارا، وتوفي قبل أن يتمكن من تسديدها، فقصد الرجل النفوسي تجديت للمطالبة بحقه، فقصد المشايخ الذين أشاروا إلى أن يكحول مات في إفريقية، وهي أرض غير أرضه وليس له أي

¹ من علماء الطبقة العاشرة، من أهل وارجلان، عرف عنه شدة الورع، وكان من بين المستجابين الدعاء. ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص440.

² لم أتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي توصلت إليها.

³ ولد بتجديت ببلاد أريغ، يذكر أن أمه من لواتة فرت إلى تجديت وتزوجت بها فأنجبته، ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص392.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص476-477.

⁵ من علماء نجدت، وهو معاصر للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، كان أحد العزابة، ومن المعروفين بالورع والتقوى والزهد في المال. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب الإسلامي)، ج2، ص479.

إرث وله طفلة، ولم يوص بشيء مما تدّعي، فقصد قسطنطينية لمّا سمع أن المشايخ طلعوا إلى تلك الناحية عند قنطنار، وكان فيهم أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، ومحمد بن الخير الأريغي، وداود بن يوسف الوارجلاني، وسعيد بن إبراهيم ونفر كثيرون، فتكلم النفوسي إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، وقص عليه دينه على يكحول، فبدأ المشايخ المجتمعون يعرض الواحد منهم تلو الآخر تسديد الدين من ماله، وكان أبو عبد الله ينصحهم بالتريث، وقرر النفوسي العفو عن دينه؛ لكن أبو عبد الله رفض ذلك وجمع المشايخ العشرين ديناراً وأعطوها للنفوسي¹.

احتفظ الإباضية من المغرب الأدنى بحقوقهم المالية في المغرب الأوسط كالميراث وطلبوا بما لهم من حق دون أي اعتراض أو إحفاف، فالشيخ يخلف بن يخلف التميمي النفوسي كان له عم مهاجر بوارجلان ومقيم بها فتوفاه الله ولم يكن له وارث غيره، فشد الرحال إلى وارجلان طالبا ماله وأقام فيها أياما حتى حصّل جميع ما له من مال، ثم قرر الرجوع إلى قسطنطينية حيث يقيم، وقد رافقته في رحلته قافلة بها أموال كثيرة، ومروا بأريغ غير أن غارة قطاع طرق أصابتهم فسلم منها بعد أن خبأ ماله ودفنه².

وساعدت العلاقات المذهبية في استيراد سلع معينة مثل أدوات البناء فقد أرسل رجل من مزاتة قسبا ومواد أخرى لتسقيف مسجد للإباضية في تجديد وكانت هذه المواد محملة على اثني عشر بعيرا ساعدت العزاب في إقامة المسجد، وواصلوا مهمة صيانته من جلود الأضاحي وتبرعات المحسنين³.

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص437. الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص816-817.

² الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص461-462.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص643-644.

ثانيا: الطرق التجارية.

تعد الطرق الشريان الذي يغذي التبادل والتفاعل الاقتصادي في كل المناطق، وقد حظيت الحواضر الإباضية بمواقع هامة على امتداد الطرق التجارية في بلاد المغرب، ما سمح للإباضية بالتفاعل اقتصاديا مع مختلف الأمصار، وفق روابط اجتماعية ومذهبية، ألقت بظلالها على العلاقات الاقتصادية من خلال التشارك والتبادل والتفاعل، ومن تلك الطرق نذكر:

- **طريق تيهرت-الجريد-القيروان- تونس:** من بين أهم الحواضر الإباضية في المغرب الأوسط التي رُبِطت بمجالات إباضية في المغرب الأدنى حاضرة تيهرت الرستمية التي تمتعت بموقع هام جدا عند ملتقى طريقين: الأول متوجه إلى القيروان عبر الزاب، والطريق الثاني يربط تيهرت بفاس؛ كما ارتبطت بطريقين آخرين: طريق يربطها بسجلماسة، وطريق يربطها مع بلاد السودان، وتمتع طريق تيهرت القيروان بحركية كبيرة، ذلك أنه يربط بين حواضر إباضية مهمة خاصة في القرن الثالث الهجري، ويمر طريق تيهرت القيروان بجبل أوراس والزاب¹ مارا على باغاي² وبلزمة وطبنة وأدنة³ هذا إذا كانت القوافل تسلك طريقا تليا، أما إذا سلكت طريقا صحراويا فإنها تتجه نحو وارجلان عبر جبال عمور ومنها إلى القيروان⁴ وهو الطريق الذي سلكه الإمام يعقوب بن أفلاح⁵ (ت: 310هـ / 922م) عند مغادرته تيهرت، ويتميز هذا الطريق بكونه غير آمن فهو معرض للغارات والاعتداءات، إلا أنه سريع لأن المسافرين عبره يقلون من التوقف، فمحطاته قليلة وأيضا غير مكلف لعدم

¹ بلاد تقع على طرف الصحراء، على مقربة من بلاد الجريد، تتمعد بكثرة النخيل، بها عدة مدن. ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص171.

² مدينة تقع في أقصى إقليم إفريقية بين مجانة وقسنطينة. ينظر: شهاب الدين البغدادي، معجم البلدان، مج1، ص325.

³ من حواضر بلاد الزاب، ينظر: مجهول: الاستبصار، ص171.

⁴ صلاح الدين حمدي، حراني قدور (2018)، موقع تيهرت بين الطرق التجارية بالغرب الإسلامي، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 01 (العدد01)، الجزائر: جامعة تيارت، ص99.

⁵ من أئمة الرستميين تولى الإمامة سنة 282هـ/895م لمدة أربع سنوات فقط، إذ اعتزل الفتن التي كثرت وذهب إلى نفزاوة، هاجر من تيهرت إلى وارجلان بعد سقوطها. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص473.

وجود ضرائب للمرور عليه لبعده عن مراقبة الدويلات¹ وهناك طريق يربط تيهرت بقسطيلية² وقفصة عبر أسوف تقدر مدة السير فيه خمسة عشر يوما إلى قسطيلية، ومن قسطيلية إلى قفصة ثلاث مراحل³ وارتبطت تيهرت بطريق بحري، فمن تيهرت تخرج القوافل إلى ميناء تنس ومنه إلى ميناء تونس⁴.

طريق تيهرت جبل نفوسة: نرجح أن يكون الطريق الذي ربط تيهرت مع القيروان، قد استعمل في جزء منه لربط جبل نفوسة مع تيهرت، حيث يذكر الإدريسي ارتباط جبل نفوسة بنفزاوة عبر طريق، ومن نفزاوة إلى الغرب تتصل بباديس⁵ وبسكرة⁶ وهو ما يجعله مشتركا مع الطريق الذي يصل تيهرت بالقيروان عبر الزاب، وكذا فإن تيهرت يمكن أن تكون ارتبطت بجبل نفوسة بطريق آخر عبر وارجلان أريغ أسوف نفزاوة⁷ ما دامت ارتبطت بوارجلان بالطريق سالف الذكر⁸.

طريق وارجلان - أريغ - جبل نفوسة: اتصل جبل نفوسة بوارجلان عبر طريق مسافته اثنتا عشر مرحلة⁹ ونرجح أن يكون هذا الطريق يمر بنفزاوة ثم إلى أسوف ثم أريغ إلى وارجلان¹⁰

¹ جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1984، ص117.

² مدينة من مدن بلاد الجريد ، تضم أربعة حواضر، وهي نفطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاوة. ينظر: مجهول: الاستبصار، ص 155 - 156.

³ إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص189.

⁴ صلاح الدين حمدي، حراني قدور، موقع تيهرت بين الطرق التجارية بالغرب الإسلامي ، ص100.

⁵ مدينة قرب بسكرة تبعد عن تهودة مرحلة، اشتهرت بزراعة الشعير والفواكه. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984، ص75.

⁶ الإدريسي (ق:6هـ/9م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص279.

⁷ T. Lewicki: *Etudes Maghrebines- Soudanaises*, Editions Scientifique de Pologne, Varsovie, 1976, p29

⁸ أنظر: الملحق: 06.

⁹ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص279.

¹⁰ T. Lewicki: *Etudes Maghrebines- Soudanaises ...*, p29.

وذلك للرواية التي ذكرها الدرجيني في شأن المرأة التي كانت تخدم تلاميذ أبي عبد الله محمد بن بكر بأريغ وغاب عنها زوجها في نواحي طرابلس وأضر بها ذلك، فأراد الشيخ مساعدتها في فك رابطتها بهذا الزوج المهاجر، فأرسل رجلين يدعى أحدهما علي بن يعقوب، والآخر عمرو بن يحيى، إلى زوجها لسماع الطلاق منه، وما إن سمعا منه ذلك كرا راجعين إلى أريغ، وتشير الرواية إلى الطريق الذي سلكه علي بن يعقوب في عودته، إذ توجه إلى نفزاوة، ثم إلى تقيوس من بلاد الجريد¹. وباختصار فإن الطريق بين وارجلان وجبل نفوسة، قد ربط أريغ أيضا بجبل نفوسة عبر الجريد مروراً بأسوف ثم نقطة إلى قفصة، ومنها إلى نفزاوة ومنها إلى جبل نفوسة²، ويظهر أن طرابلس أيضا اتصلت بهذا الطريق، فيما يظهر من رواية أخرى تذكر أن الشيخ أبا يعقوب يوسف بن الوالي (ق5هـ/11م) الذي كان يسكن في طرابلس فأصابته مجاعة فقصد تين يسلي في طريقه إلى وارجلان، والتقى بالشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الذي منحه مؤونة ونصحه بالعودة إلى عياله، فرحل إلى أسوف ومنها إلى نفزاوة، ثم إلى طرابلس³، ويحتمل أن يكون هناك طريق يصل إلى مدينة أدرج إلا أنه لم يستعمل في الوصول إلى جبل نفوسة لغياب محطات عامرة في الطريق⁴.

طريق وارجلان - توزر - قسطليلية: رَبطَ طريق تجارية قديمة بين وارجلان وتوزر وبطبيعة الحال نحو سائر مدن قسطليلية وبلاد الجريد، وعرفت مدينة توزر حركية تجارية كبيرة جعلت الطريق إليها يشهد حركية، وكان للطرق التي ربطت توزر والمدن المجاورة لها وقسطليلية، مع حاضرة وارجلان دور كبير في التجارة إلى تيهرت أيضا، وكل هذه الطرق كان لها دور في التجارة مع السودان الغربي، وكانت هذه الطريق ممرا رئيسا لتجار قنطرار، والحامة، وأمسنان نفوسة، وتعد نقطة من أهم مراكز قسطليلية، وكانت على الطريق بينها وبين

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، صص378-380.

² مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص207.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج3، صص832-834. الشماخي، كتاب السير، ج2، ص736.

⁴ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص312.

وارجلان، ويظهر جليا أن طريق وارجلان قسطنطينية كان طريق عبور خلال (ق:3هـ/6م)¹ مما يظهر أن وارجلان إنما ارتبطت بقسطنطينية وتوزر ونقطة وغيرها من مناطق بلاد الجريد عبر الطريق سابق الذكر المتوجه إلى نفزاوة عبر أسوف، ونفترض أن تكون عند أسوف نقطة تقاطع أو مفترق طريق يصل إلى نقطة وتوزر ثم إلى قسطنطينية، وكانت شبكة الطرق التي تصل مدن بلاد الجريد بعضها ببعض تشكل مفترقات يستعملها المتوجهون إلى الطريق الرئيس إلى أسوف، وهذا هو الطريق الأكثر استعمالا، فأبو جدرن السوفي ذكر محطات هذه الطرق في معرض حديثه عن جوغراف " إذا انتقل بنو درجين من قنطار إلى أسوف وانتقل أهل أسوف إلى أريغ، وانتقل أهل أريغ إلى وارجلان، فإذا اجتمعوا في وارجلان ارتحلوا إلى جوغراف "².

¹ T. Lewicki: *Etudes Maghrebines- Soudanaises...* p14-18

² الوارجلاني، سير الأئمة، ص377. أنظر الملحق: 07

المبحث الثاني: المميزات الاقتصادية للحواضر الإباضية.

أولاً: في المجال الزراعي.

حظيت الزراعة بأهمية بالغة في مختلف الحواضر الإباضية، وذلك راجع في رأينا إلى الطابع الحضري الذي يغلب على المجتمعات الإباضية، والذي من مميزاته ممارسة الزراعة، ونُظم العمل الزراعي تنظيماً محكماً، رُوِيَ فيه مبدأ العدل والإنصاف في استغلال الموارد من مياه وأراضٍ، وصبغ ذلك برؤية مذهبية، وظلَّ العمل على ما تعارف عليه في تأطير العمل الزراعي إلى غاية القرن (5هـ/11م) حيث أَلَّف أبو العباس أحمد بن محمد أجوبة فقهية على مسائل تتعلق بتقسيم المجالات الحضرية والزراعية، وما يرتبط بها من شؤون مختلفة كالمياه، واعتُمد هذا المؤلف كمصدر لحل النزاعات وتبيان الحقوق، وظلَّ الأمر كذلك إلى غاية الآن، ومن أبرز المسائل التي تناولها قسمة الماء التي بدا مُلماً بطرقها وحيثياتها، مثل حركة الماء وانحداره، وتأثير مستويات الانحدار في دفع الماء، وأخذ كل ذلك في الحسبان بالعدل والأنصاف، وإن كان كتاب القسمة صبغ بصبغة مذهبية، غير أن نقاشاته انطلقت من مصادر الشريعة الأساسية، بعيداً عن السجلات التاريخية¹ ومن مسائل المياه التي ناقشها، مياه الأمطار وقسمتها، إذ أوردَ أنه يُشترك في الاستفادة منها في سقي الزروع عبر إجراءاتها وقسمتها² أما مياه الأودية ففيها من الأحكام الكثير من التفصيل، حيث تختلف طرق استغلال وتقسيم مياهها حسب نوع الوادي، ودرجة جريانه وقربه من المدن، وكذلك حظيت الآبار والسواقي بأحكام مفصلة³ وعن التزام المجتمعات الإباضية بتطبيق هذه

¹ محمد عبد الستار عثمان، فقه العمران الإباضي حتى نهاية ق 12/6م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، (ط1)، سلطنة عمان، 2014، ص ص57-59.

² أبو العباس أحمد بن محمد، القسمة وأصول الأراضي، تح: بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر، نشر جمعية التراث، (ط2)، الفرارة، 1997، ص112.

³ عناق جمال (2017)، قضايا ومسائل المياه من خلال كتاب القسمة وأصول الأراضي لأبي العباس الفرسطائي ق5هـ/11م، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، (العدد41)، القدس، جامعة القدس المفتوحة، ص247-249.

الأحكام، فقد لمسنا من الروايات التاريخية ما يتطابق مع آراء الفرستائي، فكثيرا ما ترد مسائل الخلاف فيما يتعلق بالمياه والسواقي وغيرها إلى العلماء، أو يستشهد بأقوالهم فيما جرى عليهم من مسائل مشابهة، وسنقف على ذلك من خلال عرض النشاطات الزراعية للحواضر الإباضية في المغربين.

1- أهم المراكز الفلاحية في المغرب الأدنى

- **جبل نفوسة:** تمتعت منطقة جبل نفوسة بازدهار زراعي ساهم فيه توفر عوامل منها شبكة مائية عذبة، إضافة إلى مياه جوفية، وكذا نوعية التربة الملائمة لنمو عدد معتبر من الزروع، وقد أفادنا جون ديبوا بدراسة هامة حول مظاهر السطح في منطقة جبل نفوسة، وأفادنا بإحصائيات دقيقة وموثقة لنوعية التربة، الأمر الذي قد يُفسر التنوع في المحاصيل الزراعية، ومن أنواع التربة التي احتواها مجال جبل نفوسة تربة الحمري، وهي تربة رملية حمراء أو وردية تشتهر في الجنوب التونسي، ومنطقة طرابلس وأيضا التربة الطينية والجبسية¹.

كما كان للشبكة المائية التي تميز بها جبل نفوسة أهمية بالغة أيضا، إذ ارتكزت عليها الزراعة، ولعل أهم هذه الأودية هو وادي جادو² الذي تنقسم فروعه باتجاه الجنوب في اتجاه سطح الجبل³ كما تتشكل أودية صغيرة في ناحية نالوت⁴، التي تتميز بخصوبة الأراضي الزراعية فيها، ويعد وادي تكانون والأودية الصغيرة المحاذية لها ذات أهمية كبيرة لمنطقة جادو⁵.

¹ جون ديبوا، جغرافيا جبل نفوسة دراسة ميدانية في دراسة في الجغرافيا الطبيعية والبشرية، ترجمة، عبد الله زارو، مؤسسة تاووليت، (د. ط)، (د.ب)، 2005، ص 46-57.

² مدينة ليبية لازالت تحمل نفس الاسم إلى اليوم.

³ جون ديبوا، جغرافية جبل نفوسة، ص 67.

⁴ من مدن جبل نفوسة لازالت تحمل نفس الاسم وتبعد عن طرابلس 276 كلم.

⁵ جون ديبوا، جغرافية جبل نفوسة، ص 68.

وامتهن أغلب سكان جبل نفوسة الزراعة وامتلك الكثير منهم ضيعات وأراضٍ¹ ومن أهم الزروع التي عرفتھا المنطقة هي الأشجار المثمرة كالزيتون والنخيل والتين، إضافة إلى أنواع من الخضر والفواكه التي كانت تصدر إلى خارج جبل نفوسة² وقد اختصت مناطق محددة في الجبل بزراعات محددة، فكان وسط الجبل مرتكزا على زراعة النخيل والزيتون والفواكه³ والظاهر أن زراعة الزيتون كانت ذات أهمية بالغة وأن أشجارها بلغت أعدادا كبيرة فقد كانت قرية إجناون⁴ تحتوي على اثني عشر ألف زيتونة⁵ كما اشتهر النفوسيون بإنتاج زيت الزيتون، وجعلوا عادات معلومة في جنيه وعصره فكان جنيه يتم في زمن معلوم، فقد منع أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني⁶ (ت بعد: 211هـ/826م) أهل إجناون من جني الزيتون وأمرهم بالتريث إلى وقت آخر، بل إنه عاقب من خرج عن هذا الأمر، ونرى أن فعل أبا عبيدة هذا إنما ينبع من حرصه على جودة منتوج الزيتون وزيتته، وذلك للصيت الحسن الذي يكون قد عُرف عنه، وأي إخلال بقواعد جني الزيتون إنما يؤثر على السمعة الطيبة التي عرف بها، وبنى النفوسيون معاصر للزيتون، كان يقوم عليها العبيد السودان، كانت مواقعها أسفل الأرض ربما للحفاظ عليه من عوامل المناخ المختلفة، وكان زيت نفوسة يُصدر إلى العديد من المناطق خاصة في المواسم التي تُعرف وفرة في إنتاجه نظرا لجودته العالية، ولم يكلف النفوسيون أنفسهم عناء التنقل به لبيعه، إذ كانت تصلهم القوافل إلى ديارهم لابتياحه من مدن عديدة⁷ و عن سقي هذه المزروعات فقد تم اعتماد السواقي

¹ إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 149.

² صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، ص 41.

³ أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص 181.

⁴ تعرف حاليا باسم جناون وتقع إلى الغرب من جادو.

⁵ الشماخي، كتاب السير، ج 2، ص 321.

⁶ من علماء إجناون قرب جادو بجبل نفوسة، التي أخذ العلم بها، لقي الإمام عبد الوهاب بن رستم وعينه عاملا على حيز

طرابلس. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج 2، ص 244.

⁷ مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص 201.

والأحواض لضمان السقاية الكافية لها، فأبو محمد سعد بن أبي يونس النفوسي¹ (ق: 4هـ/10م) كان في جنانه يَغرس الغروس ويَحفها بالأحواض التي يملأها بالماء، وكانت هذه الأحواض المليئة بالماء سقيا لعابري السبيل فيشربون منها².

إضافة إلى الزيتون، فإن الكروم كانت من المنتجات الرائجة في جبل نفوسة، وعُرف عن المشايخ من كان يمتن غراسه الكروم، فقد ذكر أن رجلا نفوسيا يدعى أبو محمد عبدة التلاوتي³ غرس ثلاثمائة كرمة، وعرف عن هذا الشيخ كرمه وسعة رزقه، إذ أنه كان مسارعا إلى إغاثة أهل الجبل عند أي قحط أو جوع، كما عرف عن أبي هارون الجالامي النفوسي⁴ (ق: 3هـ/9م) امتنانه في غرس الأشجار وجني الثمار، فذكر أنه جنى مائة وخمسين وسقا، وكذلك أبو الربيع بن أي هارون النفوسي⁵ (ق: 5هـ/11م) الذي كان يجني كل عام ثلاثمائة مج من التين فيقسمها بين عياله وتلاميذه وضيوفه⁶.

وبالحديث عن التنوع الذي عرفه الإنتاج الزراعي في جبل نفوسة يوردُ الحسن الوزان (عاش بين ق: 9-10هـ/15-16م)، وصفا لبعض المنتجات التي نرى أن إنتاجها في الجبل سابق لعهد الوزان، أو على الأقل تعطينا فكرة عن ملائمة أرض نفوسة لزراعة أنواع متعددة من الزروع فيقول في معرض الحديث عن منطقة غريان⁷ "جبل مرتفع بارد، طوله نحو الأربعين ميلا، عرضه نحو خمسة عشر ميلا، ينتج الكثير من الشعير والتمر

¹ من إباضية جبل نفوسة، تولى والده خطة العمل في قنطرة زمن الإمامة. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1009.

² صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، ص42.

³ لم نتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁴ من فقهاء جبل نفوسة، أخذ عن أبي القاسم البغطوري مدة ثلاثين سنة. ينظر محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1038.

⁵ من إباضية جبل نفوسة، عرف بعلمه الذي أهله للفتوى، وبدعائه المستجاب. ينظر: مقرين بن محمد البغطوري النفوسي، روايات الأشياء، تحقيق: عمر بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، ط1، عمان، 2017.

⁶ مسعود مزهودي، جبل نفوسة، 202.

⁷ منطقة جبلية تقع في شمال غرب ليبيا، تبعد عن العاصمة طرابلس ب 75 كلم.

الممتاز الذي ينبغي أن يؤكل طريا، كما ينتج كثيرا من الزيتون التي تستخرج منه كمية عظيمة من الزيت تنقل إلى الإسكندرية والمدن المجاورة، ويكثر فيه أيضا الزعفران الممتاز لونا وجودة، وهو أحسن بكثير من الزعفران المستورد من أي جهة في العالم¹.

كما انتشرت في الجبل زراعة الحبوب كالشعير، وكانت هذه الحبوب تحفظ في أماكن خاصة وهو ما روي عن أبي عثمان المزاتي² (ط5: ق3هـ/9م) الذي اتخذ مخزنا لحفظ الشعير احتياطا وكان ينفق منه على الناس³ ورغم الإشارات التي تورد الإنتاج الوفير من القمح والشعير في جبل نفوسة، غير أنه يبقى بعيدا عن الاكتفاء أو أن إنتاجه كان متذبذبا، الأمر الذي نرجعه إلى طبيعة زراعة القمح والشعير باعتبارهما القوت الأكثر استخداما في المعيشة؛ ذلك أن سقي زروعهما إنما يعتمد بصورة كبيرة على تساقط الأمطار مما يجعل الإنتاج مرتبطا بمدى التساقط وانتظامه⁴ ويفسر هذا ولو بشكل نسبي الإشارات التي تروي اتخاذ مطامير والإنفاق منها في حال الجذب، ضف إلى ذلك أن من النفوسيين من كان يرتحل إلى منطقة تيهرت طلبا للحبوب فقد ذكر أن الشيخ أبا مرداس م صاهر الذي ذكرنا أنه كان يفد إلى تيهرت للقط الحبوب⁵ وكان الشيخ مقيما في قرية " تبرست"⁶ " يوجد بما لديه من حنطة فيقف على طريق الخطابين الراجعين فيطعمهم طعاما عبارة عن دقيق مبلول

¹ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1983، ج2، ص106.

² من العلماء مستجابين الدعاء، هاجر إلى جبل نفوسة واستقر بها. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص308.

³ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص346.

⁴ جون دييوا، جغرافيا جبل نفوسة، ص86-87.

⁵ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص293.

⁶ من قرى جبل نفوسة غير محددة الموضع بدقة. ينظر: تاديوش ليفتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ص65.

يسمى " الصميت " ¹ وقد تمت الاستعانة بالعبيد والخدم في الأعمال الزراعية، فالشيخ يوسف بن زيري ² (ق: 4/10م) الذي كان له خادم رومي يقوم على جناحه ³.

كان العلماء الإباضيون يحثون على زرع النخيل ويوردون المآثر في فضل غرسها وعظيم ثوابه، فقد روى أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر البرقاوي (ق: 5/11م) عن أبي محمد سدرات بن مسعود ⁴ (ق: 5/11م) عن أبي القاسم يونس بن أبي وزجون الوليلي الأريغي (حي قبل: 440/1048م) أنه قال " رأيت في كتاب أن من غرس سبع فسائل نزعها من حله وعرسها في حله حتى أخذن " وقال أيضا " للنار سبعة أبواب تسد كل فسيلة منها باب " ⁵ كما توفر الجبل على كلاً وفير جعل مربّي الأغنام يقصدونه فقد كان رجلاً يدعى " ميروا " يرفع غنماً له وللشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر في أودية أندرار ⁶ حتى أغارت عليهم غارة من بني غمرة ⁷، فنهبوا غنم الراعي، ولحرصه على غنمه وغنم الشيخ لحقهم ليطلب رد الغنم، فلما تبينوا صلاحه وورعه ردوا له ما نهبوا ⁸.

- إقليم الجريد:

يُعد الجريد التونسي من أهم معاقل المذهب الإباضي في المغرب الأدنى، وتمتع إباضية الجريد بحركية واسعة نظراً لموضع تواجدهم القريب من مراكز حضارية هامة في بلاد المغرب، وعن النشاط الزراعي في الجريد، فقد عرف تنوعاً كبيراً وإنتاجاً وفيراً تبعاً لتنوع

¹ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص302.

² هو صنهاجي تولى أمر إفريقية إثر انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر. محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1059.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص410.

⁴ محدث إباضي. معاصر للشيخ أبي القاسم يونس بن وزجون. محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1009.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص415.

⁶ من قرى ورقلة. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص831.

⁷ قبيلة بربرية استوطنت أريغ ولها كدية معروفة بها، امتنوا الإغارة وقطع الطريق. ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص412. وهناك قرية قرب تقرت حالياً تحمل هذا الاسم.

⁸ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص840.

المناخ والتربة التي تميز بها هذا الإقليم من بلاد المغرب، وقد أمدتنا المصادر الجغرافية بمعلومات متفرقة حول الإمكانات الزراعية، وكذا الأنشطة الزراعية الممارسة، فيصف اليعقوبي جزءا كبيرا من مدن الجريد بقوله: "ومن قفصة إلى مدائن قسطيلية وهي أربع مدن في أرض واسعة لها النخل والزيتون، فالمدينة العظمى يقال لها توزر، وبها ينزل العمال، والثانية يقال لها الحامة، والثالثة تقيوس، والرابعة نفطة، وحول هذه المدن أربع سباح، وأهل هذه المدن قوم عجم من الروم القدم، والأفارقة والبربر. ومن مدائن قسطيلية إلى مدائن نفزاوة ثلاث مراحل"¹.

ولتوضيح مميزات الزراعة في هذه المنطقة، نبدأ بإقليم قسطيلية الذي أسهب البكري في التحدث عنه، ويضم إقليم قسطيلية ثلاث مدن هامة هي: توزر، الحامة، ونفطة. أما توزر فكانت أشبه بمركز عمراني تحيط بها قرى عديدة تميزت بكثرة البساتين والثمار، وكانت توزر من أهم بلاد الجريد نخلا وُصف بأنه كان " كالسواد العظيم " وكانت تُمرّ توزر تُصدر إلى نواحي عدة من إفريقية وبلاد المغرب، بمقدار ألف بعير محملة بالتمر في أيام مواسم الإنتاج، ولعل ما يفسر هذا الإنتاج الذي أقل ما يوصف به أنه كان وفيرا؛ هو الشبكة المائية التي حُببت بها هذه المدينة، إذ تسقى مزارعها بمياه ثلاثة أودية تتبع من موضع يدعى "سرش" وأقام الساكنة قصد الاستغلال الأمثل لمياهها جداول وسواقي مبنية بالحجر²، ورغم المعلومات القيمة التي يقدمها لنا البكري إلا أنه بدا ناقما على تصرفات الساكنة، ونعتهم بما لا يمكن أن يُقبل في مجتمع أغلب الروايات تجمع على كونه محافظاً، فقد ذكر أن أهل توزر كانوا يُسمنون الكلاب لأكلها³، وإن كان هذا التصرف قد يبدو منطقيا إن قرن بتصرف شخص أو جماعة إلا أن إطلاقه على العموم في أهل توزر لا يعدّ من الإنصاف.

¹ اليعقوبي، البلدان، ص188-189.

² البكري، المسالك والممالك، ج2، ص225-226. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص155.

³ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص225.

وقد ابتدع سكان توزر نظاما للسقي، فلكل صاحب مزرعة نوبة للسقي، تقسم فيها أدوار استغلال المياه، وذلك من أجل تطبيق مبدأ الانصاف، والعدالة في استغلال هذا المورد من جهة، وأيضا تجنب الخصومات والخلافات التي قد تنجر عن عدم ضبط هذه المسألة من جهة ثانية، ولذلك استحدثوا ما ينوب عن الساعة في معرفة مدة السقي، إذ صنعوا جرارا متقوبة من الأسفل، وتملأ ماءً، فيكون زمن فراغ هذه الجرار من الماء وحدة زمنية، ويأخذ كل مزارع نصيبه عددا من الأقداس أو الوحدات الزمنية، علما أن سقي يوم كامل هو مائة وتسعون قدسا¹، وعرف عنهم استخدامهم للفضلات في تسميد أراضيهم².

وكذلك وافق العمري وصفه لقسطيلية وتوزر ما ذهب إليه البكري من انتشار للنخيل والزيتون بشكل خاص، بالإضافة إلى زروع كانت أقل من حيث الإنتاج كالفاواكه³ وتميزت توزر بزراعة البرتقال الذي كان ذا جودة عالية، وكذلك سائر فواكهها، غير أن هذه المدينة لم تعرف زراعة كثيفة للقمح والشعير، الأمر الذي دفع إلى زيادة سعره كونه كان يستورد من خارجها⁴ وعرفت المدينة زراعة وافرة للبقول⁵.

وتبعد مدينة نفطة عن توزر عشرين ميلا وهي مدينة محاطة بسور وتكثر فيها أشجار النخيل وأيضا الفواكه، وتميزت أرض نفطة بخصوبتها ولها واد يمر بمزارعها، وبالإضافة إلى نفطة، فإن تقيوس عرفت كثافة أشجار النخيل والزيتون، إلا أنها أكثر بلاد إقليم قسطيلية زيتونا، وتوفرت فيها مياه عذبة ومنايع لمياه ساخنة⁶، وتعد الحامة أيضا من

¹ عمر حمو بوعصبانة، تحقيق سير الوسياني، ج1، ص88

² Virginie Prevost (2006)، UNE MINORITÉ RELIGIEUSE VUE PAR LES GÉOGRAPHES ARABES : LES IBĀDITES DU SUD TUNISIEN، Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae، 2006، Vol. 59، No. 2، p194.

³ شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري (ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، (د.ط)، أبو ظبي، 2003، ج4، ص144-145.

⁴ أبي القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص94.

⁵ الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية، تح: هنري بيرييس، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية، (د.ط)، الجزائر، 1957، ص75.

⁶ مجهول، الاستبصار، ص156.

مدن إقليم قسطليلة، وتميزت بمياهها الساخنة، وبوفرة التمر والزيتون والفواكه خاصة العنب الذي كان الساكنة يصنعون منه الشراب الطيب، وانفردت مدينة الحامة بنوع من التمور يدعى " الحُنفس " ذو لون أسود و حجم كبير وحلاوة شديدة¹.

ومن بلاد الجريد أيضا إقليم نفزاوة الذي يضم شأنه شأن قسطليلة مدن وقرى عديدة منها "طرة" التي تعد كسائر بلاد الجريد عامرة بزراعة النخيل والزيتون والفواكه، مدينة "بشرى" التي عرفت بكثافة الزراعة فيها².

وحوت نفزاوة أكبر عين في منطقة الجريد تسمى " تاورغا " ربما تكون قد استعملت في سقاية النخيل الكثير الذي عرفت به هذه المنطقة، ورغم ما عرف عن نفزاوة من خصوبة وتنوع زراعي، إلا أنها عُرِفَت بالسباح الكبيرة التي غطت الطرق، وعطلت من الحركة بينها كونها أهلكت الكثير، حتى صار المرتحلون يحملون معهم العصي يتحسسون بها الطريق ويتأكدون من سلامة مواضع أقدامهم، فبين نفزاوة و قسطليلة سبخة على الطريق، وأيضا في الطريق بين نفطة والحامة موضع يعرف "بسبع سباح" وفي وسط الطريق المار من توزر إلى نفزاوة موضع لمياه عذبة كانت متنفسا هاما للمسافرين³.

وتقع مدينة قفصة شمال الجريد إذ تبعد عن مدينة القيروان أربع مراحل⁴، وكانت قفصة على حد قول اليعقوبي: "مدينة حصينة عليها سور حجارة، وفيها عيون ماء داخل المدينة وهي مفروشة بالبلاط، حولها عمارة كثيرة وثمار موصوفة"⁵ وتميزت كسائر مدن الجريد بالأنهر والعيون، فكان لها منبع مياه عذبة تسقيان زروعها، ومن الزروع في المدينة، الفستق الذي انتشر بها فكانت أكثر البلاد إنتاجا له، وكان يُصدر إلى نواحي متعددة منها

¹ مجهول، الاستبصار، ص157.

² نفسه.

³ نفسه، ص158.

⁴ محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمود محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ج1، ص106.

⁵ اليعقوبي، البلدان، ص188.

مصر وسجل ماسة وتميز تمر قفصة بحجمه الكبير حتى أنه وصف حجمه كببيض الحمام إضافة إلى زراعة الفواكه، ويظهر أن قفصة كانت مدينة مركز أحاطت بها قرى ومدامر عُدَّت بحوالي مئتي قصر كلها آهلة، عرفت باسم قصور قفصة ومن قصورها "مدينة طارق وهي في الطريق إلى القيروان"¹.

ولسكان قفصة نظام سقي يعتمد على الإنشاء حيث تم بناء صهريج ووضع له غرف مبنية بالحجارة، وفيه مجموعة من القباء، فكان هذا البناء هدفه جمع ماء مياه العيون المنتشرة، خاصة تلك التي عند الجامع، فكانت غابات قفصة تسقى من خلال هذه الشبكة التي تعتمد بالأساس على العيون المنتشرة، والتي تم استغلالها أحسن استغلال عبر بناء هذا الصهريج، وبالإضافة إلى غابات قفصة فقد استعملت المياه أيضا في سقاية مختلف الزروع، بالإضافة إلى كون العرب يوردون إبلهم منها، ووصفَ نظام سقي زروع قفصة بالقول: "ولأهل قفصة في سقي جناتهم هندسة عظيمة وبرشام شديد"².

يظهر من خلال ما سبق أن بلاد الجريد على الرغم من اختلاف مدائنها، إلا أنها تميزت بطابع زراعي غلب عليه زراعة النخيل والزيتون كمنتوج رئيس يمكن وصفه بأنه كان تجاريا فيها، فيما حظيت زراعة الفواكه والبقول المختلفة باهتمام أقل، والظاهر أن الغرض كان من أجل المعيشة فقط، وإن كنا رصدنا تصدير بعض المنتوجات الزراعية بعيدا عن التمر والزيتون فإنها تبقى أقل مما تمتع به تمر وزيتون الجريد من زخم.

- جربة:

حظيت جزيرة جربة بمكانة راقية في التاريخ الإباضي، فقد شهدت حركة علمية واجتماعية تركت آثار هامة في التراث الإباضي، غير أن رصد النشاط الزراعي في هذه

¹ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص223-224.

² مجهول، الاستبصار، ص152.

الجزيرة لم يكن كثيفا بالنسبة للكثير من المصادر الجغرافية المتقدمة¹ عكس ما زودتنا بها كتب الرحلات كالتجاني الذي وصف الوضعية الزراعية في جزيرة جربة " هي أرض كريمة المزارع، عذبة الشارع، وأكثر شجرها النخيل والزيتون والعنب والتين وبها أصناف كثيرة من سائر الفواكه"² ويظهر من خلال هذا الوصف ما تمتعت به جزيرة جربة من إمكانيات زراعية انعكس استغلالها على المنتجات التي حظيت بها، وإن كان النخيل والزيتون والأعنا ب هو الطابع العام الذي طبع الزراعة فيها، إلا أن جربة عرفت بجودة الفواكه بصفة خاصة كالنقاح الذي كان الأجود على الإطلاق، كما طُبع النشاط الزراعي على حياة أهلها فكانوا يتخذون بيوتا من جذوع النخيل³ ويضيف لنا الوزان كون تربة جربة ليس خصبة بشكل كبير، إذ يجب خدمتها كي تؤتي أكلها، إضافة إلى أنها عرفت زراعة الشعير ولكن بكميات قليلة وهو ما جعل سعره يرتفع إلى ستة أضعاف سعره في أماكن أخرى⁴.

وانفردت جربة بإنتاج أحسن عنب في المنطقة، إذ يورد الوسياني وصفا لمنطقة الجريد وجربة وما تتميز بها بواديها وحواضرها " بلاد الجريد التمر كله، واللحم مسّه، والخبز كل وأبق، وبلاد البادية اللحم كل، والتمر مسّه، والخبز وسط، والتمرة تقسم، والفل يثنى، والعنب يؤكل بالفم، إلا عنب جربة، فإن الغيرة تكون عليه، وإنّما يتبع الرجل في أكله الخنصر على اليمين"⁵.

¹ يكتفي الإدريسي بذكر أن جزيرة جربة عرفت زراعة النخيل والكروم، الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية، ص 95.

² أبو محمد عبد الله التجاني، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، (د.ط)، تونس، 1981، ص 122.

³ نفسه، ص 122.

⁴ الوزان، وصف إفريقيا، ص 93.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج 2، ص 674.

2- أهم المراكز الفلاحية في المغرب الأوسط

- تيهرت:

خست مدينة تيهرت باهتمام كبير لدى الإباضية في بلاد المغرب، لكونها عاصمة الدولة وشكل بناؤها انطلاقا للمشروع الحضاري الإباضي، وهي مقر الحكم، ففيها يُمارس الأئمة الرستميون سلطاتهم على المناطق التي يتسع نفوذهم فيها، وشرع عبد الرحمن بن رستم في بناء هذه المدينة سنة (156هـ/772م)¹ ثم اتسعت وتطورت لتحظى بأهمية اقتصادية وتجارية كبيرة مستفيدة من الأنهار المحيطة بها في تشجيع الفلاحين على بعث النشاط الزراعي، بل وذهبوا أبعد من ذلك عبر حركة استصلاح الأراضي الزراعية واستغلالها² وعن الأنهار التي تغذي النشاط الزراعي بتيهرت هناك نهر يأتيها من الشرق يدعى " مينة " ونهر آخر ينبع من عيون تسمى " تاتش " ومياهه المستعملة في شرب أهل المدينة وأيضا في سقي البساتين، وتنوعت الثمار المنتجة في تيهرت فيصف البكري ذلك بقوله " وفيها جميع الثمار، سفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما وشما وسفرجلها يسمى الفارس"³ ويبدو أن المنتج الزراعي والحيواني في تيهرت كان كثيرا وأنها تمتعت برخاء ميزها عن حواضر بلاد المغرب، فكانت مكابيلهم وافية خاصة في المنتوجات التي تنتج محليا وليست مستوردة، وهو ما نستشفه من وصف البكري الذي قال: " ومدهم الذي يكتالون به خمسة أقفة ونصف قرطبية، وقنطار الزيت عندهم قنطاران غير ثلث إلا المجلوب من الفلفل وغيره، فإنه قنطار عدل. ورطل اللحم عندهم خمسة أرطال"⁴ ويظهر أيضا أن تيهرت تميزت بإنتاج الزيت الذي يرجح أن يكون زيت زيتون وبكمية معتبرة⁵ ورغم أن ابن الصغير يشير إلى أن تيهرت عرفت زراعة النخيل إلا أنه يرجح أن تكون زراعة

¹ إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 91.

² نفسه، ص 144.

³ البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص 248.

⁴ نفسه، ج 2، ص 250.

⁵ نفسه.

النخيل¹ بها ليست بغرض إنتاج التمر، فالمعروف عن منطقة تيهرت عدم صلاحيتها لإنتاج التمور بجودة كبيرة، إلا أن النخيل يمكن أن يغرس وينمو، وربما قد يغرس بعض الفلاحين النخيل تبركا بهذه الشجرة المباركة التي باركها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وعرفت تيهرت زراعات أخرى مثل القصب والكتان والسّمسم، بالإضافة إلى الحبوب فاستحقت بهذا التنوع الزراعي اسم "عراق المغرب" وتمدنا روايات كتب السير بحجم الإنتاج الزراعي للحبوب الذي كان لشديد الوفرة، بحيث لا يشكل تتبع كل السّنابل أثناء الحصاد أهمية بالنسبة للحصادين²، كما عرفت تيهرت أيضا طحن الحبوب، فلها باب يدعى باب المطاحن³ ويصف ابن حوقل الإنتاج الزراعي في تيهرت " ... ولهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم وأشجار وبساتين، وحمامات وخانات وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم، والبراذين الفراهية، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلال "4 أما الإدريسي فيقدم لنا عرضا قائلا: " ... ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة، وبأرضها مزارع وضياح جمّة وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن، وأما البقر والغنم فكثيرة بها جدا، وكذلك السمن والعسل وسائر غلاتها كثيرة مباركة، وبمدينة تيهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة وبالجملة إنها بقعة حسنة "5.

وخلاصة القول أنّ تيهرت كانت ذات موقع حمل إضافة إلى توفر كل إمكانيات الزراعة من المياه المتدفقة من أنهار ومنايع، محيط اجتماعي أهل ساهم في توفر الإمكانيات البشرية التي استطاعت استغلال الأرض في إنتاج مختلف الأصناف من أشجار وزروع،

¹ ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص51.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص293.

³ إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص145.

⁴ ابن حوقل، صورة الأرض، ص86.

⁵ الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية، ص60.

وعرفت تيهرت استغلال هذا الإنتاج واستخلاص ما يمكن منه من زيوت ودقيق، ما جعل أهلها في رفاه وتبؤأوا بذلك مكانة بين مختلف حواضر بلاد المغرب.

- إقليم الزاب:

الزاب إقليم من أقاليم المغرب الأوسط، غير أن التحديد الجغرافي الدقيق لهذا الإقليم كان محل اختلاف بين الجغرافيين، إذ يعتبر المقدسي أن قاعدة الزاب مدينة طبنة ويحتوي مدن عديدة مثل: تيجس، وميلة، وسطيف، وبلزمة، ونقاوس، ومقرة¹ ويذكر المقدسي مجموعة من المدن التي هي من إقليم الزاب وهي: المسيلة، مقرة، طبنة، بسكرة، باديس، تهودة، طولقة، أذنة، أشير² ويقدم لنا ابن خلدون حصرا جغرافيا للمنطقة بامتدادها من الدوسن غربا إلى مدينة باديس وتنومة شرقا، وعليه فإن الزاب يضم مدن كثيرة مثل: الدوسن، وطولقة، وميلة وبسكرة، وتهودة، وتعد بسكرة أكبر مدينة وأعظمها³ وحصر الوزان بلاد الزاب بامتدادها من تخوم المسيلة غربا، إلى بلاد الجريد شرقا، ومن جبال بجاية شمالا إلى طريق أريغ ووارجلان⁴.

هذا بالنسبة للتحديد الجغرافي، أما من ناحية التوزيع العرقي والمذهبي، فقد انتشرت بالزاب قبائل زناتة البربرية، خاصة بين مسيلة وبسكرة ونقاوس وطبنة وسطيف، فيما سكنت قبيلة أوربة بمنطقة بسكرة، أما قبيلة مغراوة فقد سكنت في مدينة الدوسن، كما سكن الزاب الأفارقة الذين تأثروا بالحضارة الرومانية، وأيضا أقليات عرقية مثل الفرس، فيما كان الانتشار العربي في هذا الإقليم تدريجيا حيث بدأ بالعرب البلديين، والفاحين الذي سكنوا

¹ اليعقوبي، البلدان، ص 85-87

² شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1991، ص 57

³ ابن خلدون، العبر ج6، ص 585.

⁴ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص 141.

تهودة وبنطيسوس، إلا أنه وابتداء من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، ومع الهجرة الهلالية، صار العنصر الهلالي عنصرا رئيسا¹.

كان الزاب معقلا مهما للإباضية في بلاد المغرب، وإن كانت بدايات الانتشار الإباضي في هذا الإقليم يكتنفها الكثير من الغموض، إلا أن الأكيد هو أن الحضور الإباضي كان موجودا زمن الدولة الرستمية، واستمر بعد زوالها، سواء في تجمعات الزاب الحضارية أو الريفية كطبنة أو واحات بسكرة، وعليه فقد كان الحضور الإباضي في الزاب حضورا واضحا من قبل قبائل هواره، وبني زنداج، وبني برزال².

امتاز الزاب بشبكة مائية تتمثل في تنوع الأودية التي تغذي أراضيها، ومن هذه الأودية الوادي الكبير الذي ينبع من الأطلس الكبير على محاذة الزاب، ويصب في البحر المتوسط، وأيضا وادي العرب، ووادي سوف، ووادي يعبد، ووادي القنطرة، ووادي بسكرة، وهي أودية تصب في شط ملغيغ³، وهناك أودية تشق الصحراء مثل وادي ريغ المنحدر من هضبة الصحراء نحو شط ملغيغ، وكان لهذه الأودية أثر بالغ في النشاط الاقتصادي والاجتماعي في المنطقة إذ ساهمت في نشوء عدة واحات عرفت زراعات متعددة⁴.

تميز النشاط الفلاحي في بلاد الزاب بغرس أشجار النخيل، إذ تم جني ثمر ذات جودة مثل الكسبا واللباري⁵ ويصف البكري مدينة بسكرة بأنها مدينة كثيرة النخيل وذات بساتين كبيرة بها غابة كبيرة تنتج أنواع متعددة من التمور، مما أدى إلى تسميتها ببسكرة النخيل⁶.

¹ صلاح الدين هدوش(2015)، المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن5هـ/11م إلى القرن 14م، مجلة علوم الإنسان والمجتمع (العدد 14)، الجزائر، 2015، ص109.

² علاوة عمارة، بين جبل الأوراس والواحات ظهور وانتشار....، ص253-254

³ يقع في جنوب الجزائر بولاية المغير حاليا.

⁴ على الهطاي(2017)، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع، مجلة المواقف، (المجلد12- العدد 01)، جامعة معسكر، ص29.

⁵ مجهول، الاستبصار، ص173.

⁶ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص229-230.

وبالإضافة إلى إنتاج التمور، فقد عرفت بسكرة زراعة الكروم والزيتون والعنب، حيث كانت تنتج أنواع من الفواكه، وعُرفت طولقة بزراعة أنواع من الأشجار المثمرة مثل: الكروم والعنب، ومدينة باديس انتشرت بها زراعة مختلف الفواكه والثمار¹ وكان اللوز والجوز من الأشجار التي عرفت بهم مدينة نقاوس، وقامت بتصديره إلى مناطق أخرى² وكذلك انتشرت زراعة القطن بمدينة طنبنة³ فيما عرفت مدينة المسيلة زراعة السفرجل⁴ كما انتشرت زراعة القمح والشعير بصفة خاصة في بسكرة التي استقادت من مرور واد عليها، وعرفت إنتاج الحنطة مرتين في السنة⁵.

- إقليم أريغ:

يقع إقليم أريغ إلى الغرب من حاضرة أسوف، وأورد ابن عبد الحق شرحا لمعنى أريغ بقوله: " هي كلمة بربرية معناها السبخة؛ فمن يكون منها يقال له ريغى "⁶ وذهب الحموي إلى أن ريغ هي إقليم بالقرب من أشير ويبعد عنها ثمانية فراسخ⁷ ووصف ابن سعيد المغربي أريغ " بلاد ريغ، طولها نحو خمسة أيام، وهي بلاد نخل ومحامضات ومياه تنبع على وجه الأرض، فيصعد الماء كالسهم إلى أمد طويل ويسيح في المزارع، واسم قاعدتها تماريه، وهي من حيث الطول ثلاث وعشرون درجة، وفي شرقيها مدينة بسكرة قاعدة بلاد

¹ صلاح الدين هدوش، المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن 5هـ/11م إلى القرن 8هـ/14م، ص 116.

² الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1 ص 264

³ البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص 228.

⁴ ابن حوقل، صورة الأرض، ج 1، ص 85.

⁵ صلاح الدين هدوش، المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن 5هـ/11م إلى القرن 8هـ/14م، ص 116.

⁶ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ/1338م)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط 1، بيروت، 1992، ج 2، ص 649.

⁷ البغدادى، معجم البلدان، ج 3، ص 113.

الزباب¹ ويظهر لنا من وصف ابن سعيد تركيز النشاط الزراعي لحاضرة أريغ على غرس أشجار النخيل والحمضيات، كما يظهر أن الاعتماد كان على مياه الينابيع التي اشتهرت به منطقة أريغ إلى وقت قريب من الآن، ذلك أن هذه المنطقة تقع في حوض هيدروغرافي معروف بمياه الينابيع الساخنة التي تخرج من الأرض بقوة عجيبة، ويُعرف أن سكان أريغ قد اعتمدوا ومنذ العصور الإسلامية على استغلال هذه المياه في سقي مزرعاتهم.

تم استغلال هذه الشبكة المائية وفق مبدأ الإنصاف وحفظ حقوق الناس وحرمة أملاكهم فقد ذكر أن الشيخ أبا العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي طلب من بني وليل ماء عيونهم أن يجريه إلى آجلو يعني مصلهم (خندق)، فاستجابوا له واشتروا أن يجوز له ذلك أهل تين وال، فأتى أبو العباس في تين مصل فبات فيها، وأرسل إلى أبي محمد عبد الله، وأبي يحيى عبد الملك بن الشيخ ماكسن، وأخبرهما بطلبه فسكت أبو محمد، وتكلم أبو يحيى فقال: إن كنت سليمان بن داود عليهما السلام تجوزه في العواء فافعل، وكان ردهم يظهر كرههم إجراء الماء في أرض الغير دون إذن، أو رفضهم ذلك².

وكانت أريغ أرض استثمار زراعي إذ قصدها الكثير من الإباضية لغرس النخيل بشكل خاص، ما جعل شأن حيازة الأرض³ فيها محل تدارس، فقد ذكر أن المشايخ اجتمعوا فتذاكروا أمر الحيازة، وبناء على بحثهم اتخذوا قولاً واحداً اعتمدوا عليه لما كثر اختلاف العلماء في أمر الحيازة، وذهب بعضهم أن أريغ بلد العافية ولا يوجد فيها غصب ما جعل الناس ينتجعونها من المشرق والمغرب، ثم اتفقوا على رأي واحد جميعاً وهو أن الحيازة ثلاث سنين في أريغ لما وصفت به من العافية والأمن، بعد أن كانت على غير ذلك، وعليه فإن من عُرف في يده شيء من الأرض، وما تبع لها وما سار بعد ذلك من دخلها صار ينفع وينتفع به⁴ وبين هذا أن المشايخ من المغربين كانوا يجتمعون لتوحيد الفتوى خاصة في

¹ أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970، ص127.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص 369-370.

³ يقصد به تملك الأرض التي ليس لها مالك لما جاء عن النبي ﷺ في حديث: " مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَخِي فَهُوَ أَحَقُّ " ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ص562 (2335).

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص 462.

الأمر التي لها علاقة بأرزاق الناس دفعا للشعور بالظلم، ودرءاً للفتن كما أنه يظهر أن هناك من حاز على أراضٍ ذهبت ملكيتها إلى إباضية من المغربين، ومن المشايخ الذين غرسوا نخيلاً وعمرُوا لا نستبعد أن يكونوا حصلوا عليها عن طريق الحيازة في أحيان كثيرة.

حين أراد أبو محمد عبد الله بن محمد بن بكر السكن في أريغ، نصحه أخوه أبو يعقوب يوسف بن أبي عبد الله "إذا كانت في حيازتك نخلة لغيرك قيمتها دينار فبعها بنصف دينار لأمر فيها، وإن كانت لك في جنان غيرك قيمتها دينار فبعها بنصف دينار، والحوض للزرع قدره عرضه كعرض كساء أربعة أذرع، وطوله طول كساء ثمانية أذرع فذلك الحوض قيمته دينار"¹ وكذلك كان الفرستائي سباقاً في زرع النخيل بأريغ إذ زرع له "بنو ورتيزلن خمسمائة فسيلة وحيين كلهن وبلغن العشور"².

كما كانت أريغ مقصداً لإباضية المغرب الأدنى لما يكتنفهم ضيق أو جذب مما اضطرّ سكان إفريقية إلى الانتقال إلى أريغ طلباً للعيش والقوت، فكان ابن أبي ويدران الفطناسي (ق: 5هـ/11م) ينتقل إلى أريغ طلباً للمعروف فيقصد حلقة آجلو التي فيها الشيخ أبو الربيع سليمان الزلفيني الوارجلاني ويكرمونه ويعطونه حاجته³.

والذي يظهر الأهمية القصوى التي حظيت بها زراعة النخيل في أريغ كونها مصدر قوت أساسي القضايا التي تعلقت بما يتصل بالنخيل، من وهب وغرس وغيرهما، إذ كانت هذه المسائل مواضع للفتوى والمناقشة، ما يؤكد أهمية زراعة النخيل وارتباطها بالحياة العامة للمجتمع الإباضي⁴.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص 370-371

² نفسه، ج2، ص595.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص442

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص 369-370.

- وارجلان:

تعرف بورقلة في الوقت الحالي، تقع في الجنوب الشرقي للجزائر، وصفها الحميري بقوله "في طرف الصحراء مما يلي إفريقية، وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض، وهي كثيرة الزرع والضرع والبساتين والمياه"¹ وبذلك تكون وارجلان حسب وصف الحميري إقليما واحيا تنتشر فيه الواحات في مناطق متفرقة يسيطر عليها زراعة النخيل بشكل أساسي²، إلا أن ذلك لا ينفي وجود زراعات أخرى انتشرت في هذه الواحات مثل زراعة الحمضيات³.

رغم التنوع الزراعي في إقليم وارجلان ظلّ التمر غذاءهم الأساسي وبه يُكرم الضيوف فقد قصد مجموعة من مشايخ العزابة وارجلان حاطين الرجال بمنزل الشيخ أبي محمد عبد الله بن يحيى⁴ (ط12: 550-600هـ) الذي خرج إليهم ودعاهم إلى الضيافة، وما إن وصلوا منزله حتى ضيّفهم بتمر معسل ولبن، فأكل المشايخ مما وضع لهم، ثم جعل لهم غذاءهم ثريدا مع زبد⁵، وعندما فر أبو نوح سعيد بن زنگيل إلى وارجلان أكرمه الشيخ أبو صالح جنون بن يمران وقال له من قول شيخ مدين إلى موسى عليه السلام كما جاء في كتاب الله ﴿قَالَ لَا تَخَفْ جَعَلَتْ مِنْكَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾⁶ ثم ملأ بيته إلى السقف تمرا، وصار يرسل له مائدة صباحا وأخرى عشية⁷.

وتبرز مراسلة بين الشيخ أبي صالح جنون بن يمران، وابن عم له المكانة الكبيرة التي حظي بها التمر باعتباره غذاء أساسي في وارجلان، إذ وجه ابن عم أبي صالح رسالة

¹ الحميري، الروض المعطار، ص600.

² نفسه.

³ ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص86.

⁴ من علماء الإباضية، قطن أريغ ووارجلان، عرف عنه كرمه وإهتمامه بضيافة أهل دعوته؟ ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص505.

⁵ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص505.

⁶ القصص: أية 25.

⁷ الوارجلاني، سير الأئمة، ص235.

إليه يقول فيها " يا ابن عمي ايتني، فإنك قمت في أرض الفقر، فإن عندنا أرضا كريمة قدر الكساء يحمل البعير وسقه حبا "¹، فأجابه أبو صالح " يا ابن عمي ايتني، فإن عندنا أرضا قعدة الرجل يحمل البعير وسقه عسلا "² وتعدت قيمة النخيل في وارجلان قيمته المعيشية المتمثلة في التمر، إلى الاستفادة من جذوعه وجريده في مختلف النشاطات، مثل بناء المنازل وتسقيفها³.

وبالإضافة إلى زراعة النخيل فإن وارجلان تميزت بإنتاج الزيتون، واستخلاص زيتته وذلك بكثافة كبيرة على ما يبدو، ونستدل على وجود إنتاج زيت الزيتون في وارجلان بما فعله المحاصرون بجبل كريمة بوارجلان الذين وضعوا زيتا في قصب لإيهام العدو بوجود ماء لديهم⁴ كما أن رجلا في وارجلان طاف السوق باحثا عن أرخص سلعة معروضة فما وجد أرخص من الزيت⁵.

كما عرفت وارجلان زراعات أخرى، وإن كانت بصفة أقل إذ يمكن حصرها في كونها معاشية لم ترتق إلى الإنتاج الكثيف، مثل القمح والشعير، إضافة إلى الحنطة التي كان إنتاجها أكثر من القمح والشعير⁶ وينبغي الإشارة إلى أن القمح لم يكن غذاء رئيسا بالنسبة إلى سكان وارجلان، ولم يكن لا بديلا ولا منافسا للتمر الذي ارتكزت عليه معيشة السكان وحياتهم، فها هو الدرجيني يقارن بين القمح والتمر باعتبارهما غذاءين بقوله: " منابت النخيل أغنى من مزارع القمح "⁷ وهي عبارة تختصر مكانة التمر وزراعة النخيل، كما كان سليمان بن موسى الزلغيني الوارجلاني (ق:5هـ/11م) يمشي مع عبد الرحيم بن عمر النفوسي في

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص343.

² نفسه.

³ عمر بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، ص179.

⁴ نفسه ص180.

⁵ مجهول، المعلقات، ص 82.

⁶ الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية، ص21.

⁷ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص343.

تماواط من قرى وارجلان حتى جاءه رجل واستطعمهما فأخذه الشيخ سليمان بن موسى إلى داره، فأعطاه حملا من التمر والشعير، ما يدل على أن هذين الغدائين كانا يتخذان مؤونة¹.

وأكسب التمر باعتباره الغذاء الأساس أهل وارجلان وقاية من المجاعات التي كثيرا ما كانت تصيب نواحي كثيرة من بلاد المغرب، وذلك لقيمته الغذائية المرتفعة، واستقرار إنتاجه في غالب الأحيان، فليس للأمطار دخلٌ كبير في منبته فيصف ابن خلدون المناطق المعتمدة على التمر كحال وارجلان: " أهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم التمر ... هؤلاء إن أخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ... ولا يكثُر فيهم الهلاك بالجوع "² وعلى هذا الأساس قصد المتضررون من المجاعات وارجلان للنجاة بأنفسهم، وعيالهم وأخذ ما يمكن لاعتماده في إغاثة المناطق المتضررة³.

ويمكن أن نفسر الاستقرار في الإنتاج الزراعي في وارجلان - وإن كان نسبيا - باعتماد الزراعة فيها على الآبار بدل مياه الأودية التي يكتنفها أحيانا تذبذب في جريان المياه، وأخرى جذب وقحط، أو شحّ وفجأة في الأمطار أحيانا أخرى، ورغم كون المياه عميقة في الأرض وتكلفة حفرها عالية تصل إلى مائة دينار، إلا أنَّ الوصول إلى حجر أسفل الأرض يبشر بالوصول إلى مياه كثيرة، فيستبشر صاحب البئر، ويُطعم أصحابه سرورا بالوصول إلى الماء، فيُربط من يُكَلَّفُ بكسر الحجر بحبال، ويقوم بنقر الحجر حتى يثور الماء منه فيُرفع، بسرعة كي لا يغمره، فكانت هذه الآبار الغنية بالماء وسيلة الوارجلانيين في سقي نخيلهم وزروعهم⁴ وقسمت مياه الآبار على ما يظهر إلى نوبات، كما كان الأمر في الجريد، حيث روي أن رجلا استشار أبا يوسف يعقوب بن سهلون الوارجلاني الطرفي (ط9:

¹ مجهول، المعلقات، ص 98-100.

² عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 112.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج 1، ص 431-432.

⁴ الحميري، الروض المعطار، ص 600.

400-450/1009-1058) في سنة مجاعة فأشار إليه أن يبيع أغلى ما يملك، فكان أفضل ما يملكه نوبة ماء باعها بثلاثة مائة دينار¹.

ونُجمل وصف النشاط الزراعي في ورجلان بالقول بسيطرة زراعة النخيل بشكل أساسي، متجاوزا الاعتماد على التمر في الغذاء إلى الاستفادة من جذوع النخيل وجريدها، إذ كانت النخلة مرتكزا أساسيا للحياة الاقتصادية والاجتماعية على حدّ سواء في ورجلان، إضافة إلى غرس النخيل عرفت ورجلان زراعة أنواع أخرى من الزروع إلا أنها لم تكن بديلا عن التمر، ولم تنافس إنتاجه إطلاقا، وظلت المياه السطحية التي تتميز بها ورجلان إلى حد الآن الضامن لمواصلة الأنشطة الزراعية فيها.

ثانيا: في المجال الصناعي

1- الأنشطة الصناعية في الحواضر الإباضية بالمغرب الأوسط

عرفت تيهرت عاصمة الدولة الرستمية ازدهارا صناعيا، حيث شهدت عدة صناعات وذلك لوجود المواد الخام ووفرته، ومن هذه الصناعات صناعة المنسوجات المتنوعة مثل: الصناعات الصوفية، والكتانية والحريية، وذلك لتوفر الصوف جرّاء المراعي الكثيرة² ولعل من بين الصناعات التي عرفت تيهرت هي الصناعات المرتبطة بالزراعة، وذلك لما اشتهرت به هذه المدينة من تنوع وكثافة في المنتجات الزراعية ما يحتم توفر صناعات، مثل صناعة المناجل والمحاريث والفؤوس وغيرها، وأيضا وجود معاصر الزيتون لتوفر هذه المادة في تيهرت³ وكذا مطاحن الحبوب التي استغلّ الرستميون فيها حركة الأنهار التي تشق عاصمتهم لتشغيلها، بالاستفادة من قوة تدفق المياه، كما ازدهرت صناعة الأواني الفخارية والخزف، وهناك من الخزف ما يستعمل أوان لغرس الأزهار والمواقد، عرفت تيهرت هذه

¹ مجهول، المعلقات، ص 81-82.

² محمد عيسى الحري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص 232.

³ إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 164.

الصناعة، وذلك أن بعض الحفريات قد بينت وجود مصانع للأواني الفخارية والخزف، وتم الاعتماد على هذه المصانع في إمداد القصور والمباني الرستمية بما تحتاجه من مواد، بالإضافة إلى أن تيهرت قد استفادت من المناجم التي أمدت الصناعات بالمواد اللازمة لممارسة صناعاتهم مثل معادن الحديد والزنك¹ ويتطلب استغلال هذه المواد الأولية وتشغيل المصانع المختلفة حرفيين وصناع، وعبيدا، وهو ما توفرت عليه تيهرت بأعداد يظهر أنها كبيرة فعوام البلد تمكنوا من ذلك أثناء تعيين الإمام أبو حاتم سنة 281هـ/894م².

وعرفت منطقة الزاب نشاطا صناعيا، إذ عرفت بسكرة وجود الملح والقطن، وقصب السكر. والكتان الجيدة، كما عرفت منطقة الزاب زراعات تستعمل منتوجاتها في الصناعات الغذائية وغيرها كالقصب، ووصفت المنطقة بأن بها الكثير من الصناعات³.

أما عن مدينة وارجلان فلا تمدنا المصادر بإشارات كثيرة عن النشاط الصناعي فيها، عكس التجاري الذي كان مزدهرا ومع ذلك يصف الحسن الوزان مدينة وارجلان قائلا "الصناعات فيها كثيرون، وسكانها أغنياء جدا"⁴. وبطبيعة الحال فإن النشاط الصناعي يتركز على وفرة المواد الأولية المحلية أو المستوردة، وقد ارتبطت وارجلان تجاريا ببلاد إفريقيا جنوب الصحراء التي تتوفر فيها الذهب الخام، والعاج وريش النعام والجلود، وهو ما وفر خامات متعددة تدخل دون شك في النشاط الصناعي، بالإضافة إلى أنها قد شهدت نشاطا زراعيا كثيفا، يستعمل في الصناعات الغذائية كالطحن والاستخلاص، وبالتأكيد فإن الازدهار العمراني للمدينة قد ارتبط بنشاط صناعي، فلا يمكن أن ينفصل التألق العمراني عن الإنتاج

¹ محمد عيسى الحريزي، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص 232-233.

² ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 94.

³ صلاح الدين هدوش، المدينة بالزاب من خلال المصادر العربية، ص 116-117.

⁴ الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، ص 136.

الصناعي الذي يمدّه بالمواد الأولية من جهة، ويساهم في تشييده من جهة ثانية عن طريق الحرف¹.

كما عرفت وارجلان الصناعات المعدنية إذ يمدنا الإدريسي بإشارة إلى كونها شهدت ضرب النقود الذهبية في قوله " وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء، يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة، وبلاد ونقارة، فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسمهم² وأقيمت دور خاصة لضرب السكة باستعمال تبر الذهب المجلوب من بلاد ونقارة التي هي عبارة عن جزيرة في بلاد السودان، ما إن يفيض عليها النهر كل سنة وينحصر حتى يفدها الكثير من أهل السودان باحثين عمّا خلفه النهر من الذهب، فيجمعونه ويبيعونه إلى التجار الوافدين من وارجلان، والمغرب الأقصى، وهم أكثر الوافدين على حد قول الإدريسي " ... واشترى أكثره أهل وارقلان وأهل المغرب الأقصى وأخرجوه إلى دور السكك في بلادهم فيضربونه دنانير ويتصرفون بها في التجارات والبضائع هكذا كل سنة³."

ويظهر أن جلب التبر إلى ورجلان كان موسميا ويحتمل أن رحلة التجار الوارجلانيين لجلب هذه المادة المستعملة في ضرب السكة، كان في موسم معين يترصدونه للسفر إلى بلاد ونقارة، ورغم أن النقود كانت تضرب باسمهم، إلا أننا لا نعرف إن كان المقصود بالأمر ضرب النقود باسم مدينة وارجلان، أم بصنعهم وتحت إشرافهم، فلا تمدنا المعثورات الأثرية في منطقة ورقلة عن سكك باسم المدينة وأغلب ما وجد هو مسكوكات رستمية وموحدية.

وبالإضافة إلى ضرب السكة فإنه من المنطقي أن تتوفر في وارجلان صناعة الأدوات المعدنية التي تستعمل في الزراعة كالفؤوس والمعاول والمناجل، وأدوات حفر الآبار التي اعتمدت بكثرة في سقي المزروعات، ولرملية التربة وعمق المياه، استعملت جذوع النخيل

¹ عمار غرايسة، المدينة الدولة في المغرب الأوسط وارجلان أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، السنة الجامعية 2007-2008، ص144.

² الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية، ص89.

³ نفسه، ص9.

في جوانب الآبار لمنع انهيارها¹؛ هذه الجذوع التي تحتاج إلى أدوات وقواطع للحصول عليها بالشكل المناسب الذي يجعلها تؤدي دورها في تدعيم جوانب البئر.

وتعرف طبقات الأرض في وارجلان صلابة تحتاج إلى أدوات خاصة لاختراقها، إذ أنه عند الوصول إلى الصخر الذي يدل على الوصول إلى الماء، يُربط شخص بحبل وينزل إلى الأسفل فيدق الحجر بأداة إلى أن يكسره فيتدفق الماء، ونظرا لقساوة هذا الحجر وصلابته فإن مهمة كسره لا بد وأن تكون بأداة معدنية صلبة وممتقنة الصنع، ما يجعلنا نفترض أن بوارجلان معامل لصهر الحديد؛ قد تكون أكبر من معامل السكة، وفي كلتا العمليتين يتطلب الأمر خبرة في التعامل مع المعادن وصهرها، ويظهر أن عملية صنع الأدوات، وصهر المعادن عرفت تطورا فـ"أعزام" يذكر أن العامل المكلف بثقب هذا الحجر إنما يصعد إلى الأعلى ويرمي بأداة حديدية تندفع نحو قاع البئر فتؤدي إلى كسر الحجر فيندفع الماء دافقا² ما يحمل كون الأدوات المعدنية المستعملة في حفر الآبار ربما عرفت تطورا وأعمال صهر الحديد وتشكيله تقدمت، وقد احتاجت هذه الآبار إلى التنظيف من الأتربة وكل المواد التي تؤدي إلى تعطيل انسيابية المياه فيه، ما أوجد مهنة تنظيف الآبار أو ما عرف لاحقا "بالغطاسة" وتتم هذه العملية عبر إنزال حبلين أحدهما به قفة والآخر به حجر، وينزل رجل يتولى مهمة جمع الأتربة ووضعها في القفة وهو ممسك بالحجر المربوط بالحبل الذي يستعمله في الصعود مخافة تضييعه خاصة أن البئر مهدد بالانهيار لنوعية التربة الرملية وعمر وصلابة الجذوع التي على حوافه، إلا أن هذه الحرفة وإن كانت صمدت لقرون غير أنها صارت غير محبوبة ويرى العامل فيها أنها تقلل من شأنه مما جعلها تتوجّه نحو الاندثار³.

¹ عمر بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية في وارجلان، ص182.

² إبراهيم بن صالح أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: إبراهيم بحاز، سليمان بومعقل، مطبعة العالمية، ط1، الجزائر (د.ت)، ص199.

³ أعزام، غصن البان، ص202-203.

2- في المجال الصناعي.

عرف إباحية المغرب الأدنى عدة صناعات، ويدل وصف اليعقوبي لمدينة قفصة بأنها " مدينة حصينة عليها سور حجارة، وفيها عيون ماء داخل المدينة، وهي مفروشة بالبلاط، وحولها عمارة كثيرة"¹ على توفر صناعة البلاط التي يحتاج معامل لصقله، أو أفران لإعدادها، كما أن التطور العمراني في هذه المدينة يدل أيضا على أن المدينة ربما تكون قد عرفت أنواع عديدة من الحرف² وهو نفس ما ذهب إليه البكري الذي ذكر بأن المدينة " مبنية كلها على أساطين وطيقان رخام، وقد بني بالصخر الجليل بأحكام عمل"³ ويحمل هذا النص كون مدينة قفصة عرفت شدة إتقان حرفة الرخام، ونستج أن قفصة كانت مشتهرة بالصناعات التي تدخل في مجال البناء وبحرفية جعلت الجغرافيين يشيدون بها كما كان لصناعة النسيج نصيب في الصناعات في قفصة فمدينة طراف عرفت بالكساء الطرافي⁴ وبما أن قفصة عرفت غرس الزيتون بكثافة فإنه من المؤكد وجود معامل لاستخلاص الزيت⁵ ويظهر أن قفصة عرفت استخلاص المواد من النباتات بأنواع أخرى مثل دهن البنفسج وخل العنصل⁶. ضف إلى الصناعات السالفة الذكر صناعة الجلود، فقد نسب إلى قفصة صناعة النعال المتميزة بمرونتها من جلد الأروى⁷.

¹ اليعقوبي، البلدان، ص188.

² نفسه.

³ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص223.

⁴ نفسه.

⁵ البغدادي، معجم البلدان، مج 4، ص382.

⁶ المغربي، كتاب الجغرافيا، ص126.

⁷ أبي العباس أحمد القلقشندي (ت:821هـ)، صبح الأعشى، دار الكتب الحديوية، (د.ط) القاهرة، 1915، ج5، ص106.

وعرفت قسطنطينية في بلاد الجريد كثافة في صناعة النسيج جعلها تتمكن من تصديره إلى مختلف الأمصار، إذ يصف ابن حوقل انتاجه بها " جهاز الصوف في جميع جهاته من الشقة والكسي والحنبل إلى سائر ما يعمل منه يحمل منها إلى جميع الأقطار "1.

وكان للنشاط الزراعي الذي تميزت به توزر تأثير على النشاط الصناعي بها، فقد بُنيت قنوات من الحجر تسقي الزراع سعة كل قناة شبرين في الارتفاع²، ما يشير إلا أن هناك صناعات متخصصة بالأنشطة الزراعية، كالسواقي، أو ربما المطامير، أو أدوات الحرث والزرع.

أما منطقة جبل نفوسة فقد شهدت غزل النسيج وكان من مهام النسوة، إلا أن اليهود اشتهروا بالعمل عليه أيضا، ربما في مرحلة من مراحل إنتاجه³ وذلك لما توفر عليه الجبل من ثروة حيوانية هامة أمدت الصُناع بالصوف اللازم، لصناعة أصناف عديدة من الملابس، وقد اشتهرت الجواري في القيام بهذا العمل في أحيان كثيرة⁴، وكانت هذه الأصواف تصبغ بأصباغ كثيرة ومتنوعة، ووصف ابن حوقل تنوع ألوانه بقوله: "وطبقات الأكسية الفاخرة الزرق، والكحل النفوسية، والسود والبيض الثمينة"⁵.

ارتبطت الكثير من الصناعات بالزراعة مثل استخلاص الزيت ومعالجته لاستعماله في أغراض أخرى كوقود للمصابيح، فعن أحد مشايخ نفوسة أنه وُلِدَ له صبي، فأرسلت له زوجته تطلب منه معالجة زيت لاستعماله في المصباح قصد الاستضاءة، فسمع بذلك أحد المشايخ، وأرسل كمية من زيت المصباح⁶ وعرف الجبل صناعة الأواني الفخارية ذات

¹ ابن حوقل، وصف الأرض، ج1، ص69.

² البكري، المسالك والممالك، ج2، ص225-226.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص303.

⁴ مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص206.

⁵ ابن حوقل، صورة الأرض، 71-72.

⁶ مقرين البغطوري، سير مشايخ نفوسة، تحقيق توفيق عياد الشقروني، تاوليت، 2006 (د.ط.)، (د.ب.)، ص 76

الأغراض المتعددة مثل القلل والخابي، والخابي أوانٍ تستعمل في حفظ الزيت¹ وعرفت منطقة طرابلس وفرة المعادن مثل الفضة والحديد² ما يحمل دلالة على أن الجبل ربما يكون قد عرف صناعات معدنية تدخل في مجالات الحياة اليومية، أما عن صناعة الجلود فاقتصت بها غدامس وحمل الجلد اسمها، وتميّز بتفوق دباغته وشدة نعومته ولمعانه، ما جعل الطلب عليه يكثر³.

¹ صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، ص 47.

² مسعود مزهودي، جبل نفوسة، ص 206.

³ جاك نيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، تج: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية، ط1، ليبيا، 2001، ص 438.

المبحث الثالث: التبادل والتفاعل الاقتصادي

ارتبطت المجتمعات الإباضية في المغربين الأوسط والأدنى بعلاقات تجارية مهمة، تعددت وجوهها، من حركة تصدير واستيراد، إلى تعاون ومساهمة، وشراكة، وكان منشأ هذه العلاقات في عهد الدولة الرستمية، ومن أمثلة ذلك أن تيهرت كانت تَرد إليها الحجارة المستعملة في بناء الطواحين من مجانية بإفريقية¹ ضف إلى أن التجارة نشطت بين جبل نفوسة وتيهرت، وكان على التجار النفوسيين قطع تسع مراحل إلى القيروان، ومنها إلى تيهرت في مسيرة شهر على الإبل، والراجح أن هذا النشاط راجع إلى العلاقة السياسية بين تيهرت وجبل نفوسة².

وعرفت تيهرت حركة القبائل البربرية التي تترك مواقعها في فصل الربيع وتنتجع إليها وهذه القبائل هي من بدو مزاتة وسدراتة وزناتة ولواتة وهوارة وغيرها³ وساهم هذا في تفعيل الحركة التجارية، حيث أن هذه القبائل بكل تأكيد تساهم في تنشيط أسواق المدينة، وتفعيل حركة المبادلات التجارية من خلال تفعيل سيرورة البيع باعتبار أن أفرادها يحتاجون بطبيعة الحال إلى الاستهلاك، وبإمكانهم المساهمة في إمداد الأسواق بالمواد التي عرف البدو بإنتاجها.

كما كانت منطقة بسكرة التي تميزت بإنتاج كبير للتمر الطيب، تصدر هذا التمر إلى تونس⁴ وكذلك منطقة نقاوس التي توفرت فيها أشجار اللوز، والجوز، وصدرتها إلى مناطق واسعة في بلاد المغرب⁵.

¹ عيسى الحيري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص232.

² إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص177.

³ نفسه.

⁴ القلقشندي، الصبح الأعشى، ج5، ص107.

⁵ الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية، ص66.

ولم يكن النشاط الاقتصادي لوارجلان بمعزل عن التجاذبات القبلية والمذهبية، وما اتصل بذلك من توازنات فرضت محددات الحاكمة فيه، فليس من المستبعد أن وارجلان كانت بحاجة إلى المنتجات البربرية التي تودع في محلاتها، ومخازنها في وارجلان وتكون موجهة إلى الاستهلاك المحلي، وأغلب هذه المنتجات تجلب من المناطق ذات الارتباط الجغرافي أو المذهبي بحكم الحاجة المتبادلة، ومن أمثلة ذلك الشب الذي كان موجودا بين غدامس ووارجلان، والذي وصل تصديره إلى قلعة بني حماد التي كان بها موضع معروف لبيع هذه المادة لدى أهل وارجلان¹ وهو ما يجعلنا نفترض بأن هذه المادة ربما تكون قد وصلت وارجلان من غدامس، ثم تولى أهل وارجلان تسويقها في قلعة بين حماد، وهذا الافتراض يؤسسه بكون وارجلان نقطة تبادل للمنتجات². كذلك الأمر بالنسبة إلى شب كوار من منطقة طرابلس الذي يعد من أهم ثروات تلك الناحية، وعرف تصديره نحو سائر بلاد المغرب عن طريق وارجلان وخلف عائدات كبيرة لملاكه³ وبالحديث عن شروس من جبل نفوسة التي عرفت نشاطا زراعيا كبيرا خلال النصف الثاني من القرن (6هـ/12م) تمثل في زراعة الشعير والتين والأعناب، فقد كانت لها علاقات تجارية مع وارجلان⁴.

وشكلت التجارة الإباضية إلى بلاد السودان، مظهرا من مظاهر العلاقات التجارية بين الإباضية، إذ أن العلاقات التجارية بين المناطق الإباضية من تيهرت إلى فزان كانت أقوى من العلاقات التجارية التي امتدت من سلجاسة إلى بلاد السودان، كما أن هذه العلاقات استفادت من حركة الدعاة الإباضيين، فمدينة كوكو امتلكت ناحية أطلق عليها سكانها اسما

¹ عمار غرايسة، المدينة الدولة في المغرب الأوسط وارجلان أنموذجا، 488-489.

² الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص136.

³ جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ص403.

⁴ نفسه، ص411.

بالفارسية هو "زركانيين" تعني "تجار عظماء" أو "تاجر عظيم" وهو ما يؤكد قوة الاتصال بين الإمامة الرستمية، وسائر المناطق الإباضية مع منطقة منعطف نهر النيجر¹.

كما كانت الطريق التي تؤدي إلى بلاد السودان مربوطة بمناطق تواجد الإباضية، إذ لجبل نفوسة طريق يصله بطرابلس، وموصل كذلك بتوزر وقفصة عبر القيروان، وتيهرت إلى تادمكت عبر وارجلان². تفاصيل هذه العلاقة التي فعّلها هذا الطريق الذي ينطلق من نواحي إقليم الزاب إلى أريغ، ومنه إلى وارجلان التي شكلت منطلقا هاما للتجار الإباضيين نحو بلاد غانة وونقارة³ منذ بدايات العهد الرستمي، حيث كان التجار الإباضيون الوهبيون ينقلون الذهب التبر من تلك النواحي لضربه نقودا باسم الدولة، بالإضافة إلى كون أريغ ملتقى مهما للتجار الإباضيين المتوجهين إلى السودان الغربي من الزاب والجريد، فإن وارجلان كانت محطة هامة لإباضيي الجريد بفعل الطريق الذي يربط مدينة توزر بمدينة سجلماسة، هذا الطريق الذي كانت مدينة وارجلان محطة مهمة فيه، نذكر هنا أن عبيد الله المهدي سلك هذا الطريق في طريقه إلى سجلماسة، كما شكلت مدينة تادمكت مركزا تجاريا ومجالا مهما للعلاقات الاقتصادية إذ قصدوا الإباضيون، فقد كان والد أبي يزيد مخلد بن كيداد تاجرا من تقيوس ويقصد بلاد السودان، وتبعاً لتلك العلاقة أقام أبو يزيد اتصالات مع مدينة كوكو القريبة من تادمكت، وقد ساعدت هذه الاتصالات في ربط بلاد الجريد مع تادمكت وقاو عبر وارجلان⁴.

¹ جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ص 541-542.

² نفسه، ص 433

³ تبعد عن بلاد غانة ثمانية أيام، وهي بلاد يكثر فيها التبر وهي هي بلاد طولها ثلاث مائة ميل، وعرضها مائة وخمسون ويحيط بها نهر من كل جهة. ينظر، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 1، ص 24.

⁴ تاديوش ليفتسكي، دولة تاهرت بشمال إفريقيا وعلاقاتها مع السودان الغربي في نهاية القرن الثامن والتاسع الميلادي، تر، عبد القادر مباركية، مجلة عصور الجديدة، (العدد 19-20)، الجزائر: جامعة وهران، ص 148-150.

شكلت أسواق السودان الغربي مجالا خصبا للعلاقات الاقتصادية بين الإباضية، فمدينة أودغشت¹ تتوفر على أسواق كبيرة قصدها الإباضية من نواحي متعددة، خاصة من قبائل نفوسة ولواتة ونفزاوة، وقد عرف سوق مدينة أودغشت بكثافة عمله فقد كان أهلا بالباعة والمتسوقين في كل وقت، ومما يكون قد شجع الإباضية على قصد هذا السوق بهذه الكثافة، أن حاكم المدينة كان مسلما من قبيلة صنهاجة يدعى "تين ياروتان" والذي حكم خلال الفترة من (349-359 هـ / 961-971م)².

وبالعودة إلى كتب السير الإباضية نجد الكثير من مظاهر هذه العلاقات التجارية، فقد ذكر الدرجيني أن رجلا من أريغ اشترى كساء طاقيا من نفزاوة ليحمله من تقيوس إلى تادماكت³ وذكر أن أبا محمد عبد الله بن محمد السدراتي الوارجلاني سافر إلى القبلة (باتجاه الشرق) فجعل تجارته صامتا⁴، واشترى أيضا جملا من أجل ركوبه، وكان معه رجل من الحضر واستتصحه أن يدلّه على سلعة يشتريها، فيتاجر بها، غير أن أبا محمد لم يملك ما ينصحه به فاعتذر، ما جعل الرجل الحضري يجعل تجارته رقيقا⁵ وعند توجههم إلى ديارهم كان أبو محمد مرتاحا ليس هناك ما يتعبه، وكلما استعدت القافلة للمسير يركب جملة ويتحرك، وإذا أرادوا ضرب خيامهم يقيم خيمته ويرتاح بسهولة، أما الرجل الحضري فكان دائم التعب يتفقد الخدم والرقيق، ويقوم على شؤون صحتهم ومرضهم، ويحرسهم من الهرب، فكان هذا بلاء عليه إذ أرهق إرهاقا كبيرا، وكان ينظر إلى أبي محمد وهو جالس في الظل لا تعب عليه ولا نصب، وشكر الشيخ الله بأن أراحه من أتعاب الحضري⁶.

¹ مدينة صغيرة في الصحراء تبعد عن بلاد غانة في جنوب موريتانيا اثنتا عشرة مرحلة، وإلى وارجلان إحدى وثلاثون مرحلة. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص108.

² تاديوش ليفتسكي، دولة تاهرت بشمال إفريقيا وعلاقتها مع السودان الغربي في نهاية القرن الثامن والتاسع الميلادي، ص147.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص380-381.

⁴ هو الذهب والفضة ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، ج2، ص55.

⁵ أي عبيد.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص446-447.

وجلب أبو صالح الياجراني (ق:5هـ/11م) جملاً من أدرج في ناحية جبل نفوسة ليبيها في ورجلان، فاشترى منه رجل جملاً وأخبره أن ثمن جملة في تادماكت، فعزم على السفر إليها وجهاز جملاً له، فاستوقفه رجل آخر، وأراد إرسال حمولة من الثياب معه إلى تادماكت، فوافق الشيخ أبو صالح على حمل تجارته، وسأله عن السعر الذي يريد أن يبيع به سلعته فأخبره بالسعر، ولما وصل الشيخ إلى تادماكت عرض حمولته وسام عليها المتسوقين فلم تصل إلى السعر الذي حدده صاحبها، فلم يبع وعاد بها إلى ورجلان وأضاف الوسياني متعجباً " وما سمعنا بحمل رجع من تادماكت قط إلى ورجلان غيره " ¹ ما يدل على أن تادماكت شكلت سوقاً خصبة تصلها سلع ورجلان ونفوسة وغيرهما فتباع دون أن يصيبها كساد.

وخرج الشيخ أبو يحيى بن زكرياء اليراسني الوارجلاني (ط:12: 550-600هـ/1155-1203م) من سجلماسة باتجاه ورجلان، ثم خرج مع أصحابه باتجاه جربة ومعهم حوالي مئتين وخمسين ألف مثقال من التبر، فلما اقتربوا من ناحية نفزاوة صعدوا إلى منطقة مرتفعة فرأوا مراعي وأحياء سكانية، فخافوا على أنفسهم وما يملكون من الإغارة، وتسلل اليأس في أنفسهم من الهلاك، ثم تشاوروا بينهم فيما قد ينجيهم وما يملكون من السلب، واختلفت آراءهم بين من رأى أنه عليهم الرجوع إلى ورجلان، وبين من رأى أنه يجب عليهم مفاوضة الناس ومهادنتهم، ثم تقدموا إلى أبي يحيى الذي أبدى رأيه بأن حالهم ميؤوس منه، وما عليهم إلا المغامرة والتوجه إلى أقرب قطيع من الأغنام والاحتفاء بصاحبه، ففعلوا، وقصدوا صاحب غنم، وما إن وصلوا إليه حتى جاءتهم الخيل قصد الإغارة والنهب، فأبلغوا الغزاة أنهم ضيوف صاحب هذا القطيع، وعزز صاحبها قولهم، فكان هذا سبب نجاتهم، فوصلوا مقصدهم بأمان، تامّ ولم يصب ما جلب من ذهب أي نهب ².

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص803-804.

² الشماخي، كتاب السير، ج2، ص649.

وكان الوضع الاقتصادي في وارجلان مشجعا على الانتقال من المغرب الأدنى فرارا من المجاعة، واستثمرا للأموال نظرا لقلّة أسعار بعض السلع مثل الجمال، فكان يقصدها التجار، والمتضررون من المجاعات والضائقات، فيشترون ويستثمرون، وتصلح أحوالهم، ولم يتوان الإباضية في بلاد المغرب في نصحهم وتوجيههم إلى أحسن الطرق التي تحفظ أموالهم ورزقهم، حيث يروى أن رجلا قدم من بني دمر إلى أبي يوسف يعقوب الطرقي الوارجلاني في عام مجاعة واستنصحه بأن يدلّه على سبيل للخلاص، فنصحه الشيخ بالاستثمار، وأمره بأن ينظر ما رخص في السوق، فكان أرخص ما فيه الجمال، وكانت عند أبي يوسف وديعة وهي أربعة وعشرون دينارا فاشترى له منها ثلاثة جمال بأربعة وعشرين دينارا، ودعمه من عنده بدينارين اشترى بهما قطرانا وعولته، ثم طلب منه أن يتوجه إلى موضع يقال له "الركبة الضالة" أو "افود انصطون" بين وارجلان وأندرار، وأن يرعى فيها هذه الجمال وذكره بأن يخبره بأحوالها ففعل الرجل ما رآه أبو يوسف، وصلح حال جماله وسمنت، ثم جاء بها وباع جملا واحدا منها بأربعة وعشرين دينارا، وواصل الشيخ أبو يوسف دعمه ونصحه بأن قال له بع الجمل الآخر واشتر بثمنه ما تحتاجه من مؤونة، واحملها على الجمل الثالث وأسرع إلى أهلك لإنقاذهم مما هم فيه¹.

وشهد مجال المغربين حركة في الأموال سواء إقراضا أو تمويلا، ونذكر هنا الشيخ أبو عبيدة الأعرج (ق:3هـ/9م) الذي كان عالما باللغة والفقه والنحو والوثائق، وتمتع بخلق وأدب كبيرين، ما جعل سائر الإباضية في بلاد المغرب متعلقون به، فكانوا يرسلون له زكاة أموالهم، فيصرفها في أماكن متعددة من بلاد المغرب² وكانت الكثير من الإعانات المالية توجه إلى أهل الدعوة في مختلف الأمصار، فقد أوصى أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي بخمسمائة دينار وقال لابنه يوسف " يا يوسف هذه وصيتي ولم أجعلك في حل أن تعطي لرجل أكثر من أربعة دراهم، وإنما عنيت بها حوطة أهل الدعوة، ولم أطعمكم

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص.332 الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص431-432.

² الشماخي، كتاب السير، ج2، ص363.

منها غداء ولا عشاء، ولعلمهم أرادوا بها وجها فجعلته أنا في غيره¹ وعليه فإن الإباضية تعاملوا مع العطايا والمنح بمنطق أهل الدعوة، لا أهل مدينة محددة، أو ناحية محددة، فلا يوجد تفضيل لصرف أموال الزكاة أو التبرعات في مكان تحصيلها، وإنما تراعى حاجة الإباضية لها في مختلف المناطق، أما الشيخ أبو عبد الكافي الوارجلاني (ق6هـ/12م) فقد انتقل إلى تونس للدراسة والتفقه في علوم اللغة العربية، فكانت تأتية من أهل وارجلان ألف دينار كل سنة يستعين بنصفها على الدراسة وشراء الكتب، ويدفع النصف الآخر إلى شيخه².

وشكل الإقراض مظهرا من مظاهر حركة الأموال، ومن ذلك أن الشيخ محمد بن بكار الزواغي³ (ق: 5هـ/11م) أقرض دنانير إلى الشيخ أبي محمد ماكسن بن الخير القيرواني في قسطنطينية على أن يأخذها منه في أريغ، إلا أن هذه الدنانير لم تكن مقبولة في التعامل النقدي في أريغ، فطلب الشيخ أبو عبد الله نقوده، لكن الشيخ ماكسن أراد إرجاع ما استلفه من الرجل بعمولة قسطنطينية، غير أن أخاه نهره وطلب منه أن يعطي للرجل دنانيره بالعمولة المستعملة في أريغ وقال له "الحر كاللبن لا يحتمل المزاج" ففعل الشيخ ماكسن ما طلب منه وأعطاه دنانيره⁴ وذكر أن أبا محمد عبد الله بن داود الأريغي (ق: 6هـ/12م) دخل جربة زائرا فجلس عنده أهل جربة يوما فكان يسدي إليهم النصائح، مع تخصيص نصائح بعينها لكل شخص، حتى وصل إلى الشيخ أبا مسعود بن أبي زكرياء، فخاطبه متعجبا عما سمع عنه أنه يداين الضعفاء من أهل جربة، ثم يأتهم وهم في حاجة، فيطلب دينه منهم، وأن الخوف

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص362-363. الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص392.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص486.

³ شيخ إباضي من زواغة، عرف عنه تواضع حاله المادي، لكنه كان أميناً حريصاً على أموال الناس. ينظر: الشماخي: كتاب السير، ج2، ص708.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص726-727.

صار يتسلل إلى قلوب أطفالهم ونسائهم ما إن يروك قادما، ثم عاتبه بقوله " أترضى لنفسك ومنزلتك وأبويك ومنصبك أن تكون هذه منزلتك؟"¹ فتأبى الشيخ ووعد بعدم العودة إلى فعله².

ويظهر أن الإباضية قد تنقلوا بين المغربيين لغرض العمل في مواسم معينة، فقد ذكر أن الشيخ يونس بن أبي الحسن (من آجلو)³ كتب إلى فتیان مزاتة الذين كانوا في العمل بقسطيلية قائلا: " اجعلوا حوائجكم كلها بكريات إن وجدتم ما ترعوه رعي الثني من الغنم ولا تمجوه مج الريان للماء"⁴ كما كانت الظروف تضطر سكان إفريقية إلى الانتقال إلى أريغ طلبا للعيش والقوت، ومن ذلك أن ولد أبي ويدران الفطناسي كان ينتقل إلى أريغ طلبا للمعروف، فيذهب إلى حلقة آجلو حيث الشيخ أبو الربيع سليمان الزلغيني الوارجلاني (ق:5هـ/11م)، فيكرمه المحلقون ويعطونه ما جاد الله لهم به من حوائج⁵.

واحتفظ الإباضية بحقوقهم المالية كالإرث، وطالبوا بما لهم من حق دون أي اعتراض أو إحجاف، فالشيخ يخلف بن يخلف التميمي النفوسي (ق:6هـ/12م) كان له عم مهاجر بوارجلان ومقيم بها فتوفي، ولم يكن له وارث غيره فقرّر السفر إلى وارجلان ليطالب بماله وأقام الشيخ يخلف في وارجلان أياما إلى أن تمكن من الحصول على جميع ما له من حق، ثم شد الرحال قاصدا قسطيلية حيث يقيم، وكان في رفقة قافلة بها أموال كثيرة، وفي طريقهم مروا بأريغ، إلا أنهم وقعوا في غارة لقطاع الطرق، غير أن الله أنجاهم منها حيث سلم هو وماله بعد أن خبا ماله ودفنه⁶.

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص506.

² نفسه.

³ كان إماما بآجلو. ينظر: الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص499.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص499.

⁵ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص442.

⁶ نفسه، ج2، ص461-462.

وكان لعزون مصرط¹ (ق:4هـ، 10م) ابن فأرسله إلى العمل في تجديت، فوافاه الأجل بها، وكان جملة ما ترك ثلاثة أرباع قيراط، وكان المشايخ بتجديت من شدة تورعهم وخوفهم على حقوق غيرهم، أن خافوا إن علم عزون بزهادة المبلغ، أن لا يقصدهم فيقعوا في إشكال التصرف في هذا المبلغ، فجدوا قيمة التركة وكتبوا إليه بأن ابنك توفي وخلف مالا وتركته ودعوه إلى المجيء لتحصيل حقه منه، ولما وصلهم الشيخ دفعوا له ثلاثة أرباع القيراط، فتعجب لدعوتهم إياه من أجل هذا المبلغ الزهيد، فتحججوا برغبتهم في إنفاذ الحق لأهله وإن كان زهيدا².

وتفاعل الإباضية مع كل الأحداث التي تجري في الأمصار فكانت الأرزاق التي تدخل الأسواق والتي تحوم حولها شبهة الغصب والسرقة من أهل الدعوة في مختلف المناطق محل مقاطعة من سائر الإباضية، فهي سلع حرام لا يجوز شراءها ولا مقايضتها ولا بيعها، ومن ذلك أن قطيع أغنام عرض للبيع بأجلو فاشترى ابن أم خليفة³ شاة فلما علمت أمه بذلك بكّت وأمرت ولدها بأن يخرج الشاة من المنزل لأنها مال حرام، فقصد البائع وأراد ردها فسأله البائع عن السبب فأخبره أن أم خليفة أمرته بذلك وقالت بأنها حرام، واتفق الحاضرون على أن المرأة عهد عليها الصدق في تنبؤاتها، وأصروا أن يعرفوا منه مصدر هذه الشاة فعلموا أنها حقًا مال حرام⁴ وورد عن أبي محمد عبد الله بن محمد اللواتي أنه قال لابنه: " إن غنما لبني ينجاسن دخلت السوق ولا بأس بالإمساك عن الشراء ثلاثة أيام"⁵.

¹ معاصر لأبي محمد جمال المدوني، ومस्कوداسن، وحج معهما. ينظر الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص415.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص323-324.

³ أم خليفة مانوجية من نفاوة وكانت كانت على غير مذهب الإباضية ورجعت إلى مذهبهم. ينظر: الشماخي: كتاب السير، ج2، ص679.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص575.

⁵ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص471.

وذكر أبو الربيع أنه سأل أبا محمد عن مال المنصور بن محمد بن أيوب¹ إن كان المشايخ يكرهون من المواضع التي هم فيها موضعاً؛ فأجابه أبو محمد عبد الله بأنهم أدركوا من المشايخ ليس لهم من المواضع ما يكرهونه في هذا الوادي إلا موضعين، وهما جنان أولاد أبي نور وهو مكان يقع قرب مسجد تاماست قرب وارجلان، والموضع الثاني هو قصر الأحمد المنسوب إلى أولاد توزن وهم قوم موالين لبني ورزمار وهم قوم قاتلهم الشيخ محمد بن بكر الفرستائي بسبب قطعهم الطريق².

¹ لم نتمكن من التعريف به انطلاقاً من المصادر التي بين أيدينا.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص441.

المبحث الرابع: مُعيقَات التواصل الاقتصادي بين الحواضر الإباضية في المغربين.

أولاً: الحراة وقطع الطرق.

رغم أن العلاقات الاقتصادية بين الإباضية في المغربين تميزت بالحركة خلال فترة طويلة، إلا أنه اكتنفها من الاضطراب والصعوبات ما أعاق سيرورتها الحسنة وتطورها خاصة في ظل التطورات التاريخية التي عرفت المنطقة بدءاً من سقوط الدولة الرستمية والسيطرة الفاطمية الاسماعيلية على مقاليد الحكم في بلاد المغرب، إلى الوصاية الزيرية الحمادية، وانتهاءً بالهجرة الهلالية التي حملت معها تحولات اجتماعية واقتصادية ألفت بظلالها على تاريخ بلاد المغرب، ورغم أن ظاهرة الحراة وقطع الطريق رُبِطَت بالهلالية، إلا أن الأكيد أنها كانت سابقة لهجراتهم، كما أن أقواماً من غير الهلالية اشتهر عليهم ممارسة هذه الأفعال حسب العديد من الروايات الإباضية وغيرها، ويظل الأمن وتأمين الطريق خلال كل العصور حافزاً مهماً لممارسة النشاطات الاقتصادية المختلفة من رعي وزراعة وتجارة، ومن المؤكد أن غياب هذا العامل سيؤثر على السير الحسن لها، وسنحاول هنا إلقاء الضوء على الحراة وقطع الطريق، كمعيق من معيقَات التواصل الاقتصادي بين المجالات الإباضية.

وَقَعَ الصنهاجيون في أزمة كبيرة بعد الغزو الهلالي، إذ لم يقدروا على مواجهة زحفهم، وصارت الطرق التجارية بالغة الخطورة والصعوبة، بدءاً من برقة ومرورا بطرابلس وسرت إلى إفريقية، وصار المسافرون يفضلون الطرق الساحلية للوصول إلى المغرب الأوسط. ذلك أنها كانت بعيدة عن سيطرة الأعراب وغاراتهم¹.

وقد وصف النويري الهجرة الهلالية وما ألحقت بإفريقية بقوله " شنوا الغارات على البلاد، وقطعوا على الرفاق، وأفسدوا الزرع، وقطعوا الأشجار، وحاصروا المدن. فضاقت

¹ صالح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، (د.ب)، 1978. ص225.

الناس وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم. وحل بإفريقية من البلاء ما لم ينزل بها مثله قط¹ ويظهر هذا الوصف ما ألحقته الهجرة الهلالية بالنشاط الزراعي من تخريب للزروع وإنضاب للمياه، وأيضاً تأثيرها على الحركة التجارية والتواصل بقوله: "وانقطعت أسفارهم" ورغم محاولات البربر رد التوسع الهلالي، إلا أن العرب الهلالية تمكنوا من هزيمتهم في عدة مواقع، وكانت قبيلة زناتة عاجزة عن حماية مواقعها من عدوان الأعراب وغاراتهم².

وبذلك ساءت مع الهجرات الهلالية أحوال الطرق البرية بسبب ضعف الأمن فصار المسافرون لا يجرؤون على السفر خوفاً على أنفسهم مما قد يحدث لهم في الطريق، مما فتح نقاشاً حاداً بين الفقهاء وأبرز مسائل الخلاف على شاكلة الإجهاز على الجريح إذا ظفر بهؤلاء العرب، أو أخذ أموالهم³، وبذلك كانت الأعراب الهلالية محل نبذ عام في بلاد المغرب من مختلف المذاهب، لما بدر منهم من أعمال، كما مارس هؤلاء الأعراب أسلوباً آخر غير الحراية وهو الحصار، ومن ذلك أنهم استولوا على حصن بادس في شمال الأوراس ومنعوا أهله من الخروج إلا بمعية رجل منهم⁴.

وتعرض الإباضيون كغيرهم إلى غارات متعددة من الأعراب وغيرهم ممن يمتنون شن الغارات والسلب، وكان التنقل بين الحواضر الإباضية لممارسة مختلف النشاطات محفوفاً بالمخاطر، ولعل حركة الرعي وتنقل الماشية بحثاً عن الكأ والماء كانت أشد عرضة لهذه الهجمات، ولم يسلم منها مشايخ الإباضية أنفسهم، فقد كان رجل من قبيلة لمطة يقال

¹ النويري، نهاية الأرب، ج24، ص119-120.

² نفسه.

³ كمال خلفات (2020)، أثر هجرة العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 01 (العدد 01)، الجزائر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ص135-136.

⁴ الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية، ص66.

له "ميروا" في غنم له وللشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر في أودية أندرار، حتى أغارت عليه غارة لبني غمرة فساقوا الأغنام كلها، غير أنه تمكن من ردها بعد أن لحق بهم¹.

وكانت غابات النخيل بوارجلان وما حوته من خيرات وثروات متنوعة والتي بني عليها اقتصاد وارجلان مستهدفة من قبل الغارات التي يشنها قطاع الطرق، واللصوص الذين لم يكن دائما هدفهم السرقة وغصب الأملاك، وإنما في أحيان كان الدافع إليها تدمير اقتصادها، وهو ما يبرر قيام المغيرين بقطع النخيل وتدمير الآبار التي تركوها خاوية من الماء² ولم تتج الإماء من الإغارة والسبي، فقد هجمت غارة للعرب على وارجلان فساقوا عددا من الإماء فلحقهم الشيخ ماكسن وتمكن من ردهم³.

وبالنسبة لأريغ فقد تعرضت لغارات بني تجين على رأس وادي أريغ وساقوا غنمهم، إلا أن الشيوخ ماكسن بن الخير القيرواني (ت: 491هـ/1097م)، وأبا العبّاس الويليلي الأريغي، وعيسى بن يزكشن الأريغي، وعبد الله الدُمري، تمكنوا من رد الأغنام⁴ كما كانت عرضة لغارات بني ورماز زمن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، حيث قطعوا الطرق ومارسوا أنواع عدة من أذية الناس، ولعل أسوء ما كان يقوم به بنو ورماز هو التأثير على حركية الوافدين على أريغ القاصدين أبا عبد الله محمد بن بكر بالقتل، ما دفعه إلى هجرة أريغ لما رأى تخاذل العزابة عن مواجهة هؤلاء المعتدين، وبعد أن انتفض سكان أريغ ضد قطاع الطرق أولئك وقاموا بمواجهتهم ورد كيدهم، حينها قبل أبو عبد الله العودة بعد أن كان قد رفض طلبهم السابق⁵.

وأغارت غارة لصنهاجة على زناتة فهجروا أماكنهم والتقوا بأبي عبد الله محمد بن بكر وعزابته قرب الماء فنادوا من بعيد مستغيثين "واعطشاه واعطشاه يا عزاب" إلا أن العزاب لم يشتغلوا بهم في بداية الأمر، حتى انتبهوا إلى ما يواجهونه، ففتحوا لهم عن الماء، ووجد أحد

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص840.

² عمر بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، ص193.

³ الدرجيني. طبقات المشايخ، ج 2، ص، 434.

⁴ نفسه، ج2، ص433.

⁵ نفسه، ج2، ص386.

القوم عزابيا يحفر التربة بيده فناوله رمحا ليساعده، فأشار إليه أن الرمح يصلح لأحسن من الحفر، ملمحا إلى أنه أداة قتال¹.

وذكر أن رجلاً من أهل البادية وقع عليه وأهله عام مجاعة، وكان الرجل شديد البخل، رغم ما يملكه من جمال، إلا أنه أبى أن يذبح إحداها، فبلغ ذلك أحد المشايخ فقصده ووجده في خيمته لا يستطيع الحركة من شدة الجوع، فقام الشيخ وفي يده الحربة، وتقدم إلى الجمال يريد ذبح إحداها، فاختر ناقة سمينة كانت أسمن ما في القطيع، فرآه صاحب الإبل، وأخذ يشير إليه بأن يختار غيرها، ولكن الشيخ أصر على ذبحها فنحرها بحربته، وأمر عيال الرجل بالقيام لتجهيزها وأكلها، وحمل الصبح معه غارة أخذت إبل الرجل، ولولا فضل الله أن سخر الشيخ لخدمة الرجل وعياله لهلكوا جوعاً، وكانت أغلب الغارات موجهة إلى نهب المواشي والإبل، ربما لكونها من عادات البدو وأغلب قوتهم، وأن المغيرين يمتنون رعي الإبل والأغنام وهي في مجمل نشاطاتهم².

صُغت بعض الغارات بصبغة مذهبية، فقد ذكر أن عبود بن منار الوارجلاني³ (النصف الثاني ق: 11/هـ) زار ذات مرة أبا محمد عبد الله بن مانوج الجربي، الذي أسف على زيارته إليه وعليه دين لم يقضه، فقال له: " يا عبود إنك لعظيم القدر عندي، فكيف حالك يا عبود؟ " فقال: " بخير يا شيخ، إلا أنه عليّ ديون " قال له: "أ يكون عليك الدين وتزورني؟ أبعد عني يا عبود"⁴، وكان وقع هذا الكلام على عبود كبيراً، إذ ابتعد عنه وقرر تسديد دينه وقصد علي بن يخلف الدرجيني (حي في: 557هـ/1179م) الذي ساعده في بيع بعض أغراضه سدّد بثمنها ما عليه من دين، إلا أن غارة للنكار هجمت عليه فدافع عن نفسه حتى قتل⁵.

وعن تأثير هذه الأعمال فقد خلفت اضطراباً اقتصادياً جلياً، ذلك للخراب الذي ألحق بالعمران، وبالمحاصيل الزراعية العديدة، وهو ما انعكس على النشاط الاقتصادي بشكل عام،

¹ الشماخي: كتاب السير، ج2، ص734.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص346.

³ من علماء وارجلان، عرف بزهده وعبادته الكثيرة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص285.

⁴ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص401-402.

⁵ نفسه.

والتجاري بشكل خاص، ذلك أن الأراضي الزراعية التي تُعد الركيزة الأساسية لاقتصاديات الحواضر تحولت إلى مناطق رعوية، وما انجر عن ذلك من تأثير العلاقة بين الريف والمدينة، حيث تأثرت المدن من جراء شح المحاصيل التي لم تعد تلبي حاجيات السكان، وبالحديث عن الصناعة فقد تأثرت أيضا فقد تم تحطيم معامل الصناعة، ودكاكين البيع، وغيرهما من المنشآت، وفر أصحاب الحرف إلى مناطق أخرى أكثر أمنا، وكان من نتائج ما سبق ارتفاع الأسعار وظهرت معه مجاعات متعددة¹، وتروي المصادر الإباضية العديد من السنوات التي شهدت مجاعات دون الدخول في تفاصيل الأسباب العميقة لحدوثها، إلا أنه من المؤكد تأثير عدة عوامل على غرار العامل الطبيعي في هذا الوضع، فلا يمكن أن نتوقع من المجتمعات الإباضية مواجهة موجات القحط في ظل هجمات الغزاة، وعلاقات متدهورة بالسلطات الحاكمة، ويظهر أن يحيى معمر قد أدرك هذه العلاقة في وصفه للقحط الذي أصاب نفوسة قائلا " وقع في ليبيا قحط وجفاف استمر عدة سنوات مع فساد في الحكم وظلم من الحكام فهاجر أكثر الناس سنة 430هـ/1038م² ".

ويمكننا أن نستنتج من خلال ما عرضناه من واقع قطع الطرق والحاربة وتأثيراتها، أنها مهنة اشتهر بها عدد من القبائل، تنوعوا في كونهم من قبائل الأعراب أو من البربر، وشكلوا عائقا وخطرا على حركة التواصل بين الإباضية، رغم أن المشايخ وعلى رأسهم أبو عبد الله محمد بن بكر، لم يتوانوا في حشد السكان لمواجهة أعمالهم العدائية، بل ووقف الكثير منهم بشخصهم في مواجهتهم.

كما أن الكثير من الدراسات الاستشراقية التي عالجت مشكلة الحاربة وقطع الطرق وأثرهما في انحطاط حضارة المغرب الإسلامي، بدت مجحفة في ربطها بالهجرة الهلالية وأوضح علاوة عمارة إلى أن هذه القراءات لم تخل من مآرب بعيدة عن البحث العلمي الرصين، وانطوت في طياتها على غايات استعمارية، وكذا سوسيوقافية، لعبت عليها الكثير من دوائر الاستعمار³.

¹ البشير بوقاعدة، خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى، بين 296هـ/909م - 547هـ/1152م، رسالة مجيستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر العاصمة، 2012-2013، ص 191-193.

² علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج1، ص 561.

³ علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د. ط)، الجزائر، 2008، ص 35-36.

ثانيا: العراكات السياسية.

مع سقوط دولتهم ورغم ركونهم بشكل العام فقد شن الإباضيون في مناطق من بلاد المغرب انتفاضات محدودة، تلتها ثورات واسعة، وبطبيعة الحال فإن هذه الثورات والانتفاضات كان لها آثار سلبية على العلاقات الاقتصادية التي ربطت المجالات الإباضية، ذلك أن الأمن عنصر أساس تبنى عليه أيّة عملية تبادل أو تعاون تجاري، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن مغالبة الدول المسيطرة وما يتبعه من ردود فعل تجاه سياساتها سيحمل من الخراب والتراجع ما يؤثر على مختلف الأنشطة الاقتصادية الممارسة، وفي هذا الصدد سنحاول تتبع مسار الثورات الإباضية محاولين رصد آثارها المختلفة على النشاط الاقتصادي للإباضية.

بداية هذه الانتفاضات كانت سنة 298هـ/910م مع هجرة طرابلس، وانضمت إلى جموعهم قبائل إباضية أخرى من بينها قبيلة زناتة ولماية، وتحركوا إلى مدينة طرابلس لحصارها، وكان الرد الفاطمي سريعا إذ أرسل عبيد الله الشيعي أبا زاك تمام بن معارك، الذي عرف عليه الغدر والخداع والمبالغة في سفك الدماء، وجهزه بجيش كبير جدا انطلق أبو زاك في حربه على الإباضية في تلك المناطق، إلى أن تمكن من هزيمتهم وتشتيتهم، وتدل الحركة السريعة لأبي عبد الله وتجهيزه لجيش ضخم على رغبته في منع تطور أيّة حركة تمرد في دولته الفتية، فيكون القضاء السريع ذا فعالية أكبر¹، إضافة إلى أسلوب الاستعراض والترهيب الذي عرف به، ففي هذه المواجهة أرسل إليه أبو زاك رؤوسا عديدة للقتلى وأذانا مربوطة في شكل عقود، ويظهر استباق الثورة لإباضية طرابلس على أن الإباضية في هذه المنطقة لمسوا في أنفسهم من القوة ما يستطيعون به المواجهة، وبالتأكيد فإن الهجوم الشيعي الذي شنت جموعهم افقدهم الكثير من روابط الاتحاد التي جمعتهم، وفي نفس السنة كانت

¹ المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص162-165.

لواتة قد أظهرت ممانعة للحكم الشيوعي فأرسل لهم عبيد الله بن دوقان، ورجاء بن أبي قانة، فقتل عددا كبيرا منهم، ونهب أموالهم وسبى أطفالهم¹.

وفي سنة 299هـ/911م انتفضت زناتة، فرد عليهم أبو عبد الله بجيش عظيم التقى معهم في موقع يدعى "فلك مديك" وتمكن الفاطميون من الانتصار عليهم وقتلوا عددا كبيرا منهم، وفي السنة نفسها كان أهل تيهرت قد ثاروا على عاملها لدى عبيد الله "دواس" الذي فر وتحصن بعيدا عنهم بعد أن قتل عددا كبيرا من رجاله، واستدعى أهل تيهرت محمد بن الخزر وعينوه عليهم، إلا أنه انصرف عنهم، وأعد عبيد الله لمواجهة ثورتهم جيشا كبيرا وتواجه معهم ثلاثة أيام إلى أن تمكن من دخول المدينة، فقتلوا الرجال وقاموا بسبي النساء والأطفال، ونهبوا الأموال التي كانت في المدينة، إضافة إلى إشعال النار في الدور، وبالتأكيد فإن مكانة تيهرت الاقتصادية كمر مهم للقوافل ونقطة تبادل تجاري، قد كانت في آخر أيامها وزاد من تسارع ذلك الانتفاضة التي شهدتها المدينة، والرد الفاطمي العنيف تجاه الساكنة والمدينة على حد سواء² ولم ينج إقليم الزاب من فتيل المواجهات التي كانت هذه المرة من قبل رجل قدمه أهل القيروان لمحاربة الفاطميين وادعوا مهدويته فاستطاع السيطرة على إقليم الزاب كله، وصار له من القوة ما يحسب له ألف حساب، فأخرج إليه عبيد الله قادة حاربوه وتمكنوا من هزيمته³.

وفي سنة 300هـ/912م ثار أهل طرابلس على عبيد الله المهدي بسبب أفعال عامله ماقنون بن دبارة الأجنبي الذي انتهك حرمت الناس، فأجهز الساكنة على جنده فقتلوهم وأغلقوا أبواب المدينة وعينوا محمد بن إسحاق المعروف باسم ابن القرلين أميرا، وفي خضم هذه الثورة فر ماقنون إلى عبيد الله الذي جهز جيشا لمحاربة أهل طرابلس، واستمرت معارك عبيد الله معهم لشهور ما يظهر شراسة المواجهات و توسع رقعتها، وبالتأكيد فإن طول أمد

¹ المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص162-165.

² نفسه.

³ نفسه.

هذه الثورة قد حمل انعكاسات على أنشطة السكان ووسائل عيشهم خاصة بعد أن تمرد أهل صقلية وخالفوا طاعة الفاطميين، وتولى أبو القاسم بن عبيد الله أمر قيادة أسطول هاجم به طرابلس، وحرق به سفنهم، ثم هجم برا على مواطن قبيلة هواره بالمنطقة، وتمكن من دخول طرابلس بعد حصارها¹.

وتمكن إباضية جبل نفوسة من تعيين إمام دفاع سنة 310هـ/922م وهو الشيخ أبو يحيى زكرياء الأرجاني النفوسي² (ت قبل: 325هـ/936م) المعروف بأبي بطة، وشكل الإباضية في الجبل تنسيقية من المشايخ وحاول النفوسيون توسيع رقعة حكمهم بالهجوم على طرابلس لضمها إليهم، إلا أن القوات الإباضية هُزمت، فأرسل لهم عبيد الله جيشا، لكن الإباضيين تمكنوا من الانتصار عليه، ثم أرسل جيشا آخر لقي هزيمة أخرى من الإباضية عند قرية تبركت بجبل نفوسة، ورغم هذه النتيجة إلا أن إمام الإباضية أبو يحيى قتل في المعركة، ولم يتمكن الإباضية من استثمار انتصاريهما على القوات الفاطمية، إذ أنهم ركنوا إلى مهادنتهم فصاروا يدفعون مغارم لولاية القيروان من الفاطميين كانت باهظة، ولم يستطع الإباضيون في جبل نفوسة التحرر من هذه المغارم إلا في زمن الشيخ أبي الفضل سهل النفوسي³ (ق: 3هـ/9م)، في وقت تزامن مع ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتي⁴. ويبدو جليا أن المغالبة الفاطمية الإباضية قد ألفت بظلالها على الشأن المالي والاقتصادي فمغالاة الفاطميين في فرض الغرامات على إباضية نفوسة بعد انحصار ثورتهم قد يحمل دلالات تتجاوز الجبابة، إلى الحصار الاقتصادي والتضييق المالي منعا من أن تظهر في نفوسة أية قوة قد تستعين بها في إعلان تمرد جديد، خاصة أن قبيلة نفوسة القوة الضاربة

¹ المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص168-169. وأيضا: محمد إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص235.

² شيخ علم من جبل نفوسة، تميز بالعلم الواسع، قام بمهمتي القضاء والإمامة. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص154.

³ من جبل نفوسة، عرفه عنه أنه كان شاعرا، وله تأليف بالبربرية. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص219.

⁴ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص236.

للمستعبيين سابقا ذات تاريخ في خوض الحروب والذود عن الإباضية ودولتهم، ولم يكن النفوسيون ليرضوا أبدا بخلو المجال الإباضي من إمام، دفاعا كان أو ظهورا، كما أن منطقة الجبل عرفت بإنتاجها الزراعي الوفير، ويكون انتهاء موسم الجني موسما مميزا لاستجماع القوى وإعلان الثورة.

وقاد أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتى ثورة ضد الحكم الفاطمى، وهو إباضى نكارى من تقيوس ببلاد الجريد، نشأ بتوزر واحتك بالإباضية النكارية، بعد قمع الفاطميين رحل إلى مصر لفترة، ثم عاد سنة 325هـ/936-937م، فسُجن ثم أخرج أصحابه من السجن، ليفر بعدها إلى الأوراس ثم تمت بيعته سنة 331هـ/943م لقتال الفاطميين¹ وخاض أبو يزيد حربا طاحنة ضد الفاطميين بدأت بانتصارات كبيرة حققها فضم أراض كبيرة وكاد ينهي حكمهم، حيث حاصر المهدية، إلا أن الفاطميين تمكنوا من قلب الموازين، وألقوا القبض عليه، وتوفي سنة 336هـ/957م²، وكان لثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد آثار اقتصادية جمّة، فهي من بين الكوارث، ووصفت تيهرت على إثرها " وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه، وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا فقراء بتواتر الفتن عليها ودوام القحط، وكثرة القتل والموت"³، ومن الآثار التي حملتها تخريب المدن حيث خربت ثلاثون ألف قرية⁴.

ورغم الخراب الذي أحدثته ثورة أبي يزيد، وتأثيره على النشاط الاقتصادي، إلا أن الأمر لم يخل من انعكاسات مالية نراها إيجابية، حيث كان الفاطميون يشددون في جبي الأموال من الإباضية بفرض العديد من الضرائب، أبرزها ضريبة القسط، والحج، إلا أنهم

¹ البشير غانية، ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ضد الفاطميين ونتائجها على بلاد المغرب (331-336هـ/944-949م)، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (د.ط)، الجزائر، 2008، ص ص 22-25-26.

² نفسه، ص 39-40.

³ ابن حوقل، وصف الأرض، ص 93.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج 1، ص 101.

راجعوا سياستهم المالية وتمّ خفض الضرائب غير الشرعية، منذ سنة 335هـ/947م، وأثرت الثورة على النشاط التجاري الذي كسد، وعلى الطرق التجارية التي تغيرت موازين أهميتها باتجاه الغرب إلى سجلماسة، كما تراجع دور تيهرت الاقتصادي¹.

ونجمل القول أن ثورة أبي يزيد كانت شديدة الأثر على الجانب الاقتصادي بما حملته من تخريب للمدن، وقطع للطرق، وتأثير على حركة المبادلات التجارية والطرق، غير أنها خففت من وطأة القبضة المالية الفاطمية على المدى البعيد.

وشهد العهد الزيري ببلاد المغرب بدءًا من إرهاباته تشنجات كثيرة بين الزيريين والإباضية في المغربين الأدنى والأوسط، وخاض الإباضيون عدة ثورات ضد الحكم الزيري، كما كان الزيريون سابقين في كثير من الأحيان إلى الهجوم على معاقل المذهب الإباضي وارتكبوا في حقهم الكثير من المذابح، ولعل مستهل هذه الصراعات كان هجوم أبو الفتوح بلكين على الزاب سنة (361هـ/972م)، لمطاردة قبيلة مزاتة وهوارة ونفزة الذي وصل في ملاحقته لهم إلى تيهرت، وفي سنة (363هـ/972م) بلغه تمرد أهل تيهرت وخلعهم طاعة الفاطميين، وبأن قبيلة زناتة تمكنت من حصار مدينة تلمسان ودخولها، فجهز حملة ثانية توجه بها إلى تيهرت، ما دفع الثوار إلى النزوح إلى ناحية الغرب، لكنه لم يلاحقهم للأوامر التي وصلته من المعز لدين الله بعد التوغل في اتجاه الغرب².

وفي عهد المعز بن باديس الصنهاجي (406-454هـ/1016-1062م) لم يبق الإباضيون الزناتيون في المغرب الأدنى مكتوفي الأيدي أمام الاعتداءات المتكررة للصنهاجيين، حيث استجمعوا قواهم وعمدوا إلى الهجوم على مناطق نفوذه وأرزاقه كلما سمحت الفرصة، حيث أغاروا على دوابه سنة 411هـ/1020م، الأمر الذي أدى إلى خروج

¹ البشير غانية، ثورة أبي يزيد مخلص بن كيداد ضد الفاطميين ونتائجها، ص ص 69-72.

² حسن حافظي علوي، مراجعات حول الصراع السني الإباضي في بلاد المغرب، الصراع المذهبي ببلاد المغرب، منشورات، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008، ص 93.

عامله على قابس إليهم، فواجههم وهزمهم، ووفد إليه أحد شيوخهم وطلب من المعز الصلح سنة 417هـ/1026م فأجابه بالإيجاب شرط أن يأمّنوا الطرق التي تعبر مجالهم، لكن ذلك لم يمنعهم من الانشقاق فهجموا على القيروان سنة 420هـ/1029م، ثم هجموا على المنصورة سنة 427هـ/1036م، وكانت ردود فعل المعز عنيفة حيث جهز جيشا هجم به على الزناتيين وهزمهم سنة 428هـ/1037م، وجيشا آخر غزى به إقليم الزاب في سنة 429هـ/1038م، واستمرت حملات المعز على معاقل الإباضية ولم يتورع في قتل شيوخهم وأئمتهم¹ ومثال ذلك ما حدث في قلعة درجين التي استباحتها قوات الزيريين سنة 440هـ/1048م وقتلوا الكثير من مشايخ الإباضية وعوامهم².

وعن الآثار الاقتصادية التي خلفتها جولات الإباضية مع الفاطميين، ثم مع الزيريين، فإنها كانت بالغة في السوء حيث تم اتباع سياسات مالية جائرة تبعت استيلاءهم على خزائن الأحباس والحصون، ففرضوا غرامات مجحفة وأجبروا الإباضية على دفعها مقابل الكف عن قتلهم، وكان من نتائج هذا اندلاع ثورات أسهمت في الإضرار باقتصاد الإباضية من جهة، وأثقلت كاهل الدول المجابهة من جهة أخرى، ونتج عنها تدمير الطرق وإحراق الزروع وتحطيم المدن، كما ساهمت في حدوث المجاعات وانتشرت معها الأوبئة، وفاقمت من الأزمات الاقتصادية، ورغم الخراب الذي تحدثنا عنه والذي حملته سياسات الدول المجابهة للإباضية وما تبعها من ثورات، إلا أنها أجبرت الحكم الفاطمي على التخلي عن سياساته المالية الجائرة فخففت الضرائب وصار نحو الاعتدال على المستوى المالي³.

¹ حسن حافظي علوي، مراجعات حول الصراع السني الإباضي في بلاد المغرب، ص 93-96.

² صالح باحية، الإباضية بالجريد، ص 147.

³ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص 284.

الفصل الثالث

التواصل العلمي والفكري

المبحث الأول: الرحلة في طلب العلم ونشره

أولاً: الرحلة العلمية

ثانياً: الوعظ والإرشاد أثناء الرحلات

المبحث الثاني: المراسلات العلمية

المبحث الثالث: المناظرات العلمية والفتاوى

أولاً: المناظرات العلمية.

ثانياً: الأسئلة الفقهية والفتاوى

المبحث الرابع: في الكتب والتأليف

أولاً: مكانة الكتب والتأليف عند الإباضية

ثانياً: التأليف المشترك

المبحث الأول: الرحلة في طلب العلم ونشره.

أولاً: الرحلة العلمية.

اكتسب طلب العلم أهمية بالغة لدى الإباضية في بلاد المغرب، يكفي أن تكون إرهابات انتشار الفكر الإباضي في بلاد المغرب منطلقاً من العلم والتعلم، دليلاً واضحاً على ذلك، فسلامة بن سعيد ركز جهوده في بادئ الأمر على تكوين نخبة علمية متميزة بالمذهب الإباضي وهم: (عبد الرحمن بن رستم، وعاصم بن جميل السدراتي وإسماعيل بن درار الغدامسي وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وأبو داود النفزاوي)، كما اقترن طلب العلم بالرحلة في سبيله، وما يدل على ذلك أن هذه النخبة العلمية التي أعدها سلامة بن سعيد سافرت إلى البصرة للتعلم على يد إمام المذهب، وسميت هذه البعثة بحملة العلم الخمسة¹ وبذلك يكون طلب العلم والرحلة في سبيله قد اقترنا منذ عصور مبكرة في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب، واستمر ذلك لقرون رسم فيها الإباضية صوراً جميلة من صور المجتمع الإسلامي الذي يُكوّن في طلب العلم، وبذل الجهود في تحصيله أولوية وضرورة من ضروريات الحياة، وسنقدم في هذا المطلب رسداً لأهم الرحلات العلمية التي تمت بين الإباضية في المغربين الأوسط والأدنى، مبرزين أهم حيثياتها ومدلولاتها.

ابتداءً بعهد الدولة الرستمية شكلت تيهرت مقصداً مهماً للطلبة القادمين إليها من أجل التعلم والتفقه في مختلف العلوم، كما عمل الآباء على إرسال أبنائهم إلى هذه المدينة لما تمتعت به من حلقات للعلم، ومن بينهم أبو يونس وسيم بن سعيد النفوسي² (ق: 3هـ/9م) الذي أرسل ابنه أبا محمد سعد النفوسي³ (ت: قبل 283هـ/896م) للتعلم في تيهرت عند

¹ صالح باجبة ، الإباضية بالجريد خلال العصور الإسلامية الأولى، ص25.

² فقيه إباضي من جبل نفوسة، استقر في الجريد، وكان عاملاً على قنطرة، عاصر الإمامين عبد الوهاب، وأفلح. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1062.

³ شيخ من أعلام جبل نفوسة، تلقى العلم بويغو أو جبل نفوسة، ثم أرسله الإمام إلى تيهرت لتلقي العلوم بها والتفقه على يد كبار العلماء. ينظر: إبراهيم بجاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص170.

الإمام أفلح، ورافقه نفاث بن نصير¹ (ق:3هـ/9م) حيث تعلموا عند الإمام أفلح بن عبد الوهاب مختلف العلوم، وعندما شرعا في العودة إلى وطنهما تصادف ذلك مع موت أبي يونس وسيم بن يونس النفوسي² (حي بين: 208-258هـ / 823-871م)، عامل الإمام على قنطرة، فاختر الإمام سعداً لأحكام الناس³. ويظهر اختيار الإمام لسعد ثقته الكبيرة في علمه وورعه، ذلك أنه وقف شخصياً على تعلمه وتفقهه، وبذلك يكون أعلم الناس بأهليته لتولي هذا الشأن، كما أن والده تولى الأمر قبله، ومن المرجح أن يكون الابن أقرب الناس إلى خلق والده، ويعرفه الناس بما صنع أبوه من قبله، وبذلك يكون أمر توليه أيسر من بحكم تقبل الناس له.

والظاهر أن تيهرت استقطبت أعداداً هائلة من الطلبة، فالشيخ أبو الفتح⁴ الذي يعد من علماء وسط إفريقية كان تعليمه بتيهرت في جمع واحد يعد بخمسمائة رجل⁵، ويظهر هذا الرقم المكانة التي تبوأتها تيهرت من جهة، وأيضاً النظام التعليمي الذي اعتمد على الجموع الكبيرة، فكانت هذه الحلقات أشبه بجامعة إباضية، جمعت بين قاصدي العلم من الإباضية في مختلف الأصقاع، وذلك تحت رعاية الأئمة ودعمهم.

خلال هذه الرحلات العلمية لم ينقطع نسب الدين بين العلماء الذين توارثوا العلم جيلاً عن جيل انطلاقاً من المشرق، ثم وصولاً إلى المغرب فأبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي يروي في إسناده سلسلة سند انتقلت معها العلوم الإباضية، وهذه السلسلة مكونة من أبي

¹ زعيم حركة المعارضة في الدولة الرستمية التي عرفت لاحقاً بالنفاثية، التي لها آراء فقهية مميزة، كإبطال خطبة الجمعة، وظلت هذه الفرقة متواجدة في منطقة الحامة، وجبل نفوسة حتى القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي. ينظر: لمياء أنور كامل يعقوب، الإباضية في المغرب العربي دراسة تاريخية في انتشارها ودورها العلمي من القرن الثاني إلى أواخر القرن الرابع الهجريين، الثامن إلى العاشر الميلادي، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، القاهرة، 2016م، ص122.

² عينه الإمام أفلح على قنطرة بالمغرب الأدنى وأحسن السيرة بها. ينظر: مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص446.

³ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص352.

⁴ لم نتمكن من التعريف به، يورده الشماخي في صدد الحديث عن علماء وسط إفريقية.

⁵ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص414.

عمرو عن أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله عن أبي الربيع سليمان بن يخلف الذي أخذ عن أبي عبد الله محمد بن بكر عن أبي زكرياء فصيل، عن والده أبي مسور، وتستمر السلسلة من أبي مسور إلى أبي معروف ويدرن النفوسي¹ (حي بعد: 283هـ/896م) عن أبي ذر أبان عن أبي خليل صال الدركلي النفوسي (ق: 3هـ/9م) عن أبي منيب محمد بن يانس النفوسي (ق: 3هـ/9م) المعاصر لحملة العلم الخمسة، ومن حملة العلم الخمسة عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد²، وبهذا اتصل سند علماء المغرب الإباضية بمنبع علمهم في المشرق، والتي كانت الرحلة فيها إحدى الركائز المتينة التي انتقلت بها هذه العلوم وتواترت من جيل إلى جيل، ومن بقعة إلى بقعة إلى يومنا هذا.

وعمل العلماء على تشجيع الطلبة على الرحلة إلى طلب العلم والحث على الاستزادة من مختلف العلوم، وبذلك كان يدعو الشيخ ماكسن بن الخير الوسياني القيرواني " عسى الله ولعل الله أن يجعل لأهل الدعوة إلينا سبيلا وقد تابعوا ملوكهم من قبل ثم جعل إليهم سبيلا لعزهم وشدة عزمهم..."³.

إن حركة الرحلات العلمية إنما تدعمت بإنشاء نظام العزابة على يد أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي 409هـ/1018م، حيث ساهم هذا التنظيم في تشجيع حركة الطلاب، أو ما اصطلح عليه بالعزاب القاصدين كبار المشايخ للتعلم على أيديهم، كما عمد علماء الإباضية إلى التنقل في جموع كبيرة من الطلبة يتدارسون في حلقات مختلف أنواع العلوم، وارتبط هذا النظام منذ إرهاصات نشأته الأولى بالرحلة العلمية، حيث أرسل أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور الجربي (ت بين: 420-440هـ / 1029-1048م) تلاميذه في مهمة علمية إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، فوجدوه بتقيوس من بلاد الجريد

¹ من جبل نفوسة، أخذ العلم عن أبي ذر أبان، وكان من العلماء الذين لهم باع كبير في علم الفرائض، واهتمام كبير بالكتب، كما كان تاجرا، وفلاحا. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص447.

² الشماخي، كتاب السير، ج2، ص349.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص383.

وعرضوا عليه اقتراح الشيخ تأسيس نظام علمي اجتماعي، إلا أنه رفض ومع إصرار الرسل وافق على ذلك مشروطاً مهلة أربعة أشهر لوضع نظمه¹.

ولتثبيت أرضية هذا النظام وتهيئة الأجواء المناسبة له، شرع الفرستائي في رحلة بدأت بزيارة جبل نفوسة حيث بنى مسجداً في فرسطاء مسقط رأسه، وكان أثناء وجوده في الجبل يضع الخطوط العريضة لنظامه وذلك بمساعدة من الشيخ أبي زكرياء بن أبي مسور، ثم مر بجزيرة جربة وعمل على إرساء خطوط النظام بها، ثم رحل إلى الجريد ووجد أهله من الإباضية في اضطهاد فلم يقيم، وياشر بالرحيل إلى قسطيلية ثم إلى الجنوب نحو المناطق الواحية في المغرب الأوسط²، واستقر به المقام بأريغ لما استشفه من رقة قلوب أهلها وإقبالهم على العلم وأهله³، وكان أبو عبد الله محمد قد استشار الشيخ أبا القاسم يونس الوليلي الأريغي في اختياره أريغ، فأشار عليه بتحضير غار يكون مأوى للطلبة يأوون إليه بحلقته، وياشرون فيه تطبيق نظامهم⁴، فكان أبو عبد الله أثناء إقامته بأريغ مقيماً عند قبيلة بني وليل ثم انتقل إلى تين سلي التي أسس بها الحلقة في الغار الأول الذي كان قد حفره في آجلو⁵. ومن جملة الأسس التي حملها هذا التنظيم، القواعد التي على أساسها يمكن للإباضي أن يكون عزابياً، كالرغبة في التعلم، والانضباط⁶.

استمر نشاط الفرستائي الذي قصده الطلبة من مختلف الأصقاع، من بينهم التلاميذ المبتدئون والمشايخ الذين يرغبون في تطوير علومهم، والتبحر في مسائل الفقه الذين من بينهم أبو الخطاب عبد السلام بن أبي وزجون النفوسي (ط9: 400-450هـ/1009-1009-1009).

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص167-169.

² علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج2، ص128.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص170.

⁴ صالح بن عمر اسماعي، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية، ص33.

⁵ الدرجيني، طبقات المشائخ، ص170.

⁶ Allaoua amara، La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (XIe-XVe siècle) ANNALES ISLAMOLOGIQUES ،AnIsl 42 ،p266.

1058م) الذي قصد أبا عبد الله في أريغ ودرس عنده¹، وكان الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف القابسي (ت: 471هـ/1079م) يتعلم عند الشيخ أبي عبد الله علم الأصول، فلما بلغ علما عظيما توجه إلى جربة، وفي مراده تعلم الفقه ببني يهراسن عند المشايخ أبي محمد ويسلان الجربي، وأبي بكر بن يحيى الزواغي الجربي (ت: 431هـ/1039م)، إلا أنه صادفهم في وقت انشغالهم، غير أنهم خصصوا له من وقتهم ما يعلمونه فيه مختلف العلوم، فكان قاعدا في المسجد، وقسموا له الأوقات بحيث يتداول عنده كل منهما يوما بيوم يعلمانه، واستفاد الشيخ منهما استفادة كبيرة².

وقصد العديد من تلاميذ الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الشيخ أبا محمد ويسلان من أجل تعلم الفقه فتجمعت حلقة عليه، وكان الكثير منهم تعلم عند أبي عبد الله مسائل الحجة والنظر في الأصول، ويريد تعلم الفقه ومنهم يعقوب بن يعدل³ (ق: 5هـ/11م) ومصالاة بن يحيى⁴ (ق: 5هـ/11م)، ثم اجتمع عليه من أصقاع عديدة الطلبة الراغبون في تعلم الكلام، فعمدوا إلى الاجتماع وقراءة كتبهم على حدة، وكان مشايخ بني يهراسن يجتمعون إليهم فيقومون بإعانتهم بما قدروا عليه⁵ ويبرز ذلك جانبا مهما من جوانب الرحلة العلمية المتخصصة الواضحة الأهداف، وهي تعلم علم ربما اشتهر من مشايخ الإباضية من يملك باعا كبيرا فيه، ويمكن أن يكون من المشايخ من يرد الطلبة إلى غيره من العلماء لثقتهم في علمه ودرايته باختصاصه.

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص405.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص269.

³ معاصر للشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر، ومن تلاميذه. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص370.

⁴ من مشايخ الإباضية الذين أخذوا العلم عن أبي عبد الله محمد بن بكر، وعن أبي محمد ويسلان في جربة. محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1022.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص269-270.

من بين المشايخ الذين قصدوا أبا عبد الله الشخان محمد بن سليمان النفوسي (ق:5هـ/11م) ومحمد بن غمرة¹ اللذان وفدا إليه فأخبراه أنهما بغيران بني أجاج² يدرسان كتب الفقه، ثم اجتمع بهما وأوضح لهما فضل كتب الفقه مقدما لهما نماذج ككتاب أبي غانم³ (ق:2هـ/8م) ونصحهما بأجوبة الأئمة معتبرا إياها "مخ الفقه" ثم قدم شرحا لها وأهميتها في مختلف المسائل⁴ وبذلك كانت هذه الرحلة استشارية توجيهية أراد من خلالها الشخان التوجيه والإرشاد في رسم خطة تعلمهما وتفقههما، ووجدا من أبي عبد الله خير مرشد، لما له من باع ونظر في مختلف العلوم خاصة الفقه.

قصد أيضا التائبون والعائدون إلى طريق الصلاح الشيخ أبا عبد الله، وذلك لسبب رغبتهم في أن تكون بداية طريقهم نحو التوبة منطلقها التعلم والتفقه، ومن أمثلة هؤلاء منزو وهو رجل من لمطة الذي تعلم على يديه السير وسلك سبيل الصلاح⁵.

أرسل مشايخ الإباضية أبناءهم وأقرباءهم إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر للتعلم، فالشيخ أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور الجربي وجه ابنه زكرياء ويونس، وابن أخته أبا بكر بن يحيى، وإخوته إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، ثم طلب من ابن أخته سعيد بن يحيى أخ أبي بكر بن يحيى القعود عنده وخدمته، لما رأى من مصلحة في ذلك⁶.

¹ لم نتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

² تقع قرب وارجلان. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص378.

³ أبو غانم بشر بن غانم الخراساني، قديم إلى البصرة لتلقي العلم، ويعد من محدثي الإباضية ألف كتابا كبيرا باسم المدونة توفي سنة 200هـ. ينظر: أبو غانم بشر بن غانم الخراساني: المدونة الكبرى، تحقيق: مصطفى بن صالح باجو، وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان، 2007، ج1، ص12-16.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص389-390.

⁵ نفسه، ج2، ص390.

⁶ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص247-248.

كثيرا ما كان أبو عبد الله ينتقل بحلقته العلمية قاصدا المغرب الأدنى، وبينما كان ذات مرّة مقيما بحلقته في كنومة بالمغرب الأدنى، وكان بها الشيخ أبو محمد يوجين اليفرني¹ (ق: 5/11م)، وأراد الشيخ أبو الخطاب عبد السلام بن منصور أبي وزجون النفوسي (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) القعود في حلقة أبي عبد الله، فمكثوا مدة في موضعهم، ثم قرر أبو عبد الله الانتقال إلى أريغ، وعزم التلاميذ في أريغ على التعلم عزمًا كبيرًا وتحلوا بقمة الانضباط، وكان معهم عبد السلام الذي بقي مدة في أريغ تعلم فيها مختلف العلوم²، ثم رحل إلى أهله، وربما يكون قعود عبد السلام عند أبي عبد الله في هذه الحلقة سابقا لما حدثنا به سابقا في رحلته إلى أريغ، أو أن الدرجيني قد ذكر في روايته هذه ما اختلف فيه مع ما نقل أبو زكرياء بسبب تواتر السير خلال فترة زمنية طويلة.

وقصد الكثير من تلاميذ المغرب الأوسط حواضر المغرب الأدنى للتعلم على يدي مشايخ زمانهم، فعن مجموعة من التلاميذ كانوا في رحلة طلب علم عند الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف القابسي (ت: 471هـ/1079م) بتمولست بالجريد فكروا راجعين إلى بلادهم، وفي الطريق مرّوا بناحية أريغ، فعبروا وغلانة وقصدوا الشيخ فلفول بن يحيى³ (حي في: 430هـ / 1038م)⁴ كان الطلاب إذا بلغوا مبلغا من العلم أحب بعضهم أن يُقَدَّم إلى وارجلان وأريغ لعرض ما حصّلوا من علوم على كبار المشايخ، وكان من الطلاب من درس عند الشيخين أبي محمد عبد الله، وأبي عمران موسى النفوسيين⁵ مسائل مختلفة في شؤون

¹ شيخ إياضي من يفرن. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1018.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص303-304.

³ من المشايخ المعاصرين لأبي العباس أحمد بن محمد، كانت له حلقة علم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص341.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص452.

⁵ يظهر أنهما من مشايخ طرابلس، غير أن نص الدرجيني لا يمنحنا معلومات دقيقة حولهما. فالكثير من العلماء تلقب بأبي محمد عبد الله في تلك الفترة، كما أن أبا عمران موسى هو نفوسي حسب النص، ونستبعد أن يكون هو نفسه أبو عمران موسى بن أبي زكرياء عالم تجديد لكونه مزاتي وليس نفوسي.

المذهب، فقام وقصد وارجلان للقاء الشيخ أبي رحمة اليكشي الوارجلاني¹ (ق: 6هـ/12م) لعرض ما حصّل من علم².

وكان للشيخ أبي محمد عبد الله اللنثي³ (ق: 6هـ/12م) حلقة علم في تينزارتين⁴ وكان تلاميذه بها من أهل سوف وأريغ ووارجلان ومزاب وقسطيلية، وكانوا يحلقون بها حتى حلت فتنة بين بني تاكسينت الوهبية والمالكية، فأدت هذه الفتنة إلى تفرق الحلقة وفرار من بها بعد أن تم التربص بهم⁵.

وتظهر مكانة وارجلان العلمية لكونها مقصدا للطلبة والمشايخ في رواية أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي بقوله: "الشيخ السبعة المتعلمين عند شيخ زمانهم كلهم من جبل نفوسة إلى وارجلان رحمهم الله، الشيخ يخلفتن الزنزفي وحمو بن المعز النفوسي وإسماعيل بن أبي العباس بن أبي عبد الله النفوسي وعبد الله بن واندن السنتني من بني زمور، والقاسم الزواغي الجربي، وهم علماء فقهاء صالحوا زمانهم"⁶، وذكر أبو الربيع سليمان أن له في وارجلان ثلاثة وعشرين مؤلفاً أغلبهم مع الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر⁷.

ومن محبي العلم من طلق ما في يديه من متاع الدنيا ورحل طالبا للعلم كأبي دوناس الذي كان من إباحية طرابلس فخرج قاصدا تجديت، فدخل المسجد وتعفف عن متاع الحياة،

¹ من قبيلة زناتة البربرية، عالم ومحدث من إفران بوارجلان، فهو معاصر الشيخ أبي عمار عبد الكافي، والشيخ أبي يعقوب يوسف بن خلفون. ينظر: محمد حسن، تحقيق سير الشماخي، ج3، ص926.

² الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص498.

³ من علماء الإباضية الذين برعوا في مسائل النظر، كانت له حلقة علم في تينزارتين يحضرها تلاميذ كثير. ينظر: الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص481-482.

⁴ لم يتمكن من تحديد مكانها بدقة، ويظهر من سياق نص الدرجيني أنها من خارج المناطق التي وفد الطلبة لها.

⁵ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص482.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص344.

⁷ نفسه، ج2، ص559.

فلبس الحصر وسبّل وقته للعلم، فاكتفه أهل دعوته بما قدروا عليه¹ ورؤي عن ماكسن بن الخير القيرواني أنه رغب في زيادة علمه ومواصلة الانقياد لأهل الخير وصحبته، فكان إذا فرغ من شؤون ضيعته من حرث وغيره، طلع بحلقته إلى أبي سليمان داود بن إلياس بن يوسف الوارجلاني (ق:5هـ/11م) رحمه الله، فيتعلم عنده بوقار كبير حتى يُحصل ما يريد فيعود إلى بلده².

نزل أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن مبال البرقاوي (ق:5هـ/11م) إلى أريغ سنة 450هـ/1058م وكان عمره ثماني عشرة سنة، وكان قد تم اصطحابه مع حلقة الشيخ يزيد بن خلف الزواغي رحمه الله، وعُرف بأن له لوح طويل، فوصلوا تين يسلي، فأتاهم الشيخ ماكسن الذي صافح العزاب وعانقهم، ثم رحل إلى بيته فلحقه أبو محمد فاستأذن منه أن يبقى معه ويفارق العزاب فأذن له الشيخ، وبذلك كان قد فارق حلقة الشيخ أبي الربيع والتحق بحلقة ماكسن بن الخير، والفضل في تعلمه ورحلته هي أمه التي أدخلته العزابة بعد أن باعت شيئاً مما تملكه لضمان تعليمه³ وأذن له الشيخ ماكسن بالسفر وكان في نيته البحث عن كتاب تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن الذي سمع أنه نودي له بالبيع في قلعة بني حماد، فسافر لأجل الحصول على هذا الكتاب خوفاً عليه من الضياع والاندثار متظاهراً بأنه تاجر جاء لتبضع الشب، وفور وصوله طاف يبحث عنه في خفاء، إلا أنه فوجئ ببيعه قبل وصوله، واستمر أبو محمد أثناء تواجده بالقلعة في جمع الكتب الإباضية وشرائها، ثم أرسلها إلى أصحابه من الإباضية، إلا أنها سرقت في الطريق، وكان قد هم بشراء كتب أخرى وإرسالها إلى أن بلغه أصحابه بما حل بالكتب، وأشاروا عليه بأن يطلب من السلطان مساعدته في استرجاعها، فامتنع واشترى كتباً أخرى وسار بها إلى وغلانة ثم إلى تنوال⁴.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص330.

² نفسه، ج1، ص386.

³ نفسه، ج1، ص397-398.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص470-473.

وقد ألهم الحضور الإباضي في واحات المغرب الأوسط الشيخ أبو اليقظان إبراهيم الذي عثرنا على مخطوط له جمع فيه سير الإباضية والإشارات الدالة على أن إقليم أسوف قد عرف وجوداً لأنصار المذهب الإباضي، وحمل مخطوطه عنوان: هل للإباضية في الزمن القديم وجود في سوف؟¹

ثانياً: الوعظ. والإرشاد أثناء الرحلات.

كثيراً ما صبغت الرحلات العلمية بعظات ألقاها المشايخ على مسامع طلبة العلم، رغبة منهم في شد عضدهم وتنوير فكرهم وتشجيعهم على العلم، وبذل قصارى جهدهم في تحصيله، ويعكس هذا الأخوة التي جمعت بين أتباع المذهب، واستحواذ فكرة طلب العلم عليهم، وفي هذا السياق، نذكر عظة الشيخ أبي صالح يعلو بن صالح الأريغي (ت: 513هـ/1124م) لوفد من العزابة من الجريد أو جربة استبدّ بهم الغضب من شيخ أصابته شبهة في آرائه فعانقهم وأرشدهم فقال " طريق الغضب في مثل هذا قد اندرس، وطريق ديننا بين قد حُفر إلى الركبة، لا يخرج منها إلا مضمّر القفرة "².

وكذلك ذكر أبو عبد الله محمد بن بكر فيما رواه الوسياني من أنّ العزاب كانوا في رحلة طلب علم بإفريقية وحبسهم سيل بين حيين، فقعدوا يستغفرون الله ويسبحون ويُجرون المسائل حتى نطق أحدهم مسترسلاً في ذكر موعظة فقال " الضحك الذي أحب الله ثلاثة، والذي كره ثلاثة، يحب ضحك الرجل في وجه مديانه، وضحك الرجل في جنازته، وضحك المرأة في وجه زوجها، ويكره ضحك المرأة في غير وجه زوجها، ويكره ضحك الرجل في جنازة غيره، وضحك الرجل في مجالس الذكر "³.

¹ أنظر الملحق: 08

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص443-444.

³ نفسه، ج1، ص364-365.

وكان الشيخ ماكسن بن الخير الوسياني في طريقه إلى جربة للدراسة، فمر على الشيخ أبي محمد عبد الله بن مانوج الجربي (ق:5هـ/11م) فاستشاره فيما يبتدأ في طلب العلم أبالقراءة أو الكلام أو الفروع؟، فأشار إليه "يا بني أقرأ كليهما، رأييت إن كان ذهني يقصر عن ذلك فقال: فدينك إذا يا بني يشير إلى علم الفروع والله أعلم"¹.

وكان الشيخ أبو عمرو عثمان السوفي عازما على السفر إلى طرابلس، فأراد المشايخ نصحه قبل رحلته هذه، فقال له الشيخ أبو عيسى موسى بن الشيخ² "الوطوطة والعلم لا يجتمعان يا عثمان" وقال له أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت471هـ أو بعد 474هـ/1078-1081م) "الحجر المتقلب الملوب لا يُنبت شيئا" ثم أوصوه بأخذ العلم من كُتب أهل الدعوة، والابتعاد عن كتب أهل الخلاف³.

وقرر جماعة من مشايخ العزابة كانوا بتمولست الطلوع إلى جبل دمر لدراسة الكتب، فلم يعجب ذلك الشيخ أبا الربيع سليمان، ولا الشيخ أبا زكريا يحيى اللذين نصحوهم بقولهما: "اعلموا أن سوء الرأي إنما يخرج منه من دخله بالرجوع على أثره، لا بالتمادي فيه" ونصحهم آخرون "إن مضيتم إلى أهاليكم على هذه الحالة فأنتم كمن ترك الإسلام عمدا" ولا يظهر أن المشايخ أرادوا تثبيط عزيمةهم على رحلتهم المنشودة، وإنما الظاهر أنهم خافوا مما فيها من فتن قد تصيبهم على ما سينتفعون به من علم، وربما كانت الفتنة التي خاف المشايخ منها فتنة العوام من الناس الذين قد يؤثرون عليهم إن اجتمعوا وانفردوا بهم، وهو ما تظهره نصيحة أبي زكرياء يحيى لهم "إياكم وقبول صنائع الناس وهداياهم وجميلهم فإنه قيل: كن عبد الله ولا تكن عبد الناس" وأراد أبو زكرياء حفر هذه النصيحة في أذهانهم وتعليق قلوبهم بها فأنشد شعرا من بحر الطويل:

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص402.

² لم نتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص691.

وَلَسْتُ وَإِنْ قَرَبْتُ يَوْمًا بِبَائِعٍ لِدِينِي وَأَخْلَاقِي رَجَاءَ التَّقَرُّبِ

ويعتاده قَوْمٌ لِقَوْمٍ تِجَارَةً ويمنعني مِنْ ذَلِكَ دِينِي ومنصبي¹.

وفي السياق ذاته حذر المشايخ طلبتهم القاصدين للعلم من قراءة كتب الخلاف، فكان أبو محمد عبد الله بن مياي اللواتي البرقاوي (ق:5هـ/11م) يُحذر من كثرة القراءة في كُتب الخلاف، وقد استشهد في هذا بمسألة السخط والرضا التي أثارت جدلا بين الإباضية بسبب كتاب أحمد بن الحسن الضليل² وأحدثت فيهم شرخا وخلافا، وواصل الشيخ سرد أمثلة من كتب أهل الخلاف أثارت شقاقا بين مشايخ المذهب³، وحدّث أبو محمد عبد الله بن مياي أيضا بأن الشيخ حمو بن سعادة الوسلاتي المزاتي⁴ (ق:5هـ/11م) مرّ عليهم قادما من وارجلان، وأشار لهم بأنه استفاد ثلاث عظات من الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر تتعلق بالتسابق إلى الخيرات والاشتراك في فعل الخير، وما يكون في ذلك من أجر وثواب⁵.

وفي معرض رحلة الشيخ ماكس بن الخير الوسياني القيرواني (ت:491هـ/1097م) إلى طرابلس قاصدا أبا عبد الله محمد بن بكر الفرستائي بعد أن التقى به في أسوف، فاستغل الشيخ أبو عبد الله الفرصة للشد على عضد أخيه بنصحه فقال له: "من حكم على نفسه كما يحكم على غيره فقد عدل ومن أعطى من نفسه مثل الذي يريد لها فقد أنصف لأخيك عليك مثل الذي لك عليه"⁶.

وعن مجموعة من طلبة الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف القابسي، كانوا في رحلة طلب علم في طرابلس عائدين إلى ديارهم، فمرّوا على أريغ فقصدوا وغلانة عند الشيخ فلفول

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص372.

² لم نتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص476-477.

⁴ أورده صاحب المعلقات ضمن حكايات الزاب، وروى به مواظ وحكم. ينظر: مجهول: المعلقات، ص151.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص408.

⁶ نفسه، ج3، ص831-832.

بن يحيى الذي أفادهم بحكم ومواعظ، وكان يستشهد بشعر علي بن أبي طالب ومن قول الرّجز ومن ذلك:

إِذَا رَأَيْتَ طَلَعًا فِي الْهَامَةِ وَحَدَبًا بَعْدَ انْتِصَابِ الْقَامَةِ

وَصَارَ شَعْرُ الرَّأْسِ كَالْغَثَامَةِ فَايُسُّ مِنَ الصِّحَةِ وَالسَّلَامَةِ¹

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، ص272-373.

المبحث الثاني: المراسلات العلمية

كانت المراسلات من بين أهم صور التواصل التي جمعت بين الفقهاء والعلماء، وقد تعددت أسباب هذه المراسلات وأغراضها وحيثياتها، وكذا السياقات التاريخية التي جرت فيها، وإن كانت طرق ووسائل نقل هذه الرسائل غير واضحة، إذ لم نقف على تنظيم محدد يتولى نقل هذه الرسائل وحفظها والحرص على بلوغها لأصحابها، غير أننا نذهب إلى أنّ النشاط البشري الكبير الذي عرفه مجال الإباضية في المغربين الأوسط والأدنى، قد سهل من مهمة نقل هذه الرسائل التي ربما يُؤكَّلُ به الإباضية الزائرون لإخوانهم، أو الطلبة القاصدون المشايخ للتعليم أو العائدين إلى أوطانهم بتبليغها، لذلك كان على العموم أمر إرسال هذه الرسائل يسيرا وسريعا، وكذلك الأمر بالنسبة للرد عليها، ونورد هنا أمثلة عن المراسلات التي تم تبادلها لأغراض متعدّدة.

في عهد الدولة الرستمية روي أن امرأة من تيهرت كتبت إلى أخت لها بجبل نفوسة رسالة تنصح فيها بقولها: "أختاه لا يأكل خير ما في بيتك إلا بعك، ولا تصلين في بيت غيرك، ولا تكشفين عن رأسك في بيت غير، ولو كان صاحبه بالعراق، ولا تجعلين مدرتك في الأندر حتى يجعلها غيرك"¹.

وتعد الأغراض العلمية من بين أهم دوافع المراسلة كطلب رأي علمي أو فتوى أو غيرهما، ودُكرَ في هذا أنّ أبا عمران موسى بن أبي زكرياء التجديتي (حي في: 405هـ/1014م) قد ضاق بمسألة الحارث وعبد الرزاق التي وقع فيها اختلاف كبير، ما جعل عبد الله المدوني الوارجلاني (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) يمتنع عن مناقشتها لأن المفسدة المترتبة عن الأخذ والرد فيها أكبر من نفعها، وقد استحسن يوسف بن نفاث القنطاري النفوسي رأي أبي عمران وأيده، ثم عقد مجلسا للعزابة ضم مشايخ من مختلف المناطق، وكان فيهم الشيخ يوسف بن سهلون الوارجلاني الذي كتب إلى الشيخ أبي عبد الله

¹ مجهول، المعلقات، ص283-284.

محمد بن بكر الفرستائي يطلب رأيه في المسألة، فرد الشيخ في رسالة إلى يوسف قال فيها " وأما رجل لم يبلغك صلاحه إلا مقرونا بحدته فليس منه شيء والسلام ¹ وهكذا فإنه ورغم عقد مجالس لتباحث مسائل الخلاف؛ إلا أن مراسلة كبار المشايخ لطلب رأيهم تبقى وصلة هامة لتتوير الآراء وتقريب وجهات النظر.

وكتب أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت 471 أو بعد 474هـ / 1078 أو بعد 1081م) إلى أبي نوح محمد² يطلب رأيه في مسألتين إحداهما في مسألة خلع الفضول هل ينعقد؟ وتفصيل المسألة في رجل يقول لآخر " قد رددت لك ما لامرأتك عليك في وجه الطلاق، فيقول قبلت ³ ويبلغ هذا القول المرأة فترضى به فأجاب أبو نوح في رده على هذه الرسالة بأن لا شيء في ذلك، والمسألة الثانية: الوالد والوالدة والزوجة والزوج هل يجوز لكل منهم أن يحوز مال الآخر أم لا؟ فأجاب بجواز ذلك للأب والزوجة، ولا يجوز ذلك للابن والزوج، وقد فصل أبو نوح في رده على رسالة أبي زكرياء بتبيان أصل حكمه بالاستشهاد بأقوال الفقهاء وسيرة الصحابة⁴، وذلك لإثبات الأمانة العلمية، وهو دأب أبي يوسف يعقوب بن سهلون الورجلاني (ط9: 400-450/1009-1058) الذي كان يُجيب على مسائل الفقه والمواعظ التي يُسأل عنها من قبل أهل جبل نفوسة، فيرسل لهم بالأجوبة مقيدة بأقوال العلماء⁵.

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص391.

² لم نستطع التعرف به انطلاقاً من المصادر التي بين أيدينا.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص 449-450.

⁴ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص 449-450. الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص 410-411. أورد الوسياني

أن الورجلاني أرسل سؤاله إلى محمد عبد الله بن ناصر.

⁵ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص 498.

ذَكَرَ عبد السلام بن عبد الكريم المزاتي¹ (بين ق: 5-6هـ/11-12م) أنه قدم إلى حلقة علم يظهر أنها في أريغ، فسأله يوسف بن أبي حسان عن ثلاث مسائل فلم يستطع الإجابة عنها فعكف على التعلم، وربما أراد أبو عبد الله محمد بن بكر إفادته ودعمه علميا، فأرسل له كتابا فيه أخبار أهل الدعوة كلهم، وصفه الشيخ عبد السلام بأنه أحسن كتاب قرأه². وما يظهر دعم المشايخ للحركة العلمية، ما ذُكِرَ أن سبب وضع الكتاب المسمى بأبي مسألة من قبل أبي العباس أحمد بن محمد كان مراسلة من أبي عبد الله محمد بن سليمان النفوسي³(النصف الأول من ق: 5هـ/11م) قال له فيه " أكتب لنا شيئا من هذه المسائل " فكان ذلك دافعا لأبي العباس لوضع كتابين سميا بجامع أبي العباس⁴.

ولم تكن الرسائل المكتوبة وسيلة المشايخ الوحيدة في تبليغ الانشغالات فأحيانا يقومون بإرسال من تُوَكِّلَ له مهمة تبليغ ما أرادوا، وفي ذلك ما ذكره أبو الربيع سليمان بن يخلف القابسي أنه سار من تين سلي إلى وارجلان مع أبي عبد الله محمد بن بكر، فحمله بأن يسأل عبد الله بن زورزن⁵ (ق: 5هـ/11م) عن رجل رعى ماشية بأجر لرجل آخر، فعلم بأن الغنم أو ما يرعى به هو حرام، وما إن وصل أبو الربيع وارجلان حتى سأله فأجابه " أولا يذكر محمد وقت أفتاها لنا أبو صالح في دفء سدره حين قال: إذا تبين له أنها حرام تركها ويمضي في شأنه "6.

¹ فقيه من مزاتة كان تعليمه في وارجلان على يد عيسى بن أحمد. ينظر: الدرجيني: طبقات المشايخ، ج2، ص508. الشماخي: كتاب السير، ج2، ص653.

² الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص509.

³ من علماء أبيدلان بجبل نفوسة، رجل من أبيدلان إلى وارجلان، من أجل التعلم على علمائها بتوجيه من أبي عبد الله محمد بن بكر (ت: 440هـ/1049م)، فأخذ من علمائها مختلف العلوم، وهو من طلب من أبي العباس حمد تأليف كتابه المعروف بـ "أبي مسألة ". ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص378.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص373.

⁵ يورده صاحب المعلقات في حكايات درجين، وكثيرا ما كان يتواجد في وارجلان، ويظهر أن له مكانة علمية كبيرة، لأنه كان مقصدا للفتوى. ينظر: مجهول: المعلقات، ص193.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص863-864.

وأخبر يعقوب بن أبي القاسم الوليلي الأريغي (ق:5هـ/11م) أن أبا عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي وجّه له ذات يوم رسولا فوجده في الجنان، فأخبره بأنه مبعوث إليه في قصة يسجا بن منصور¹ الذي رأى أبا عبد الله ممسكا سكيناً فسأله عن سبب إمساكه به ما حز في نفسه، فبعث إليك أبو عبد الله يسألك إن كنت ترى أنه يُخشى منه؟ فأجاب يعقوب الرسول قائلا " إذا بث الرجل ما يَهْمُهُ إلى حبيبهِ طرح في نفسه شطره "² ويفهم من حديث أبي يعقوب، أنا أبا عبد الله لم يقصد السؤال في حد ذاته، وإنما قصد أن ينفس عن قلبه ما نزل به من هم بسبب سؤال الرجل له وخشيته منه.

ومن المسائل التي احتوتها الرسائل النصائح، فكثيرا ما أرسل المشايخ بنصائحهم إلى إخوانهم في مختلف جوانب الحياة، ومن ذلك الكتاب الذي كتبه طلبة مزاتيون بقسطيلية إلى أبي القاسم يونس الأريغي (ق:5هـ/11م) جاء فيه " أما بعد فاجعلوا حوائجكم بكريات وإذا وجدتم ما ترعون فارعوا رعي النهماء من الغنم، ولا تمجدوه من الريان الماء " واحتوت الرسالة أيضا على كثير من الكلام هدفه التحفيز على القراءة والاجتهاد في طلب العلم³.

وكتب أبو عبد الله محمد بن بكر إلى أبي موسى هارون الوسياني الحامي (بين ق4-5هـ/11-12م) ينهاه عن السفر إلى غانة، وأن أهل دعوته أحوج ما يكون إلى علمه وفقهه، وأن ذلك فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، فرد عليه أبو هارون يخبره بإصراره على السفر ويذكره بمنافع السفر وخيره الكثير، ولم يغن رد أبي موسى أبا عبد الله عن تكرار طلبه في رساله أخرى، إلا أنه أصر وسافر إلى غانة التي توفي بها⁴، وكتب أبو عبد الله ناصحا أبا

¹ لم نتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

² الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص797-798.

³ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص440.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص566-567.

ميدول الزنزفي برسالة فيه " مد اليد بما أمكنك، مدّ اليد بما أمكنك " وكررها ثلاثا فأمر أحد العزاب أن ينسخها في كتاب فكتبها له¹.

أرسل أبو عبد الله محمد بن بكر عزابين بقرطاس إلى أبي يعقوب يوسف بن نفاث النفوسي² (11/هـ/11م) عندما سمع بأنه راحل إلى وارجلان يعرفه فيه بما حدث له في تلك الناحية، وما إن قرأه حتى التفت جانبا ولم يبال³ وكان أهل سدراته قد اختلفوا مع أبي عبد الله حين زارهم ما دفعه إلى الخروج منها غاضبا. فكتب إليه شعرا من بحر الكامل فيه جاء:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ فِيكَ رَجِيَّةً تُرْجَى لِصَرْفِ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ

أَوْ فِيكَ لِلْإِخْوَانِ أَمْرٌ يُرْتَجَى فَأَرَاكَ لَا شَيْءَ مِنَ الْإِخْوَانِ

رَاحَتْ فِرَاسَتُنَا، وَخَابَ رَجَاؤُنَا شَمَّتِ الْعُدَاةُ بِنَا مَعَ الْأَقْرَانِ

فلما قرأ أبو يعقوب رسالة الفرستائي صار يردد " لا شيء مع الإخوان⁴ "

وأرسل أبو الربيع سليمان بن يخلف القابسي (ت: 471هـ/1079م) يعاتب ابنه مع العائدين إلى وارجلان فقال لهم قولوا له " إن بلغته عني هذه الخصلة التي في وارجلان فقد قطعني... ولقد طفقت في تلك النواحي عشرين سنة، فما سمعتها عن خير، ولكن أراد أن يسوغ به تخليط ... لا يرضى بتلك الأفعال من يشفق على نفسه، ودينه إلا من اتبع هواه وآثر شهواته⁵ " ويقصد بالخلصة زواج السر الذي انتشر في وارجلان في تلك الفترة، وهو ما كان محل امتعاض من المشايخ وسخطهم، وفي الموضوع ذاته أشيع عن الشيخ حمّو بن

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص825.

² من نفوسة، توفي في هجوم جيش المعز بن باديس على درجين. ينظر الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص118.

محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1056.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص559.

⁴ نفسه، ج2، ص556-557.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص319.

اللؤلؤ الوارجلاني¹ (ط9: 400-450هـ / 1009-1058م) أنه تزوج امرأة في السر، فبلغه ما يقول الناس عليه، فجمع الناس وطلب إنصاتهم ثم أخبرهم أنه بلغه ما أشيع عنه من زواجه بامرأة في السر، ثم حكم أمامهم أن من تزوج امرأة في السر بغير إذن وليها فإنه الزنا بعينه².

وسمع مشايخ تين وال من وارجلان عن الشيخ إسماعيل بن أبي زكرياء الوارجلاني (ق:5هـ/11م) أنه أكل طعام النكار بعد أن كان المشايخ قد نهوا عن ذلك من قبل فأرسلوا إليه بالهجران، وما إن بلغه الخبر حتى عزم على القدوم إليهم، فأخذ ابنه الرسن وسارا في اتجاه مسجد تاماست³، فنزل عنده، وأخذ يتوب ويتضرع ويسألهم العفو عنه، فرضوا عنه وردوه، وأنكر الشيخ ما بلغهم عنه⁴. وإن كنا غير متأكدين من الموضع الذي كان عنده عندما بلغهم أنه أكل طعام النكار، إلا أنه يظهر بجل نفوسة أو ببلاد الجريد لانتشار النكار بها.

واتخذت بعض المراسلات طابعا تحذيريا ككتب أبي القاسم يونس بن أبي زكرياء الجربي (ق:5هـ/11م) إلى أبي مكحول الزنزفي الوارجلاني (بين القرنين 4-5هـ/10-11م) "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم إلى أبي مكحول أطل الله بقاءه وأدام عليه نعماءه أما بعد فإنني سمعت أن جماعة من النكار طلوعوا قبلكم فإياكم ثم إياكم أن يردوا أرضكم ولو للضيافة، فإن القوم أذع الأمة، وأنت ممن لا يحتاج أن يوصى والسلام" ونفذ وصيته⁵.

¹ من مشايخ تين باماطوس بوارجلان. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص123.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص318-319.

³ الظاهر أنه قرب تمولست بجبل نفوسة.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص713.

⁵ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص420.

بينما عالجت رسائل أخرى شؤون اجتماعية كرسالة أهل تجديد إلى الشيخ أبي محمد جمال المدوني (ق4هـ/10م) في شأن ميراث ابنه الذي توفي وأرادوا إخلاء ذمتهم مما ترك¹. وورد ذكر رسائل أرسلت في العزاء كالرسالة التي أرسلها أهل وأرجلان في تعزية الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلق مذكرين بمناقبه، وبأنه جمع خيري الدنيا والآخرة².

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص323-324.

² نفسه، ج2، ص677.

المبحث الثالث: المناظرات العلمية والفتاوى.

أولاً: المناظرات العلمية.

إنَّ المناقشات العلمية هي وسيلة مهمة دأب عليها أهل العلم والفضل لتبادل المعارف وتتبع ومعالجة مختلف المسائل، رغبة في الاستزادة والوصول إلى الأفكار والحقائق العلمية، وبها يستقيم حال أهل المذهب، وتساهم في الجمع بين منتسبيه، والاجتماع في الحلقات إنما يراد منه توحيد الجهود، وتجميع العزائم والخبرات لتحقيق جودة أكبر للتحصيل، وتحمل المصادر الإباضية العديد من الروايات حول المناقشات العلمية التي كان روادها إباضية من المغربيين الأوسط والأدنى، شملت مختلف جوانب العلوم الفقهية والعقدية.

ومن ذلك ما بلغ عن المعز بن معلا الأريغي¹ (ق: 5هـ/11م) الذي قال: " بينما أنا نائم، إذ الناس يفيضون من ناحية المغرب، حتى ملأوا الأرض، فإذا بأهل الدعوة يقومون من منازلهم صبايات من صبايات إلى مقبرة تجديت... فإذا بينهم تشاجر وكلام بين الأكثرين والأقلين، وإذا قائلون يقولون ديننا خير، وقائلون يقولون ديننا خير" واتفق المدعون على التحكيم بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهبوا حيث اتفقوا وحكم بينهم فانفضوا².

واجتمع شيوخ علم من بينهم أبو محمد عبد الله بن الأمير اللماي (ط9: 400-450هـ/1009-1058م)، وأبو محمد وارسفلاس النفوسي (ق: 5هـ/11م) الذي يُعد من العلماء الكبار، وكان أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي إذا سُئل في مسألة من مسائل الفقه ردها إلى عبد الله بن الأمير الذي كان لا يجيب على أكثرها، فاقترح الشيخ وارسفلاس

¹ من علماء أريغ، وكان من الصالحين له أخبار في السير. مجهول: المعلقات، ص308.

² نفسه، ص308-309.

على الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر طالبا منه التوقف عن استشارة الشيخ أبي محمد والإجابة عن المسائل بنفسه¹.

ودخل أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي عند الشيخ أبي عبد الله محمد السدراتي (ط9: 400-450هـ/1009-1058م)، الذي كان قد ولاه أهل وارجلان شؤونهم ثم تتحى عنها ولزم بيته، ويبدو أن ذلك لم يعجب أبا عبد الله محمد بن بكر، فدخل معه في نقاش حول جواز تخليه عن إدارة شؤون الناس من عدمه، فبادر السدراتي بالكلام متسائلا إن كان أهل الدعوة يرون بأن خير الرعاية من يساوي بين القوي والضعيف، ثم أردف إليه يريد تذكيره بأن أهل الدعوة يرون أن اصطحاب الناس على المكروهات واجب خوفا من تفرقهم، فسألهم أبو عبد الله محمد بن بكر فيم يكون هذا الاصطحاب أفي أمور الدين أم الدنيا؟ فرد بأنه يكون في أمور الدنيا، وبأن علمه انتهى هنا ولا يعرف قولاً آخر، فأجاب أبو عبد الله محمد بن بكر بأن هذا الاصطحاب يكون في أمور الدنيا من نزول للمسافرين والارتحال وحسن المعاشرة ونبذ الاختلاف، وأما أمور الدين فلا، وما دمت شيخا لازما المنزل فذلك يجعلك في خوف أن يدخل عليك الناس فيقولون عليك ما لم تقل².

وكان أبو جعفر أحمد بن خيران الحامي³ (ق5هـ/11م) مجتمعا في مجلس مع أبي نوح سعيد بن زنگيل الوسياني، فتداولوا مسألة وهي امرأة غير حرة كانت تصلي مكشوفة الرأس فأعتقها سيدها وهي في حال صلاتها، فاختلغا بين من قال بأن عليها إعادة الصلاة، وبين من رأى بأنه ليس عليها إعادة الصلاة، وبينما هما في هذا النقاش حتى دخل عليهما الشيخ أبو عمران موسى بن أبي زكرياء التجديتي (حي في: 405هـ/1014م) فاستبشرا بقدومه

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص257-258.

² نفسه، ص259-260.

³ من علماء الإباضية أورده الدرجيني ضمن الطبقة التاسعة وهو معاصر للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، وله روايات معه. ينظر: الدرجيني: طبقات المشايخ، ج2، ص403.

وأشركاه في مسألة نقاشهما، فرأى بما ذهب إليه أحدهما¹، وزار أبو عمران أيضا الشيخ أبا محمد عبد الله بن مانوج اللمائي وتذاكر معه أنواعا كثيرة من الفوائد العلمية في مسائل الطهارة وأموال الناس، وكذا مشاكل المجتمع الإباضي وما آلت إليه أوضاعه².

ذكر أن جماعة من المشايخ منهم الشيخ أبو محمد جمال المدوني³ (حي بعد: 354هـ/967م) كانوا مرتحلين إلى طرابلس بحرا فنزلوا بجزيرة جربة، وحضروا مجلس علم بها شارك فيه فقهاء أهل الجزيرة مثل أبي مسور، وتذاكروا في مسائل الطهارة حيث طرحوا مسألة طهارة الملابس المصنوعة من نبات الأرض هل يطهرها ما يطهر الأرض والنبات، أم يطهرها الماء كسائر الملابس، واختلفوا في هذه المسألة فمالوا إلى أن طهورها من الماء، إلا أبا محمد جمال الذي قال بأن حكمها حكم الأرض والنبات فطهارتها من الشمس والرياح، وأصر على رأيه حتى قال فيه أبو مسور "كفوا عنه فإن العالم كالأجلد إذا حلق ضرب"⁴.

واختلف أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي مع أبي يعقوب يوسف بن سهلون الوارجلاني (ط: 9: 400-450/1009-1058) في مسألة وهي رجل يقول لآخر تظهر عليه الأعمال الصالحة أنه مسلم عنده عند الله، أو مسلم عند الله عنده، فقال أبو عبد الله يجوز القول: مسلم عندي عند الله، وأما مسلم عند الله عندي فلا تجوز، أما أبو يعقوب فرأى بجواز القولين سواء قدّم أو أخر لأنه إذا قيل: عند الله عندي، فالمعنى يعلم الله أنه بالنسبة لي كذلك، ولما كان في صدد تشييع ضيوفه قال له بعضهم: ارجع، ربما يقصدون توبته من

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 301-302.

² الدرجيني، طبقات المشايخ، ج 2، ص 402.

³ من علماء الإباضية ذوو الثروة والكرم، أرسله أبو الخزر يغلى إلى وارجلان وطلب منه استتفار أهلها للنهوض معه في ثورته، إلا أن أبا خزر خسر المعركة قبل وصول المدد، ويعرف على أبي محمد حنكته وحبه للإصلاح شهد له الشيخ أبو مسور بالعلم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج 2، ص 114.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج 2، ص 348.

قوله، فسكت ثم قال: يقال انظر في الرجوع، ونراه يقصد أن يعيد دراسة المسألة والتمحيص فيها¹.

وفي مسائل ما يتداوله المشايخ وما يناقشونه تحدث أبو عبد الله محمد بن الخير الأريغي (ط: 10: 450-500 هـ / 1058-1106م) مع أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي حول ما يجري بينهما من المسائل، وحدود الأخذ به ورده ومناقشته، فرأى محمد بن الخير بأن ما يرد إليه من أجوبة أبي عبد الله محمد بن بكر يعلم أنها الحق، إلا أن الفرستائي طلب من المشايخ أن يردوا ما يصلهم من قوله إلى عين الشمس فيوزن بميزان الشرع، فما كان منه الحق فيأخذون به ويدعون له، وذلك للاحتياط من الوقوع في الخطأ في حدود الله، خاصة مسائل التوحيد، والأصول، والديانات، ومختلف شؤون الشريعة².

وكان أبو العباس أحمد بن محمد (ق: 5هـ/11م) عند الشيخ سعد بن يفاو النفوسي فجرت بينهم مسألة ذبيحة الأقف³ أتوكل أم لا؟ فذهب أبو العباس إلى أن المسألة فيها قولان، وذهب عبد الله بن عيسى الوسياني (ق: 5هـ/11م) إلى أنها تؤكل ثم مضى، وعكف أبو العباس بعدها على القراءة أربعة أشهر، لم يذق فيها النوم ونظر خلالها فيما جاء من كتب المشرق وعدها بثلاثين ألف كتاب، ويظهر أن أبا العباس إنما أراد أن يقوي من علمه وفهمه في مختلف المسائل بعد هذه المسألة⁴.

وبمناسبة وقوف العزاب عند خشبة لأبي العباس أحمد في تين وال كان قد غرس له فيها بنو مغراوة ألف وخمسمائة فسيلة، فأرادوا أن يجروا عندها مسائل تحفظ لهذا الموضع، وهذه المسائل هي: رجل مس في الحيض، ورجل طلق في الحيض، ورجل دخل البيوت

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص894-896.

² نفسه، ج2، ص522.

³ غير المختنين. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص290.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص725-726.

بغير إذن، فرأى أن فاعلهن إنما أتى ذنباً، وهلاك المذنب الذي مس في الحيض، والذي دخل البيوت بغير إذن¹.

وعن أبي عمر عثمان بن خليفة السوفي أن عالمين هما ابن الفراء وابن عليّة خالفا المذهب في بعض المسائل، ما جعل المشايخ يتبرأون من حكمهما، وكان الشيخ أبو زكرياء الوارجلاني إذا ذكرا له قال " إنا لله وإنا إليه راجعون مما أصابهما من كثرة علمهما " وبذلك يكون العلماء قد تبرؤوا منهما ومن جدالهما، إلا أنهم حفظوا لهم ما لهم من علم وفقه، وذكر أن ابن الفراء تاب بعد ذلك ورجع إلى أهل المذهب².

عن الشيخ أبي محمد ويسلان بن أبي صالح اليراسني الجربي (ت431هـ/1039م) أنه قال في الحامل المفتدية أن لها النفقة ولو لم تشتترطها، إلا أنه بلغه عن أبي سليمان داود بن يوسف الوارجلاني (ت:462هـ/1069م) رحمه الله قوله: بأن ليس لها نفقة إن لم تشتترطها فصار أبو محمد يقول: " هذا من يفهم المسائل " ومن ذلك صار أبو سليمان إذا جازت عليه هذه المسألة يذكر أبا محمد³.

اختلف الشيخ ماكسن بن الخير الوسياني (ت:491هـ/1097م) مع العزاب في مسألتين:

المسألة الأولى: رجل أمّ صاحبه فدخل رجل ثالث، فقال العزاب في المسألة أنه إن كان في الصحراء فإنه يدفع الإمام إلى الأمام، وأما في المسجد فيدفع المأموم إلى الخلف، وقال الشيخ أبو محمد عبد الله بن مانوج بأنه يدفعه أمامه في المسجد لأنه لا يقف في موضع إمام جماعة، وأنه يحبذ للمأموم أن يكون وراءه.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص696.

² الشماخي، كتاب السير، ج2، ص415-416.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص313.

أما المسألة الثانية: فتتعلق بالطهارة، إذ قال العزاب أن كل ما كان لونه أحمر فإن القاعدة تقول بأنه دم نجس، غير أن الشيخ ذهب إلى أن القاعدة في الحمرة الطهارة لأن الحمرة من القوة، واللك، والبقم، وهي نباتات طاهرة¹.

واختلف عزابة بآجلو من الذين جاء بهم أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، وكان بينهم أولاد أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور الجربي، يونس، وزكرياء، والشيخ أبو بكر بن يحيى الزواغي، وعبد السلام بن أبي وزجون النفوسي (ط9: 400-450هـ/1009-1058م)، إذ قالوا: أن كل ما رأوا في هذه الديار بأنهم على التوحيد، وأجاب آخرون بقولهم: بأنهم لا يشهدون على من رأوا في هذه الديار بالتوحيد، إلا بما شهد عليه الأمانة بها، وأردفوا أن من رمى أحدا بالشرك فلا يؤخذ إن ادعى هو غير ما قال، أما إذا كان الرامي بالشرك والمرمي به من أهل الدعوة فإنهما يؤخذان بما شهدا²، ثم اتفقوا أن يجيبوا بإشراك الرامي بالشرك في اليوم الموالي، وعند حلول صباح اليوم الموالي سأل سائل حضر النقاش الذي تم بالأمس ونتيجته السؤال نفسه، فأجاب الجميع أن الرامي بالشرك للموحد هو مشرك عند أهل المذهب، إلا واحدا خالفهم وأجاب بأنه منافق، وروي عن الشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي (ق:6هـ/12) أنه فصل في هذه المسألة وقال: أن من ادعى التأويل كان منافقا كقول الصفرية، وإن لم يدع التأويل كان مشركا، وربما يقصد بالتأويل أن يكون لم يقصد بالشرك ما يتعارف عليه من إخراج للملة، وإنما كوصف فقط³.

دخل الشيخ داوود بن زيدون⁴ قسطنطينية توزر، فقدم إليه رجل وسأله كيف يعرف ربه؟ فأجابه بأنه يعرفه بالدلائل والبراهين والعلامات، فسأله: كيف يعرف الدلائل والبراهين؟

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص388.

² نفسه، ج2، ص581-582.

³ نفسه، ج1، ص437-438.

⁴ لم نستطع التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

فأجابه: بأنه يعرفها باليمن والتوفيق، وطلب جمع يظهر أنهم من غير الإباضية من السائل أن يطلب من داوود الأخذ بمذهبهم، فرفض أن يطلب منه لما رآه من ورعه وعلمه¹.

وجرت مسألة بين أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المزاتي التجديتي² (ق: 5/11م) والعزاب في جبل نفوسة، وهي إن كان يعرف اليهود ربهم أم لا؟ فكان قول أبي يعقوب أنهم لا يعرفون ربهم وأنهم منكرون له، وقال العزاب: بل يعرفون ربهم وبأنهم أغلظوا عليه حتى جافاهم، وحينها جاء الشيخ وارسفلاس بن مهدي النفوسي، ومعه حلقة العلمية وسأله العزاب عن المسألة وألحا عليه في الجواب، إلا أنه صمت غاضبا لما بلغه من إعابتهم لقول أبي يعقوب وتجاوزهم لقوله، ثم أجاب بأن اليهود لا يعرفون ربهم³.

كان أبو الربيع سليمان بن يخلف القابسي في مسجد الشيخ يكنول بن الطويل⁴ (ق: 5/11م) في تاماست⁵ يجري المسائل بين العزاب، حتى وصلوا إلى مسألة قال فيها الشيخ عبد السلام بن أبي وزجون النفوسي بأنه ليس عليهم من معرفة آدم عليه السلام، فقام أبو الربيع وقطع الوادي إلى الشيخ مزين بن عبد الله الوسياني الوارجلاني⁶ (ق: 5/11م)، فسأل في مجلسه عن حكم الجهل بآدم فقبل له بأن من جهله فقد أشرك⁷.

اجتمعت بوارجلان بالمسجد الكبير جماعة من الإباضية بينهم أبو عبد الله محمد بن بكر، وأبو عبد الله محمد بن سودرين⁸ (ط: 9: 400-450هـ / 1009-1058م)، وعبد الله

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص585.

² من علماء تجديد بأريغ المعجم، له فتاوى وحكم ومواظ، عرف بعلمه الواسع وورعه. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص494.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص624.

⁴ يعرف أيضا بيكدول عاش خلال القرن الخامس هجري وله مسجد بتملوست. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1057.

⁵ منطقة يظهر أنها تقع بين أريغ ووارجلان. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص213.

⁶ من بني وسين بوارجلان. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص414.

⁷ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص733-734.

⁸ من مشايخ كنومة، ببلاد تقيوس بالجريد. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص381.

واختلف الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي(ت:440هـ/1049م)، وأبو يعقوب يوسف بن سهلون الوارجلاني في مسألة رجل سمع بأن من عمل عملاً صالحاً فله قدر معين من الثواب، ثم زاد على كيفية العمل، فقال أبو عبد الله بأنه لم يعمل لأنه خالف كيفية العمل وله الأجر لكن غير الذي ذُكر في الوصف، أما أبو يعقوب فرأى أن له أجر العمل كما تم وصفه، وله أجر ما زاد عن الكيفية المطلوبة، مستدلاً بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْهُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ غَنِياً﴾

³ نفسه، ج 2، ص 879.

ع ع ع¹ وإنما الاختلاف في النوافل، والاختلاف في الزيادة على الفريضة كالزيادة على قراءة الفرض والولاية، وذهب أبو يعقوب إلى أن الثواب كامل، وما زاد على العمل إنما هو نفل كسائر الطاعات².

واجتمع العزاب بتجديت فأجروا بينهم ثلاثمائة مسألة من مسائل الرخص وهؤلاء العزاب هم: أبو يعقوب يوسف بن نفاث النفوسي وأبو يعقوب يوسف بن سهلون الوارجلاني، وأبو سليمان داود بن أبي يوسف إلياس اليرتاجني الوارجلاني، وأبو نوح سعيد بن يخلف المدوني، ومن بين هذه المسائل:

المسألة الأولى: عرجون النخلة جائز الإنفاق عليه للأجير، ولا يلزم صاحب النخلة زكاته

المسألة الثانية: المرأة إذا قعدت على أولادها اليتامى أن يجرى حلها فيما لهم ولها أن يتم دفع الدين الذي لهم لها، والزكاة أيضا وإن لم تكن مستخلفة عليهم.

المسألة الثالثة: أن الشريك في حل في المشترك معه.

المسألة الرابعة: الرجل الذي لا يعرف مذهبه لكنه مستأمن يمكن أن يكون إماما أو خليفة لليتامى³.

ذكر أن المشايخ اجتمعوا فتناقشوا في مسألة الحياة واختاروا قولاً واحداً اعتمدوا عليه وذلك لكثرة اختلاف العلماء في أمر الحياة، وذهب بعضهم إلى أن بلاد أريغ بلاد عافية وليس فيها غصب، مما جعل الناس يأتونها من كل صوب من مشارق الأرض ومغاربها، واتفقوا في رأيهم مجمعين على أن الحياة ثلاث سنين في أريغ، شرط أن يستمر ما وصفت عليه من العافية والأمن، ثم شرحوا كيفية تمام الحياة وهي أن من عرف أن ما في يده شيء

¹ التوبة: آية 120.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص554.

³ مجهول، المعلقات، ص195-196. الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص557-558.

من الأرض، وأيضاً ما اتصل بها، ثم بعد ذلك دخلها فصار يُعمر الأرض، ويزرع وينفع ويبني ما يحتاج البناء، ويهدم ما يحتاج الهدم ويحترق، ثم استمروا في ذكر شروط الحياة وأركانها وما يتصل بها¹.

عن أبي محمد عبد الله بن ناصر البرقاوي (ق: 5/11م) أنه كان في آجلو وصادف عزابيا يقرأ كتاب آثار الربيع بن ضمام² عن أبي الشعثاء جابر بن زيد رواية أبي صفرة عبد الملك³ (ق: 2/8م) بن صفرة، فانضم إليه وصار يفسر ما يقول⁴.

وبمناسبة زيارة الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء التجديتي (حي في: 405/4م) إلى الشيخ أبي محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الجربي متذاكرين فوائد عديدة ضمت مختلف صنوف العلم، حتى وصلوا إلى مسائل زمانهم فذموا ما صار الناس إليه من ضيق الحال، وذهب أحدهما أن أكثر ما عاش عليه الناس في وقتهم، هو حمل الأشياء على أكثر من وجهها، وذهب الآخر أن ذلك إنما يترتب على أحوال الطهارة والنجاسة، ولا يترتب على أموال الناس⁵.

ذكر أن أبا عمران موسى بن زكرياء التجديتي ضاق بمسألة الحارث وعبد الجبار التي كان فيها اختلاف فرأى فيها عبد الله المدوني الوارجلاني⁶ (ط: 9: 400-450/4م) بالوقوف وهو الامتناع عن مناقشتها لأن مفسدة مناقشة هذه المسألة أكبر من منفعتها فاختلفا حولها، ثم ورد عليهم يوسف بن نفاث النفوسي فسألاه عنها

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص462.

² أحد رواة الحديث عند الإباضية له مخطوط بعنوان آثار الربيع بن ضمام فقد، ويُعتقد أنه جوابات الإمام جابر بن زيد. ينظر: أحمد بن حمو كروم، الحديث والمحدثون عند الإباضية، محاضرة مرقونة أقيمت يوم الأربعاء 08 محرم 1429هـ - 16 / 01 / 2008 ص36.

³ فقيه إباضي من المشرق. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص953.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص394-395.

⁵ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص401.

⁶ فقيه إباضي من وارجلان، ممن يرجع إليهم في الفتوى مع الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر، والشيخ عبد الله بن زورزتن. ينظر: عمر بوعصبانة، تحقيق سير الوسياني، ج1، ص291. (هامش)

فاستحسن رأي أبي عمران، ثم عقد مجلس آخر ضم مشايخ العزابة من مختلف المناطق، وكان فيهم الشيخ يوسف بن سهلون الذي كتب إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي يطلب رأيه في المسألة، فأعاد الشيخ مكاتبة يوسف بقوله " وأما رجل لم يبلغك صلاحه إلا مقرونا بحدته فليس منه شيء والسلام " وعليه فقد كان المشايخ من بلاد المغرب الأوسط والأدنى يعقدون مجالس لتباحث مسائل الخلاف، ويكتب بعضهم بعضا طلبا لرأي حولها¹.

وكان أبو صالح تبركت الياجراني الوارجلاني (ط: 8: 350-400هـ/961-1009م) يحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، وفي أحد المجالس التي جمعته به تداول مسألة التخويف والتحذير، فذكر أبو صالح أن الجنة في آخر الزمان يكون دخولها سهلا بسيطا، ثم وضع أبو عبد الله المقصود وأشار أنه ورغم رخص دخول الجنة في آخر الزمان، إلا أن الناس لن يملكو ما يدخلهم إياها².

وزار أبو عمران موسى بن زكرياء التجديتي الشيخ أبا محمد بن مانوج اللمائي الجربي وجرى بينهما نقاش فقال أحدهما للآخر " ما عاش الناس في هذا الزمان إلا بالحملان " ورد الآخر " أتشك في؟ إنما يكون الحملان في الطهارات والنجاسات، أما أموال الناس فلا"³

وذكر أن أبا نوح سعيد بن زنغيل الوسياني تداول مع أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي ثلاث مسائل بمسجد قنطرة وهي مسألة طفل رجل مسلم بلغ الحلم ماهو الحكم فيه؟ فأجاب أنه إذا كان فيه خير كفله والده وإن لم يكن فيه خير أمسك عن ولايته، والمسألة الثانية وهي في إلزام الوهبية في معارضة النكار في مسألة الحارث وعبد الجبار أم الوقوف عنها؟ فأجاب أنه ليس عليهم معارضة النكار في هذه المسألة لأن خلافتنا معهم هو خلاف

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص391.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص311.

³ نفسه، ص285.

مع آبائهم فإن هم ساروا في طريقهم فنحن براء منهم ولا يلزمنا معارضتهم، والمسألة الثالثة في معنى الحديث الذي ورد عن رسول الله " لَمْ تُمَثَّلْ جَهَنَّمُ حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَنْزَوِي مِنْ جَوَانِبِهَا وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ أَوْ قَطْنِي قُطْنِي "¹ فأجاب أن الرواية إن صحت تحمل التأويل وليس مقصود منها قدم وإنما فيها من التأويل ما المقصود فيه أهل الشقاوة².

وتناول أبو الربيع سليمان بن يخلف القابسي مع مصالة بن يحيى الوارجلاني³ (ط10: 450-500 هـ / 1058-1106م) مسألة من منع عنه صاحب البيت أن يدخل بيته فدخله فأجاب مصالة بأنه براء منه، ورأى أبو الربيع أنه لا يجب أن نتعجل في البراءة منه، وإنما منعه الدخول كان على الإذن، فإن هو استأذن زال حكمنا عليه، واستشهد بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁴ أما إذا منعه القعود في المنزل بعد أن أذن له بالدخول، فقعد فقد هلك⁵.

وفي مجال المناقشات التي تكون الكتب موضوعها حدث بعض الطلبة النفطيين عن أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني (ق6هـ/12م) الذي كان يدرس بتونس أنهم أدركوا شيوخا يتحدثون عن طالب من وارجلان اطلعوا معه على كتاب في علوم مذهبه في شكل قصائد منظومة، فسألوه عن هذا الكتاب، فأجاب بأنه دعائم ابن النظر⁶ وبأنه كان في بلادهم قبل هذه النسخة نسخة غير محلولة، إلا أنه ومنذ أن حله ابن صاف⁷ لم يرد الكتاب بلادنا حتى

¹ الحديث مثبت في صحيح مسلم والبخاري في غير هذه الصياغة حيث روى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ، وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ) ينظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص1650 (6661). وأيضا: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ص2187. (2848).

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص232-233.

³ من علماء وارجلان الذين توجهوا إلى جربة للتعلم. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص220.

⁴ النور: آية 27.

⁵ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص361-362.

⁶ مؤلف الكتاب هو ابن النظر العماني، وهو كتاب فيه قصائد في مختلف شؤون الفقه والعقيدة. ينظر: أبي بكر أحمد بن النضر العماني، الدعائم، وزارة التراث القومي والثقافة، (د.ط) سلطنة عمان، 1988.

⁷ هو محمد بن وصاف النزوي له مخطوط بعنوان: الحل والإصابة، وهو شرح لكتاب الدعائم، مكتبة، الشيخ أحمد بن حمد الخليلي رقم: AK: 010 أنظر: الملحق: 09

جاء به الشيخ أبو موسى عيسى بن زكرياء¹ (ق: 6هـ/ 12م) وبه قصائد عجيبة في العقيدة كالرائية التي فيها الرد على القدرية².

وروي أن أبا محمد ويسلي³ الوسياني الذي كان نكاريا ورجع إلى مذهب الوهبية، سأل أبا عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي (ق/6هـ/12م) عن حديث " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " فأجابه: " إذا جاء حديث فيراد له وجوه أحدها عدالة تقليه، والثاني: اتصاله، والثالث، تواتره ومعرفة من جاء به والرابع: سبب كان عليه " وذهب إلى شرح الحديث بالعودة إلى سياق وروده، فذكر له أن رجلا تشاجر مع أخ له فحلف ألا يكلمه فخاف قطيعة الرحم، واختلف الصحابة في مدة رجوعه إلى أخيه، وكان لكل منهم رأي وحجة فجاء قول المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث سالف الذكر، وعليه فإن الأخذ برأيهم يكون في مسائل الاستنباط والرأي، وليس شرطا في مسائل الدين⁵.

وتباحث أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني⁶ (و-500هـ/1105م-ت: 570هـ/1175م) مع أبي عمار عبد الكافي مسألة أكل أموال العرب بمناسبة حلولهم بمكة، فتساءل أبو يعقوب عن حجة أكل أموال العرب والاكتراء عليهم والتزود من عندهم في مكة، والاستغناء عنها وتحريم أكلها ومعاداة من قربها إذا كانوا في بلاد المغرب، فرأى أبو عمار أن بلاد الجزيرة هي بلادهم وأن الظاهر في أموالهم بها هو الحلال، ولم يشتهر من بها بالغصب والنهب، أما في بلاد المغرب فالكثير من أقوام العرب اشتهروا بالنهب والسلب

¹ لم نتوصل على معلومات حوله غير ما ذكره الدرجيني في هذه الرواية.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص486

³ لم نتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁴ ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة. ينظر: محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثره السيء في الأمة، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، 1992، ج1، ص144-145(58)

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص607-609.

⁶ علم من أعلام الإباضية، ترك إرث كبير للمكتبة الإسلامية، ولد بسدراتة، وأخذ مبادئ العلم بوارجلان، كان زميلا ومعاصرا لأبي عمار عبد الكافي، له عدة مؤلفات منها: العدل والإنصاف، والدليل والبرهان، ومرج البحرين. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص481-482.

والقتل، وعليه فإن الاحتياط من أموال العرب ليس مردّه إلى حرمة التعامل معهم أو مقاطعتهم، وإنما الاحتياط من أكل أموال الناس بالباطل، أو المساعدة في المنكر¹.

وذكر أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي (ق: 6هـ/12م) رحمه الله أن الشيخ أبا يعقوب محمد بن يدر النفوسي² (ق: 5هـ/11م) كان قد أجاب عن مسألة، إلا أنه أخطأ في الجواب، والمسألة هي أن علينا العمل بالفرائض وليس علينا العلم بها، وكان الشيخ يزيد بن خلف الزواغي، وأبو الربيع سليمان بن يخلف القابسي بقرب المجلس، فلما سمعا منه هذا الجواب، تدخل أبو الربيع وذهب إلى أن من عمل بشيء فإنّه يلزم بالعلم به وهو مثاب عليهما، ورغم هذا التوضيح من أبي الربيع، إلا أن محمداً بن يدر لم يتراجع عن قوله، كما أنهما لم يطلبوا منه التوبة، وكان الذي ذهب إليه سليمان هو قول النكار، أما قول أبي الربيع والشيخ يزيد فهو قول الوهبية³.

ثانياً: الأسئلة الفقهية والفتاوى.

يعد طلب الفتوى أو الرأي في مختلف المسائل الفقهية والعقدية من مظاهر الاتصال العلمي والفكري، ولا يقتصر طلب الفتوى على العوام من الناس أو ذوي العلم المحدود فكثيراً ما طلب علماء كبار رأي أقرانهم في مسائل غاب عنهم حكمها، أو ساورهم شك فيها، فأرادوا الاطمئنان على ما ذهبوا إليه في شأنها، وذهب بعض العلماء أيضاً إلى إصدار آراء علمية في مواضيع محددة لكشف لبس رأوه منتشراً بين الناس، أو لتوضيح وتتنوير عقول العلماء والعامّة، خاصة في مسائل العقيدة ومفاصل المذهب الإباضي.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص683.

² من نفوسة، معاصر للشيخ أبي الربيع سليمان، سكن زمننا بالجريد. ينظر: محمد حسن: تحقيق سير الشماخي، ج3، ص1053

³ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص632-633.

في السياق ذاته نجد من الأئمة الرستميين من أصدر أحكاماً وأجاب على أسئلة كالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي كانت تستقته نفوسة في مسائل، فيرد عليها، ومن بين هذه المسائل ما ذكره صاحب المعلقات، من رسائل في عدة مسائل أرسلتها نفوسة إلى الإمام وهي:

- 1- حول طهارة نضوح رؤوس النساء هل هو طاهر أم لا.
 - 2- وفي الماء الذي يبقى في وعاء المرأة الذي استعملته في ظفر شعر رأسها.
 - 3- ومداد الصبيان.
 - 4- والدواة التي يستعملها الأطفال في الكتابة.
 - 5- والطين الذي عجنه العبيد بأرجلهم واحتوى على مواد نجسة.
- فرد الإمام عبد الوهاب على هذه الأسئلة بأن كل ما ذكروا طاهر¹.

وذكر عن أبي مرداس مصاهر النفوسي (ق: 3هـ/ 9م) أنه كان إذا قصد تيهرت يحمل معه ما يستقته فيه الإمام عبد الوهاب، فقد ذكر عن الإمام أنه ذاكر أبا مرداس في مسألة دماء الموحدين، فذكر الإمام أحد الأوجه فلم يعجب أبا مرداس رد الإمام، فأعرض عن ذكر الباقي، ثم أكمل بقية الأوجه لمن معه بعد انصراف أبي مرداس، وكانت بين أربعين وسبعين وجهاً².

وذكر عنه أنه أفتى لأهل الجبل بإسقاط صلاة الجمعة لأنهم قرى متباعدة، وجعل عليهم القطع، لأنهم من أهل الدعوة، أما أهل قنطرار وما في حوزها فقد جعل عليهم الجمعة، إلا أنه أفتى بإسقاط حد السرقة فيها، وذلك لأنهم يجاورون المخالفين، وإن كان يظهر من فحوى ما سبق أن الحكم السياسي في الأمر يتعلق بالحكم الشرعي، فما كان الإمام عبد

¹ مجهول، المعلقات، ص 300.

² الدرجيني، طبقات المشائخ، ج 2، ص 292. الوسياني، سير الوسياني، ج 1، ص 258.

الوهاب أن يقر أو يسقط حدًا أو فرضا دون بينة شرعية، فهو بذلك مستند إلى أحكام المذهب¹.

وجمع الإمام عبد الوهاب كتابًا فيه أجوبة لنوازل أرسلتها قبيلة نفوسة له تستفتيه فيها، ويظهر أن الإمام أراد حفظ هذه المسائل ورأيه حولها ولم تكتب من قبله أو من قبل تلاميذه، وهذا لرغبته في إفادة القارئ إذ أن الكتاب كان متداولًا على مدى قرون من الزمن، وهو ما نستشفه من قول ابن الصغير " كان لعبد الوهاب كتاب يعرف بمسائل نفوسة الجبل، لأن نفوسة كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها، فأجابها عن كل مسألة ممّا سألت عنه، وكان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهوراً عندهم معلوماً، يتداولونه قرناً عن قرن إلى أن لحق الفضل فأخذته من بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه "².

ويظهر أن الأسئلة التي وردت إلى الإمام كانت في شكل رسائل تم عرضها متسلسلة وابتدأت الأجوبة باسم صاحب الأسئلة على ما يظهر وهو الحجاج بن علي³ وكانت الردود بالدليل تارة، وبالاختصار تارة أخرى ويقدر عدد الرسائل بحوالي ثلاثمائة سؤال، ولا نعرف المدة التي استمرت فيها هذه الرسائل في الوصول إلى الإمام عبد الوهاب، إلا أن الأكيد أنها لم تكن دفعة واحدة لحمل بعض الرسائل إشارات حول ردود أخرى سابقة، مع الإشارة إلى أنها تمت الإجابة عن هذه المسألة في سؤال سابق⁴، وعن المحاور التي عالجتها الأسئلة فهي:

المجموعة الأولى: في العقائد والولاية والبراءة. ومن بين الأسئلة في هذه المجموعة:

1- في جواز الدعاء بالهداية لمن هو عاص لله.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص326-327.

² ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص39.

³ لم نتمكن من التعريف به انطلاقاً من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁴ عبد الوهب بن عبد الرحمن بن رستم، مسائل نفوسة، تحقيق: إبراهيم طلاي، المطبعة العربية، د.ط، الجزائر 1991،

- 2- هل يطلق على أطفال المنافقين ومن في حكمهم صفة آبائهم؟
 - 3- ما حكم من يلعب بالشطرنج والقداح؟ وهل يبرأ منه؟
 - 4- أتكون البراءة إثر المعاينة أو ثبوت الشهادة؟ أو بعد الاستتابة والتذكير.
- المجموعة الثانية: في النجاسات والتطهّر منها والطهارة. ومن بين الأسئلة في هذه المجموعة

- 1- في حكم صلاة الجنابة تصلى بثوب غير طاهر.
- 2- في حكم ماء شرب منه السباع.
- 3- في القلال إذا وضع فيها النبيذ.
- 4- هل المطر الغزير يطهر به الثوب الناجس؟ وفي الجنب إذا فاض الماء على جسده دون إمرار اليد ونحوها.

المجموعة الثالثة: في الأركان الخمسة. ومن بين الأسئلة في هذه المجموعة

- 1- في حكم من يسمع الأذان ولا يسعى إليه.
 - 2- هل لأهل الكتمان أن يدعو لغير إمام الهدى؟
 - 3- فيمن يجهر بالقراءة في صلاة السر أو العكس.
- المجموعة الرابعة: في الأيمان والنذور. ومن بين الأسئلة في هذه المجموعة

- 1- فيمن عليه أيمان كثيرة أيجزيه أن يكفّر كفارة واحدة؟
- 2- فيمن يحلف ويحنث ولا يكفّر هل تعطى له الزكاة
- 3- هل قول شخص لآخر (الله علي لتأكل) يعتبر يمينا؟
- 4- في حكم من حلف بجميع ماله¹.

¹ عبد الوهب بن عبد الرحمن بن رستم، مسائل نفوسة، ص15-20.

المجموعة الخامسة: في النكاح والطلاق والعدة. ومن بين الأسئلة في هذه المجموعة.

1- فيمن دخل على زوجته قبل أن تجلب، أو مس بيده أم امرأته خطأ.

2- في المطلقة التي لم تر الحيض ثم جاءها الحيض إثر انقضاء العدة.

3- في حكم النحلة التي تتحل للأب عند تزويج بنته.

4- هل يجوز الدخول على الصغيرة بعد العقد عليها.

المجموعة السادسة: في البيع والشراء. ومن بين الأسئلة في هذه المجموعة.

1- فيمن نذر دابته هدياً أله أن يبيعه؟

2- في حكم من يشتري الحب من الأندر أيعتبر احتكاراً؟

3- فيمن وجد العيب في المبيع فطلب الإقالة، أله أن يخاصم لرد المبيع؟

4- فيمن طلب منه شراء شيء معين بثمن أله أن يضيف شيئاً ربحاً؟¹

وكذلك الأمر بالنسبة للإمام أفلح بن عبد الوهاب الذي له أجوبة فقهية ضم البعض منها إلى كتاب مسائل نفوسة واستهل ذكرها بالقول: "من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشر بن محمد سلام عليك، أمّا بعد، ألبسك الله عافيته"² ولا نعرف إن كان الإمام عبد الوهاب قد أضافها إلى كتابه أم أضيفت له بعد وفاته.

ويورد البرادي في كتابه الجواهر رسالة للإمام محمد بن أفلح³ (حكم: 261-281 هـ / 874-894م) لسائر الإباضية في مسألة خلق القرآن استهلها بالقول "من محمد بن أفلح إلى جميع من بلغه كتابنا هذا من المسلمين"⁴ ثم يتوجه بعظات تُذكر بعذاب النار وويلات

¹ عبد الوهاب بن عبد الرحمن، مسائل نفوسة، ص15-27.

² نفسه، ص11-12.

³ خامس الأئمة الرستميين، كانت له حلقات علم بتيهت الرسمية، فتخرج على يديه الكثير من المشايخ، كما أن له تأليف كرسالة في خلق القرآن، وكتاب في الرد على المخالفين. ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص359.

⁴ البرادي، الجواهر المنتقاة، ص202.

جهنم، ويعرض محمد بن أفلح رأيه في المسألة قبل التطرق إلى الدلائل والحجج فيقول: "اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله، ولا يخلو هذا الكلام من أن يكون شيئاً أو ليس شيء"¹ وقد قدم في رسالته من الحجج والبراهين واستدل بآيات من القرآن الكريم، وطرح آراء غيره من الفرق ورد عليها بالحجة والبرهان، ورغم أن مستهل هذه الرسالة كان موجهاً إلى عامة الناس، إلا أنه توجيه يراد به التعميم فقط فما حملته الرسالة من عمق في الأفكار واستعمال للمنطق والكلام يدل أنها موجهة لخاصة المسلمين من علماء وفقهاء؛ ربما لرغبته في توضيح هذه المسألة لما قد يكون قد أثير حولها من نقاش وسجال يخاف منه، فكانت رسالة كافية وشفافية لتبيان رأي الإباضية من مسألة خلق القرآن الكريم.

وسأل رجل من قصر بكر² الشيخ جنون بن يمران الوارجلاني (ق: 4هـ/10م) إن كان يجوز لامراته أن تدفع له زكاة مالها وكان رجلاً فقيراً وامراته ذات مال فلم يجب الشيخ أبي صالح جنون، فحل عنده أبو نوح سعيد بن زنگيل حين فر من أبي تميم، فسأله حول المسألة، فأفتى بأنها تعطيه من زكاة مالها ولا يجوز أن يعطيها من زكاة ماله لأن المرأة مستغنية بمال زوجها، فصار جنون يقول بأن هذه المسألة إن جازت مرة أخرى فهي مسألة أبي نوح³.

قد يتطلب الأمر السفر للتحري حول بعض المسائل، فقد قدم إسماعيل بن أبي زكرياء السوفي⁴ إلى درجين فسأل العزابة عن ثمانى مسائل وهي:

المسألة الأولى: عن رأيهم في رجل نصب شركاً أو مندافاً على طعم رجل آخر كان يستعمله في الصيد، فأخذ ما صاد من ذلك المنداف، فأجابوه بأن الصيد لصاحب المنداف وليس

¹ البرادي، الجواهر المنتقاة، ص 202-218.

² وصفه الدرجيني بأنه من قصور وارجلان، إلا أن موقعه غير محدد بدقة. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج 2، ص 344.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج 1، ص 435.

⁴ من علماء أسوف. ينظر: سليمان بابيز، تحقيق كتاب المعلقات، ص 140 (هامش)

لصاحب الطعم، ثم سألهم إن كان الصيد أكل من الطعم هل يعوضه صاحب الصيد، قالوا لا يعوضه؛ إلا إن أكل الصيد من الطعم بعد أن أخذ من المنداف.

المسألة الثانية: عن قولهم في رجل يَطْرُدُ الصيد حتى كاد أن يمسكه، فجاء رجل آخر فأمسك به. فأجابوه بأن الصيد للذي أمسك به.

المسألة الثالثة: وهي في رجل عليه دينار من الخراج، وطلبوه إليه، فأشار بأن له دينار على رجل آخر، وأنه يُؤليه أن يمنحه لهم. فأجابوا: بأن الدينار على عاتق المدين به حتى يصل الدينار إلى صاحبه.

المسألة الرابعة: في رجل طلب رجلاً في شاة فأعطاهها له لكن خوفاً على نفسه، ثم هربت الشاة ورجعت إلى صاحبها، فأجابوا أنه لا يجوز له أن يمسها وأن عليه إعادتها إلى الذي أعطاهها له.

المسألة الخامسة: عن قوم فرض عليهم الظالمون الخراج فأخرجوا منهم رجلاً، فهل لهم أن يتعاملوا به، فأجابوا بأن لهم ذلك ما لم يصل إلى الظالم، وسألهم إن مات الظالم قبل أن يأخذه قالوا: يرجع إذا إلى أصحابه.

المسألة السادسة: عن رجل أخذ من آخر مائة دينار على سبيل القرض، ثم أسلفه منها ديناراً، قالوا: ليس للمقرض أي ربح وإنما له ما قرض.

المسألة السابعة: عن رجل أراد أن يأخذ امرأة فصار يهادي أهلها، وكان له أخ ومات أخوه فأراد أن يردها، فأجابوا: يرد عليه أهل المرأة جميع ما كان يهاديهم.

المسألة الثامنة: عن رجل مس أم زوجته فأجابوا: تحرم عليه الزوجة والأُمُّ، ورخصوا ألا تحرم المرأة عليه¹.

¹ مجهول، المعلقات، ص 140-142.

وسأل الشيخ أبو موسى عيسى بن يوسف الشماخي النفوسي¹ (ق: 5هـ/11م) الشيخ أبا سليمان داود بن أبي يوسف الوارجلاني في سنة زيارة وهي سنة 449هـ/1057م عن قوله في رجل أمر طفلاً بصغيرة، فقال: يهلك بذلك، وسأله أيضاً: عن رجل قال لآخر من أهل الولاية: لحيتك كلحية اليهودي، فأجاب بيراً منه بذلك².

وكان الشيخ ماكسن بن الخير الوسياني (ق: 5هـ/11م) قد أفتى بتين يسلي بالعفو عن امرأة كانت ستضرب بعد أن أنجبت طفلاً بعد أن توفي عندها زوجها بزمان، ورأى أنه لا يجوز ضربها لأنه كان لها زوج قبل ذلك، والحدود تدرأ بالشبهات، وأن الولد للفراش فعلموا منهم الحكم، وعملوا به، ومرت ذات المسألة لدى الشيخ إبراهيم بن الشيخ ماكسن وهو قول عموم العلماء³.

وروي عن الشيخ أبي سليمان داود بن أبي يوسف الوارجلاني (ت: 462هـ/1069م) أنه دعا الشيخ أبا الربيع سليمان بن يخلف القابسي عند قدومه وارجلان زائراً، فسأله عن مسألة يرى فيها الرخصة، وأشار إلى أن أهل طرابلس متشددون في الرخص، والمسألة هي: أن يجعل الرجل من أهل الجملة إماماً دافعاً وقاضياً وخليفةً للأيتام⁴.

وسأل محمد بن يدير النفوسي⁵ (ق: 5هـ/11م) الشيخ في سنة زيارة بجبل نفوسة وكان المشايخ قد اجتمعوا بشيوخ جربة وطرابلس هل يجوز القول على الله ميان وميّن، فلم يفهموا، وكان بجانب المجلس الشيخ عثمان بن خليفة السوفي وكان حينها تلميذا حديث العهد فأجاب عن السؤال بأنه لا يجوز عليه ذلك، فسئل: عن معنى ذلك فقال: ميان أي

¹ عالم وفقه من ومؤرخ من تيغرمين بنفوسة، أخذ عن أبي يحيى توفيق بن يحيى السير، حفظها ونقلها لمن بعده. ينظر: سليمان بابيز، تحقيق كتاب المعلقات، ص 67 هامش.

² مجهول، المعلقات، ص 67-68.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج 1، ص 390.

⁴ مجهول، المعلقات، ص 66.

⁵ عالم من نفوسة، معاصر للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، والشيخ محمد بن سدرين، وشارك في عملية تربية التلاميذ وتعليمهم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج 2، ص 397.

كذاب، ومعنى ميون أي كذوب. فاستفسروه عما يجب أن يقال، فقال: يُقال مؤيّن الأيُون، فاستفسروه عن المعن فأجاب: أي خالق الأماكن، وأعجب جواب الشيخ عثمان الحاضرين حتى قيل له: " قد أبصرت الضوء من بعيد يا عثمان"¹. وسأل أبو عمرو عثمان يحيى بن زكرياء الزواغي الجربي² (ق: 6هـ/12م) في غير هذا المجلس، هل علينا أن نعلم أن معرفة التوحيد توحيد والتقرب به توحيد؟ وذكر له الإصرار فأجابه: بأنه لا يكون الإصرار إلا في المعصية³.

وسأل رجل بآجلوا الشيخ ماكسن بن الخير الوسياني عن مسألة عويصة غير أن الشيخ ماكسن لم يعرف جوابها فتوقف ورد السؤال إلى أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت471هـ/1078م) واصفا إياه بصاحب الغوامض⁴ وكان الشيخ ماكسن وأبي العباس الوليلي الأريغي، والشيخ عيسى بن يزركشن الأريغي، وعبد الله الدّمري يتبعون غارة حتى ردوا غنم الناس منها، ثم ركنوا إلى عجوز استطعموها، وأخذت تسألهم في مسائل، إلى أن سألتهم عن حكم الزكاة التي يمنحها إياها الغزاة فقاموا من مجلسها، وأبعدوها عنهم ولم يتناولوا طعامها⁵.

ذكر أن أبا عبد الله محمد بن الخير الأريغي (ط10: 450-500هـ / 1058-1106م) كان لقبيلة بني ستنن كالأب، فكانوا يوصونه بوصايا ينفذها في الحج، فكثرت عنده الوصايا فسأل أبو محمد ماكسن إن كان يجد في العلم ما يوجب تنفيذها، فلم يجبه، فلما رجع أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر من وارجلان إلى أريغ سأله فأجابه، ورخص له

¹ مجهول، المعلقات، ص284-285.

² هو يحيى بن زكرياء بن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور، من تلاميذ أبي العباس أحمد الفرستائي. ينظر: أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجبالي: قواعد الإسلام، تحقيق: بشير بن موسى الحاج موسى، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1998م، ج1، ص387.

³ مجهول، المعلقات، ص225.

⁴ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص416.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص390-391.

لأن ذلك بسبب عسر الطريق، وانقطاعها والمحاربين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، قال فدفع أبو عبد الله لماكسن بن الخير سبعة دنانير من أجل التصديق بها، وعلى أبي محمد عبد الله بن محمد بن ناصر دينار¹.

واستقتى ينجاسن بن حمو²، أبا عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني الوارجلاني (ط10: 450هـ/500م) في بضاعة وجدها في إحدى قرى وارجلان، وأراد التخلص منها وإبراء ذمته، فأفتاه أبو عبد الله بأن عليه التخلص منها والتصدق بها في المكان الذي وجدها فيه، وليس في غيره³.

من المشايخ من يتبين له رأي غير الذي قال به في مسائل معينة، فيتبرأ ويتراجع عنها كالشيخ يس بن أبي محمد ويسلان الجربي الذي أوصى الشيخ أيوب بن الشيخ إسماعيل الوارجلاني (ط11: 500-550هـ/1106-1155م) إلى أبي محمد ماكسن القيرواني أن ينزع قوله في مسألتين، إذ أنه كان يفتي بأن كل من أقر على نفسه بالعبودية فإنه يؤخذ بإقراره، وإن تراجع فلا يؤخذ بإنكاره. وكان القول الراجح في المسألة أن من أقر على نفسه بالعبودية في الكتمان فإذا أنكر ادعى الحرية، أما إذا كان في أيام الظهور كزمن الأئمة فلا يؤخذ بقوله الثاني⁴.

وذكر أن أهل جربة سألوا أبا صالح⁵ عن رجل كان يصوم الأيام البيض من الشهر، فكيف مع شهر ذي الحجة هل يصوم اليوم الثالث عشر من أيام التشريق، أم يفطر فيه،

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص406.

² لم نتمكن من التعريف به، لكنه يظهر بأنه من قبيلة بني ينجاسن التي استوطنت وارجلان.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص429.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص625-626.

⁵ قد يكون المقصود هنا هو أبو صالح جنون بن يمریان.

فأجابهم أنه يأكله، ويصوم اليوم السادس عشر في مكانه، فيكون كمن صام الأيام البيض في الأجر¹.

وعن شيخ يدعى أيوب بن تنولفت² الذي كان قد مات والده وأوصى بصيام الكفارات والمغلطات، فقصد شعيرا كان عنده فأنفذه فيما وصى والده على سعر الشعير في ذلك الوقت، ثم انتبه لما قام به فراه ناقصا عما يجب إنفاذه، فقصد أبو محمد عبد الله بن مانوح الجربي (ط9: 400-450هـ/1009-1058م) فسأله عن رجل فسخ وصية وارثه ثم أخبره بما فعل، فأجابه الشيخ بأن هناك رخصة فيما فعل وهي أن يبيع للورثة الشعير فيأمره بإنفاذها³.

واستغلت الغاية زوجة أبي القاسم يزيد بن مخلد الحامي نزول أبي عمران موسى بن زكرياء التجديتي (حي في: 405هـ/1014م) لطلب الفتوى في مسألة وهي حكم المرأة إذا ذهبت إلى الوادي للاغتسال مع اصطحاب غيرها، فأجابها أبو عمران بأن ذلك محرم، وأن أيّة امرأة ذهبت إلى الوادي فاغتسلت فيه ستعوم في أودية النار، ثم طلبت رخصة في المسألة فرخص لها بجواز ذلك إذا توفر الحارس والسترة⁴.

عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن ناصر البرقاوي (ق: 5هـ/11م) بأنه أول ما أخذ من المسائل، عن أبي سليمان داود بن أبي يوسف الوارجلاني حيث سأله عن التراب الذي يقع في الساقية حين يطلع منها هل يخاف منه أم لا فقال: لا، وسأله عن أموال العرب أريبة بينة محققة أم لا، قال: لا، ولكنها تباعة بينة، وسأله عمّا في أيدي العرب هل هي ريبة محققة، ورأى بعد ذلك في كتاب بأن ابن عباس سئل عن المسألة عينها. وقال الشيخ أبي محمد ويسلان (ت: 431هـ/1039م) وأبو صالح يعلو الأريغي (ت: 513هـ/1124م) في

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص863.

² لم نتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

³ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص496.

⁴ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص298.

شأن حكم ما في أيدي العرب في ذلك الوقت بأنه ريبة محققة لأنهم غزاة¹، والعرب مصطلح يقصد به الأعراب الهلالية الذين امتهن الكثير منهم الغزو والسلب والنهب، ولا يقصد به جميع العرب، وطرح مسألة أخرى للشيخ أبي سليمان داوود بن أبي يوسف الوارجلاني بشأن الأموال التي تنفذ فيها ديون المتوفى، فأجاب بأنه يحط ديونه التي عليه في كل شيء، وهناك رخصتان قال: فأخذتهما وكتبتهما وعلقتهما في صومعة مسجد تماواط، فدُعيت مسائل صومعة تماواط بوارجلان، وسأله عن ثلاث مسائل في الزكاة أيضا: وهي في الذهب والورق، فأفتى بأن الشريك بالشريك في معاني الزكاة كلها، إلا الذهب والفضة، إذ أن كل ما كان للرجل من دين على الناس فلا يعطى عليه إلا ما له من ذهب وفضة².

عن أبي محمد عبد الله بن زورتن الوسياني³ (ق: 5/11م) أنه بلغه عن الشيخ أبي إبراهيم اسماعيل بن بيدير الهواري الأريغي⁴ مسألة في الصرف أجابها في أقوق⁵ في قصر الشيخ فلفل الجلماسي⁶ والمسألة هي: أنه إذا اتفق رجلان على صرف دينار إلا أن صاحب الدينار لم يعط إلا شيئا يسيرا بمقدار أربعة دراهم حندسية، أو أقل أو أكثر هل يجوز أن يتم له البقية بعد ذلك ولا بأس، فطلع الشيخ من أقوق إلى وارجلان زائرا لإخوانه من أهل الإباضية ثم رجع من وارجلان إلى تينوال إلى الشيخ أبي محمد عبد الله، فسأله الشيخ أبو إبراهيم عما سئل من قبل عنه فقال: بأنه يجوز ذلك وبأن في ذلك رخصة⁷.

ساهم أبو عبد الله محمد بن بكر في الفتاوي وسأله إباضية من المغربين، فذكر أن إسماعيل بن يدير الأريغي جاء من وارجلان، فمر على أبي عبد الله محمد بن بكر الذي

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص411-413.

² نفسه، ج1، ص413.

³ من شيوخ كنومة. ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص395.

⁴ من مشايخ الإباضية بأريغ شارك في تدوين ديوان العزابة. ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص455.

⁵ قرية بوادي أريغ لازلت تحمل نفس الاسم.

⁶ لم نتمكن من الترتيف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

⁷ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص336-337.

استغل مروره عليه ليسأله في فتوى بلغته عنه في الصرف، وهي قوله: أنه إذا حضر بعض الدراهم ولم يحضر بعضها الآخر جازت المعاملة. فأجاب إسماعيل بأنه أفتى بذلك بالفعل وأن له الدليل والحجة فيما أفتى، وذلك أن الرجل يذهب إلى الصيرفي فيسأله عن قيمة الصرف فيجيبه، ثم يدفع له دينارا ثم يأخذ الدراهم منه على تمامها¹.

كان رجل في ورجلان ادعى أن له دارا ملكا له اشتراها وجاء بالدليل على قوله بالبينة فشرع القاضي في أن الحكم له لدليله الذي قدمه، غير أن صاحب الدار تراجع عن جزء من قوله فقال بأن نصف الدار ملكه بالشراء والنصف الآخر ورثه، فترث القاضي وطلب من الشيخ ماكسن أن يسأل أبا عبد الله محمد بن بكر، وكان آنذاك في ورجلان فسأله فقال " وما قدرنا نحن على مسائل الصبيان والقمل فكيف غيرهما؟ "فسار الشيخ ماكسن حتى وصل جربة، فسأل عنها أبا محمد ويسلان فأجابته بأن الشهادة باطلة وسبب بطلانها تكذيبه لنفسه².

واستفتي أبو عبد الله محمد بن بكر في عدة مسائل أوردها صاحب المعلقات وهي:

قوله في رجل مشهور بالخير، إلا أنه فعل كبيرة أيبراً منه أم لا؟

فأجاب: وما القول في إمام المسلمين إذا فعل كبيرة، أيبراً منه؟ قال السائل: نعم فقال: فالإمام أعزم من سائر الناس أن يتم الإشهار به وأفضل منهم، فكيف بغيره.

وقوله في الذي يطعن في الدين، أيتم قتله في جميع الأزمنة، فسأل أبو عبد الله طارحاً السؤال في المرتد هل يقتل؟ فأجابته بأنه يقتل في كل زمان، فرد الشيخ بأن المرتد أشر وأعظم.

¹ مجهول، المعلقات، ص168.

² الوسياني، سياني الوسياني، ج1، ص314.

وجاءه رجل من بني مصعب يستفتيه في شأن زكاة غنمه أ تكون من خيرتها أم من أوسطها، فأجابه بطريقة تربوية بأن قال له: إن أعطاك رجل أربعين شاة وأردت أن تعطيه منها فأني شاة تختار قال الرجل: من أخيرها¹.

وسأله رجل في جواز معاملة أهل الريبة من عدمه

فأجاب: فما رأيك في رجل كان يحفر في حجر يربوع حتى وجد حية في ذلك الحجر، هل يدخل يده إلى الحجر أم لا؟ فقال الرجل: لا، قال الشيخ: كذلك أمر صاحب الريبة لا يُعامل.

وسأل سؤال فيه افتراض وليس بأمر واقع وهو إذا انقرض العلم، ولم يوجد إلا عند مخالف، أو عند من لا يؤتمن في دينه، هل يجوز أن يؤخذ به؟

فأجاب: كيف برجل كان مسافرا في يوم صائف، وكان عطشانا فمر بماء في سبخة، أيشرب ماءها أم لا؟ فقال السائل: نعم يشربه إن كان حلوا أم لا. قال الشيخ: كذلك مع صاحب العلم².

وسأله رجل: أن له ولية يريد تزويجها، هل يشاورها أم يزوجه من غير مشورة؟

فأجاب الرجل سائلا إياه إن كانت له نوبة ماء هل يطلق الماء قبل وصول وقته، فقال الرجل: لا فقال الشيخ: كذلك تزويجها قبل مشورتها.

وسأله رجل: أنه يريد أن يتزوج فهل يتزوج من النساء من هي في مستواه، أم من هي أدنى أم من هي أعلى.

¹ مجهول، المعلقات، ص117.

² نفسه، ص118.

فأجاب الشيخ: إن كنت تقدمت إلى شجرة تين لتقطف منها ثمرا، هل تقطف من أعلى الشجرة، أم تقتش في الأغصان السفلى أم تأخذ مما يقابلك؟ فقال الرجل: أقصد ما يقابلني ويواجهني؟ قال الشيخ: كذلك ما سألت.

وسأله ذات الرجل بأن له بنت يريد تزويجها فلأي الناس يزوجه.

أجابه الشيخ لمن يقول لولا خوف الله لأفعلن¹.

واستفتى أبو الربيع سليمان الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر الفرستائي عن الأكل بالدين، وهل هو مثل ما يقوم به أهل الدعوة من الضيافة وإكرام التلاميذ والصدقة وغيرهم، فأجاب الشيخ أبو عبد الله بأن الأمر مختلف وإنما هو ما يصنعه الناس لمن يحتاجونهم إذا احتاجوا فيكون ذلك جميلا يراد به منفعة عندهم².

وعن أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله (ق:5هـ/11م) أنه طلب من بني وليل أن يجري ماء عيونهم إلى آجلو عبر خندق، فاشتروا موافقة أهل تين وال التي يظهر أنها كانت في الطريق بين موضع بني وليل وآجلو، فذهب أبو العباس إلى تين مصل فبات فيها، وأرسل يستفتي في الأمر إلى أبي محمد عبد الله³ وأبي يحيى عبد الملك بن الشيخ ماكسن بن الخير (ق:5هـ/11م) وبعدما بلغهم السؤال سكت أبو محمد وتكلم أبو يحيى، فقال كلاما فيه إشارة إلى رفض إجازة الماء دون موافقة أهل الأرض، ومن كان باستطاعته إجازته فوق الأرض كفعل سليمان عليه السلام فليفعل، ثم ردوا إليه سؤال أم سجمول وهي امرأة من بني وليل أعطت لابنها نخلا واشترطت تمره، معيشتها فأفتي للمعطي ببطلان الشرط وجواز العطية، ما أدى إلى منعها التمر، فصارت أم سجمول تشكوه إلى أبي محمد الذي أرسلها إلى أبي العباس في آجلوا، وكانت عادة أبي محمد هي رد المسائل إلى أبي العباس الذي طلب منهم

¹ مجهول، المعلقات، ص119.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص309.

³ غير واضح الشيخ المقصود من الرواية لأنني الكثير من المشايخ عرفوا بهذه الكنية خلال هذه الفترة.

أن يعطوها حقها، وأفتى بأن العطية والشرط جائزان، رغم معارضة عبد الملك بن الشيخ ماكسن الذي رأى بأن العطية جائزة والشرط باطل دون أن يكون متيقنا من جوابه، وهو ما نفهمه من طلب أبي العباس لهما مازحا مبتسما بأن يُقسما على ذلك فتفرقوا¹.

وسأل عبد السلام بن عبد الكريم الأريغي² (بين ق5-6هـ/11-12م) المزاتي أبا العباس أحمد عن رجل صلى وفي فمه دينار ذهب قال يعيد صلاته، وفيه رخصة ألا يعيد، وفي جوابه لنساء وارجلان في ثلاث مسائل رخص لهن:

- أن يصلين على الجمال.
- والمرأة إذا جاءها زوجها في غير ليلتها، فإنما عليها أن تقول له ليس لي في هذه الليلة شيء، فإن أبى تركته.
- وفي المرأة متى تئأس من الحيض؟ قال إذا أكملت خمسين سنة³.
- وسأله يحيى بن زكرياء الزواغي عمّن يأكل مال المرتد؟ فأجاب: يأكله أولاده، وعن قسمتها فللذكر مثل حظ الأنثيين، فقال: إذا هو الميراث فوكزه حتى كاد يسقط، وطلب ابنه إسحاق التوبة من فتواه⁴.

كانت لأبي عبد الله محمد بن بكار الزواغي⁵ (ق:5/11م) ابنة غاب عنها زوجها مدة طويلة، فأتت مدة معينة، ثم أمسكت زمام الأمر وطلقت نفسها طلاقة بعد طلاقة حتى أتمت ثلاثا، ثم عاد بعد ذلك زوجها وبدا لهما الرجوع، فسأل والدها الشيخ أبا العباس أحمد فأففى له بأنه ليس لها إلا طلاقة واحدة فرجع لها زوجها⁶.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص369-370.

² من علماء أرغ، عرف بزهده واجتهاده. ينظر: مجهول: المعلقات، ج1، ص124 (هامش)

³ مجهول، المعلقات، ص124.

⁴ نفسه، ص122.

⁵ شيخ إباضي من زواغة. ينظر: الشماخي: كتاب السير، ج2، ص708-709.

⁶ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص371.

وكان ياسين بن فاتو¹ (ق: 6هـ/12م) وأفلح بن الطاك السوفي² (ق: 6هـ/12م) بالحامة يقرآن، فاختلغا في مسألة حتى جاز عليهما عثمان بن خليفة السوفي، فسأله ياسين عن تلك المسألة التي اختلفا فيها وهي: أن الصغائر لسن من دين الشيطان؟ فأجابه عثمان بأن ذلك لا يقال، وسأله: هل في قدرة الله أن يجعل كل الناس مسلمين؟ فأجاب بأن في قدرته ذلك، وسئل عثمان أيضا عن قال: "الله إلهك أم عيسى" كيف يجاب عليه فأجاب: يجاب بالقول: الله إلهي، قال السائل: فإن قال: "الله إلههم أو عيسى" قال: الجواب نعم. وسئل أيضا عن جواز قول "ما مثل ربك أحد" قال: نعم، وعن قول: "ما مثل ربك أحد" قال: لا يجوز ذلك³.

وسأل الفقيه ابن مشكان القابسي⁴ (ق: 6هـ/12م) عثمان بن خليفة السوفي بقابس عن رجل قال لامرأته بأنها عليه حرام؟ فأجابه مفصلا بأن في المسألة أقوال بين من يرى بأنه طلاق بائن، وبين من يرى أنه طلاق رجعي، وهناك من العلماء من يرى أن عليه كفارة وسأله زيادة في تفصيل الحكم فخاف عثمان من الشنعة ثم أجاب بأن الطلاق ثلاث، وأن أشد الأقوال قول مالك، وسأله سؤال آخر عن قول النبي "بني الإسلام على خمس"⁵ وبأنه وجد أن أصل كل البيئات أربع، فما الخامس؟ فأجاب أن الخامس هو التوحيد، وبأنه الأصل الذي بنيت عليه الأربع⁶، وذكر أبو عمرو عثمان أن الشيخ سليمان بن عبد الله بن بكر أفتى

¹ عالم وفقه من إفريقية، معاصر للشيخ عثمان بن خليفة، ومحمد بن علي السوفي، تتلمذ بالحامة، وله روايات في كتب السير. ينظر: مجهول: المعلقات، ص195.

² عالم وفقه من أسوف، معاصر للشيخ عثمان بن خليفة، وياسين بن فاتو. ينظر: مجهول: المعلقات، ص195.

³ مجهول، المعلقات، ص195-196.

⁴ فقيه إباضي من قابس. ينظر: سليمان بابيز: تحقيق كتاب المعلقات، ص224(هامش).

⁵ البخاري: صحيح البخاري، ص12. (8)

⁶ مجهول المعلقات، ص223-224.

بتجديد مسألة التثنية فأخرجه الشيخ أبو نوح صالح بن إبراهيم بن يوسف الأريغي (حي في: 557هـ/1161م)، والمشايخ إلى الخطبة أي من الحلقة¹.

ومرّ الشيخ عبد الله بن محمد اللنتي² (ق6هـ/12م) على آجلو فسألته عائشة بنت معاذ بن أبي علي³ (ق: 5هـ/ 11م) عن رجل أقر بالصلوات كلها إلا واحدة أنكرها هل يحكم بشركه، فأجابها بأنه لا يشرك ما دام أقر بشيء منها، فردت عليه قوله وطلبت له التوبة مما قال، وأجابت بأنه مشرك حسب ما قال به الشيخ تبغورين بن عيسى الأريغي⁴ (ق: 6هـ/12م) وكانت من تلاميذه، ثم مضى لزيارة الشيوخ في تين وال، حيث التقى يحيى بن أبي بكر الوارجلاني وموسى بن علي، وسألها في حكم من أقر بالصلوات كلها إلا واحدة، فأجابا بما كانت قد أجابت به عائشة، فشكر لهما ما أجابا، وأخبرهما أن عائشة سألتها فأجاب بجوابها فطلبت منه التوبة، فتاب فتعجبا لتوبته على الصواب⁵.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص646.

² معاصر للشيخ يحيى بن ويجمن، وعبد السلام بن أبي زوجون، كانت له حلقة علم في تين زراتين. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص272.

³ إحدى نساء آجلو، ختمت القرآن مبكرا، ثم توجهت إلى حلقة الشيخ أبي العباس أحمد ولها روايات في كتب السير. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص238.

⁴ عالم من أريغ، سكن بآجلو، تتلمذ على يد الشيخ أبي الربيع سليمان، كان له غار بتين يسلي اتخذته لتعليم طلابه. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص104.

⁵ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص592-593.

المبحث الرابع: في الكتب والتأليف.

أولاً: مكانة الكتب والتأليف عند الإباضية.

حاز تأليف الكتب ونسخها اهتماماً بالغاً من العلماء والطلبة الإباضيين؛ ذلك أن الكتب كانت الوسيلة الأبرز في الحصول على مختلف المعارف، وكذا حفظ الآراء الفقهية وسير العلماء ومناقبتهم، حتى أن عبد الله بن الخير النفوسي (حي في: 283هـ / 896م) كان يقول " من ضيع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير " ¹ وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر كثير التحذير من تضييع الكتب، ويعاتب من يرى منه تقصيراً في الحفاظ عليها والاهتمام بها فقد شبه رجلاً أهمل الكتب باللبن الرائب الذي يعسر شربه ²، واعتبرت الكتب كأدوات للحفاظ على ماضي الإباضية، والروابط بين علمائها، وأيضاً كميز للفكر الإباضي عن غيره من الأفكار، كما كانت كتب السير وسيلة للتواصل، فإن كانت تعرف بمؤلفيها؛ فإن الروايات التي احتوتها شارك فيها العديد من المشايخ والرواة ³.

واقترن حفظ الكتب بنسخها حيث أن العديد من النوائب كثيراً ما كانت تأتي على الكتب كالغارات والسرقة وغيرهما، وكان نسخ الكتب وسيلة مهمة لصيانة هذه الكتب من الضياع، ومن ذلك ما قام به الشيخ يسجا بن يوجين اليراسني الجربي ⁴ (ق: 3هـ / 9م) الذي كان طالباً للعلم فلما حصل خيراً وفيراً وأراد العودة إلى أهله اجتهد في نسخ الكتب اجتهداً كبيراً، حتى نظر إليه رجل وظن أنه ينسخ الكتب لبيعها، وأشار إليه بأن ربح الكتب زهيد

¹ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص380.

² الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص839.

³ Palu M. L. lovejr, 'ibadi Muslims of North Africa', cambridge, usa, 2018, p54-56.

⁴ من علماء جربة بنونس، نشأ وتعلم على يد والده يوجين، ثم التحق بحلقة الشيخ أبي زكرياء يحيى بن يونس السدراتي، وأيضاً تعلم على يد أبي صالح بكر بن قاسم. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ج2، ص468-469.

وتجارتها كاسدة، فردّ عليه يسجا بما فيه مضمونه أنّ الكتب في قيمة ما تحتويه لا في المال¹.

وأتى رجل من موالى لواتة قنطرار يسمى سعيدا إلى موضع أبي سهل الفارسي النفوسي الذي كان في جزائر بني مزغنان، فأكرمه وسأله عن أخبار أهل دعوته، ودون لهم اثني عشر كتابا في مسائل الوعظ والتذكير والتخويف، بلغة البربر وكان يحسنها إذ أنه سبق واشتغل ترجمانا للإمام أفلح بن عبد الوهاب والإمام أبي حاتم يوسف، وتضمنت هذه الكتب تواريخ أهل الدعوة في أربعة وعشرين بابا، غير أنها تعرضت للسطو وأخذت من قلعة بني درجين ولم يبق من عبرها غير ما حفظ في الصدور².

كما عرّف عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الوارجلاني (ق: 5/هـ 11م) انشغاله الكبير بنسخ الكتب، حيث بقي في داره سبع سنوات مشغلا بالكتب، وتعدت الكتب التي ينسخها حدود المغرب الأوسط، إلى المغرب الأدنى، إذ روي أن نسخا كثيرة من كتاب العدل والإنصاف من تأليف أبي يعقوب المنسوخة بيده، والتي تعدّت السبع نسخ، وقف عليها في قسطنطينية، وأسوف، وأريغ، ووارجلان³.

وتخير العلماء نسخ الكتب بمشورة ذوي الفهم، فقد شاور أحد النساخ الشيخ يحيى بن ويجمن الأريغي (ت: 467هـ/1074م) أي الكتب يشرع في نسخه فقال " خذ من كتب جابر بن زيد رحمه الله، وابتدئ به الأول فالأول إلى ما تقدر عليه "⁴ وتعد المؤلفات الأساسية التي يعتمد عليها الإباضية تلك النابعة من أصول المذهب في المشرق من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

¹ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص 240.

² الشماخي، كتاب السير، ج 2، ص 450-451.

³ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج 2، ص 492.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج 1، ص 444.

من الإشارات التي تدل على العمل الذي كان بين الإباضية لحفظ الكتب ونسخها خوفا من اندثار العلم ما رواه الدرجيني، حيث قدم شخص نكاري من موالي لواتة قنطرار يسمى سعيد قدم إلى الشيخ أبي سهل الفاسي¹ المقيم آنذاك بجزائر بني مزغنان فأكرمه وقيد معه اثني عشر كتابا في المواعظ وتواريخ أهل الدعوة، إلا أنه اختلس شطرها وبقي له فقط ستة أجزاء، فكان يقوم بقراءتها ورأسه في ثيابه، وذلك من خوفه عليها، حتى طلب منه الشيوخ الوهبية هديتهم فاستردوها، وعندما دمرت درجين تم إحراق هذه الكتب وتمت إعادة كتابتها بما في صدور الشيوخ².

خاف المشايخ الإباضية من ضياع ما في صدورهم من علم قبل وفاتهم، فكان كلما أحسّ أحدهم بدنوّ أجله يبادر إلى التأليف والكتابة بما استطاع، ومن ذلك أن الشيخ أبا القاسم عبد الرحيم بن عمر الوارجلاني³ (ت بعد: 504هـ / 1110م) مر على مجموعة من المشايخ فخرجوا معه ثم ودعوه فقال " إن أقل ما ينزل من السماء إلى الأرض التوفيق وأقل ما يدعو به المرء إلا استجيب له " ثم قال رحمه الله " أحمد بن محمد كان رحمة لأهل دعوتنا حيا فلما احتضر جعل الذي معه من العلم في الكتب وضعا ووضع خمسة وعشرين كتابا، وترك رحمه الله واحدا في الألواح في آجلو " وكان قبره مما يزار، وكانت وفاته سنة 504هـ/1110م⁴. وعملا بالحديث النبوي " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " ⁵. كانت الوصية بالكتب لكبار العلماء مما دأب عليه المشايخ، فذكر أن الشيخ أيوب بن إسماعيل المزاتي الوارجلاني(ط11: 500-550هـ/1106-1155م) أنفق ألف دينار على الكتب، وعرف

¹ لم نتمكن من التعريف به انطلاقا من المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

² الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص352.

³ عالم وفقيهه إباضي من تماوط بوارجلان، أخذ العلم على يد أبي محمد ويسلان، ثم توجه إلى حلقة سعد بن يفاو. ينظر: إبراهيم بجاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص254. وأيضا: الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص317.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص371.

⁵ مسلم: صحيح مسلم، ص1255. (1631).

عنه امتلاكه لأربعين مخلاة كتب من الجلود كل مخلاة سعتها جلد تيس، وأوصى بها للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد¹.

وأتى رجل أبا عمران موسى بن زكرياء التجديتي (حي في: 405هـ/1014م) يقال له يخلف أثناء تواجده في جبل دمر، فوجده يكتب كتابا فقال له إن عنده كتابا يريد أن يتصدق به عليه، ثم يرده ثم كتب أبو عمران " قال لي ابن يخلف إن عندي كتابا أتصدق به عليك ثم ترده علي " ومد الياء وشددها ثم كتب " من كان الناس عنده سواء فليس لحمه دواء"² وتدلنا هذه الرواية على أن الشيخ أبا عمران كان شديد التوثيق لما يصادفه في يومه من مسائل يرى فيها العبر أو يظن أنها قد تنفع الناس إن قرأوها بعده، وتدل أن التصدق بالكتب أو إعارتها ينبغي أن يكون للعلماء دون غيرهم لأنهم الأحوج لها، فيكون النفع عظيما إن كان الكتاب في يد عالم.

تعددت الدواعي التي دفعت المشايخ إلى نظم الكتب وتأليفها، فبالإضافة إلى ما يراد من التأليف كحفظ العلوم وإفادة القارئ وكسب الأجر والثواب، كان يطلب من العلماء تأليف متخصصة في مجال معين، أو تأتيهم إشارات ربانية تدفعهم إلى الكتابة، فعلى سبيل المثال راسل مشايخ فزان المتكلمون الشيخ عمرو بن عبد الله الزواغي الجربي (ق: 5هـ/11م) وطلبوا منه أن يؤلف لهم كتابا في الأصول، فأجابهم إلى ذلك وأرسل لهم مؤلفهم المسمى العمروسي³ وكتب أبو عبد الله محمد النفوسي إلى أبي العباس أحمد بن أبدالان نفوسة يُرغبه في التأليف فكتب كتابا سماه العزابة أبا مسألة، وسماه هو جامع الشيخ أبي العباس⁴. وقد صرح في مقدمة كتابه صراحة عن سبب تأليفه بقوله " فإنك كتبت إلينا كتاباً،

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص738-739.

² نفسه، ج1، ص344.

³ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص371.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص444.

تسأل أن أشرح لك فيه بعضاً من الأصول مجمل الفتيا مما يتأتى لنا عمله، ويتيسر علينا جمعه ... فجمعت لك جوابات مما تيسر لي تلخيصه¹.

وطلب تلاميذ الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي أثناء تواجده في وارجلان في زيارة أن يدون لهم ديواناً من تأليفه ووضعه، إلا أنه لم يستجب لهم، فألحوا عليه طويلاً يكررون الطلب، غير أنه كان في كل مرة يأبى الموافقة، ومع إلحاحهم الشديد أجابهم إلى طلبهم على مضض، ولشغف التلاميذ إلى ذلك المؤلف، حتى أن أحد المشايخ رأى رؤيا، وهي أن جماعة من التلاميذ أخذوا الشيخ أبا الربيع ففتحوا له صدره ونزعوا منه قصعتين من العسل، فخاف أن يكون ذلك إشارة على موته قبل أن يعد لهم مؤلفهم فذهب إلى قابس عند معبر الرؤى، فسأله عن تأويل رؤياه، فأجاب المعبر أن المقصود من الرؤيا أن من استخرج العسل من صدره إن كان تاجراً ومحباً للمال فإنه سيخرج منه المال كرهاً، وإن كان عالماً فسيخرج منه العلم كرهاً، فأجاب الشيخ مؤيداً إجابة المعبر، ثم عاد إلى التلاميذ والطلبة وأخبرهم بتأويل ما رأى، ولم يتوان الطلبة في مطالبة الشيخ ثانية فألحوا عليه في تنظيم المسائل فأجابهم².

وذكر أن الشيخ أبا العباس أحمد أتاه رجل في المنام فتبعه إلى قرية تين زاج وهي من قرى نفزاوة، ثم سار به إلى المسجد وقصد به المحراب، فأمره بالحفر فحفر حتى أخرج قصعة كبيرة وجد فيها ديناراً، وطلب منه أخذها مشيراً إلى أنه إرث والده، فسأل المعبر في قابس الذي أخبره بتأويل ما رأى بأن القصعة العلم والخير والدينار الدين الصافي، وهو دين والده، فعاد الشيخ أبو العباس إلى تمولست ووضع عشرين كتاباً وكتابين معروضين عليه في الألواح، وعرضت كلها عليه إلا كتاباً واحداً في الألواح بأجلو، وكان بعث إليه الشيوخ

¹ أحمد بن محمد بن بكر الفرستائي (504هـ)، كتاب أبي مسألة، تح: فهد بن علي بن هاشل السعدي، دار ذاكرة عمرة،

ط1، عمان 2016، ص76

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص275.

فوصلهم إلى إفران من حيز وارجلان، فعرضه عليه ولده ومن المشايخ حمو بن المعز، وأيوب بن إسماعيل الوارجلاني، وداوود بن ويسلان أبو سليمان الزواغي¹

توقف أبو محمد ويسلان الجربي (ت431هـ/1039م) في مسائل، فكتب إلى حمو بن أفلح مصكودي الوارجلاني² (ق: 5هـ/11م) فألف فيها الكتاب المنسوب لتلاميذه الأولين وهم ستة تلاميذ جاءوا إليه من عند أبي محمد ويسلان، وكانوا من أوائل من لازمه للتعليم مثل أحمد بن محمد الذي أخذ أول مسألة عنه.³ وعرف عن حمو بن أفلح نسخه للكتب أيضاً، إذ نسخ عشرة كتب أرسلها إلى بعض الملوك بعد أن طلب منه زيري بن كلمين مقدم بن دمر ذلك، فكانت محسنة النسخ، وأيضاً وجد كتباً مقطوعة دون جواب فأجاب عنها كلها، ثم وجدت بعد ذلك الأجوبة في موضع آخر، وعرفت بأنها أجوبته.⁴

وأورد أبو زكرياء يحيى بن الخير بن أبي الخير الجناوني النفوسي⁵ (ق: 5هـ/11م) سبب تأليفه كتاب الوضع وهو مختصر في الأصول والفقه "أما بعد فإنه رغب إلي رغب من إخواني، وأخ في الله تعالى من أخداني، وسألني تلخيص أبواب من أصول الدين والمسائل الشرعيات، ليكون له المجموع من ذلك مفزاً يحور إليه عند الملمات فأسغفت مراده على قصور مني في الدرايات، وقلة فهم مني في العلم والروايات، فاستخرت الله تعالى لمقصودي، وهو الولي للخيرات، وعليه الاعتماد والاتكال في تيسير المهام"⁶.

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص725.

² من مشايخ وارجلان، عرف عنه علمه الواسع ونكاؤه الشديد، تعلم عند الشيخ أبي محمد ويسلان، ثم انتقل إلى الشيخ سعد بن ييفاو مع مجموعة من العزابة. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص122.

³ الشماخي، كتاب السير، ج2، ص559-560.

⁴ إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص123.

⁵ من علماء جبل نفوسة، وهو حلقة في سلسلة نسب الدين، أخذ عنه الكثير من العلماء منهم أبو الربيع سليمان بن يخلف، له مؤلفات منها: الأحكام، الصوم، النكاح، إبراهيم بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص456..

⁶ يحيى بن الخير الجناوني، كتاب الوضع، تح: أحمد بن صالح الشيخ أحمد، بكير بن محمد بن عيسى فخار، مكتبة الضامري، ط1، عمان 2015. ص46.

ثانيا: التأليف المشترك.

التأليف المشترك من أهم مظاهر التأليف التي تميزت به الحياة العلمية لدى إباحية بلاد المغرب، ويظهر أن هذه التأليف كثير ما يطبع عليها الطابع الموسوعي الذي يتميز بتعدد المواضيع التي تعالجها، وبطبيعة الحال فإن إنجازها يتطلب تضافر مجهودات مختصين في هذه العلوم، مع عرضها على أبرز العلماء فهما ونقدا لإبداء آرائهم وإجازتها، وحفظا للأمانة العلمية والأخلاقية جرت تسمية هذه الكتب بعيدا عن مؤلف معين في غالب الأحيان، كذلك فإن المجال الجغرافي لم يكن أبدا عائقا لتحقيق هذه المشاريع، إذ أن الغرض أسمى من أن يعيقه بعد المسافات، فنجد من المؤلفين شخصيات من المغربين الأوسط والأدنى، في صورة تجسّد التضحية من أجل الإنتاج العلمي ومن أمثلة ذلك نذكر:

الديوانان الفقهيان (الأشياخ والعزابة):

لقد كانت الموسوعتان الفقهيّتان اللتان ألفتا في غار أمجاج بجربة، وفي أريغ من أبرز مظاهر الاشتراك في التأليف أو التأليف المشترك، وذلك لضخامة الإنجازين وقيمتها العلمية من جهة، وأيضا لمكانة مؤلفيهما، وإن كانت تسمية الموسوعتين قد اعتراها بعض الخلط لتشابه المصطلحات وتداخلها حيث يطلق على الديوان الذي ألف في أريغ أحيانا لفظ العزابة، إلا أن الفرق يكمن في اختلافهما في المؤلفين والمكان والمحتوى.

ديوان غار أمجاج أو ديوان الأشياخ: هذا الغار يوجد بجزيرة جربة اجتمع فيه سبعة من العلماء ألقوا اثنا عشر جزءا، تلف منه جزء وبقي احدى عشر جزء وتولى أبو عمران موسى بن زكرياء التجديتي(حي في: 405هـ/1014م)¹. نسخ الديوان بنفسه لما عرف عليه

¹ يظهر أنه هو نفسه أبو عمران موسى بن زكرياء، ينبغي الإشارة إلى أنه اختلف في نسبه بين كونه من زميرين، أو دمر، إلا أن الواضح أنه نشأ بتجديت وفيها قضى أغلب حياته، فهو أحد علماء بلدة تجديت في المغرب الأوسط، أخذ العلم عن أبي صالح بكر بن قاسم، وكان له حلقة علم ساهمت في تكوين علماء كبار ساهموا في نشر العلم في سائر بلاد المغرب من أمثال أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي وغيره. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص429.

من جودة خطه، واتفقت أغلب المصادر الإباضية على أن الذين اشتركوا في هذا التأليف سبعة علماء فحسب طبقات الدرجيني مؤلفو هذا الديوان هم:

- 1- أبو عمران موسى بن زكرياء التجديتي.
 - 2- جابر بن سدرمام المزاتي الجربي.
 - 3- كباب بن المصلح المزاتي.
 - 4- أبو عمرو النميلي الزواغي.
 - 5- عبد الله بن مانوج الجربي.
 - 6- أبو مجبر توزين المزاتي.
 - 7- أبو يحيى زكرياء بن جرنان النفوسي¹.
- أما الوسياني فأثبت ما جاء به الدرجيني من مؤلفين فذكر أن التأليف اشترك فيه:

- 1- أبو محمد عبد الله بن مانوج الهواري الجربي.
 - 2- أبو عمران موسى بن زكرياء التجديتي.
 - 3- أبو عمرو النميلي الزواغي.
 - 4- جابر بن سدرمام الجربي.
 - 5- كباب بن المصلح المزاتي.
 - 6- أبو مجبر توزين المزاتي.
 - 7- أبو زكرياء يحيى بن كرنان النفوسي².
- وجاء في موجز أبي عمار عبد الكافي تسمية المؤلفين بما يلي:

- 1- أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي.
- 2- أبو عمران المزاتي.

¹ الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص409.

² الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص343.

- 3- أبو عمرو النميلي.
 - 4- جابر بن سدرمام المزاتي.
 - 5- كباب بن مصلح المزاتي.
 - 6- أبو مجبر توزين المزاتي.
 - 7- أبو زكرياء يحيى بن جرنان النفوسي¹.
- رغم أن محقق سير الوسياني في دراسته الأولية قد ذكر بأن أبا زكرياء قد أسقط أحد المؤلفين وهو أبو زكرياء يحيى بن جرنان، فذكر ستة فقط، غير أننا وجدنا في نسخة أبي زكرياء بتحقيق عبد الرحمن أيوب ذكرا للسبعة المؤلفين بأكملهم، والأمر ربما يرجع إلى خطأ وقع فيه المحقق، أو اعتماده على نسخة أخرى من كتاب السير لأبي زكرياء.

وذكر أبو زكرياء على ما وجدنا المؤلفين التالية أسماؤهم:

- 1- أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري.
- 2- أبو عمران موسى بن زكرياء.
- 3- أبو زكرياء يحيى بن جونان النفوسي.
- 4- جابر بن سدرمام.
- 5- كباب بن مصلح المزاتي.
- 6- أبو عمران النميلي.
- 7- أبو جبير² (أبو مجبر تورنين)

وبالمقارنة بين ما أوردت هذه المصادر من ذكر لمؤلفي هذه الموسوعة، نجد أنهم اتفقوا في كونهم سبعة مؤلفين اجتمعوا في غار أمجاج بجزيرة جربة لغرض وضع هذا المصنف لا غير، غير أنهم اختلفوا اختلافات بسيطة إما في تقديم أو تأخير الأسماء عند سردها، أو في

¹ أبو عمار عبد الكافي، الموجز، ج2، ص290.

² أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص284.

كتابة الأسماء كأبي زكرياء الذي ذكر أبو جبير، وذكره الوسياني بأبي مجبر، وإن كانت المصادر قد سردت المؤلفين، غير أنها أغفلت تحديد صاحب كل كتاب، وإن كان الدرجيني والوسياني قد ذكرا أن موسوعة العزابة قد نسبت لأبي عمران موسى التجديتي لتوليه كتابتها بخط يده، إلا أننا لم نعثر على نص ينسب الموسوعة إليه، ربما ظهر هذا الخلط مع صدور الموسوعة، ثم صحح مبكرا منذ عصر المؤلفين أو قبلهما، ونستشف هذا من قول الدرجيني "وتولى نسخه أبو عمران لما خصه الله من جودة الخط فنسب إليه التصنيف وليس له ما عليهم فضل سوى فضل البنان، وإلا فهو كأحدهم في فضل البنان شريكا فيما أودعوه شركة عنان"¹ ويحمل قول الدرجيني إشارتين الأولى أن النسب إلى أبي عمران كان مع انتهاء العمل على الموسوعة، ثم صحح هذا الخطأ، والإشارة الثانية أن العمل كان مقسما بينهم، وإن لم يذكر طبيعة عمل كل منهم.

ديوان العزابة: ويعرف أيضا بديوان أريغ، ألفه شيوخ من العزابة من مناطق مختلفة من بلادي المغربين الأوسط والأدنى، ويعد تأليف هذا الديوان مظهرا بارزا من مظاهر التنسيق والاشتراك في التأليف كون هؤلاء المشايخ، وعلى اختلاف أصولهم اجتمعوا هذه المرة في أريغ ودونوا خمسة وعشرين جزءا فحسب الدرجيني مؤلفوه هم:

- من نفوسة أمسنان: يخلفتن بن أيوب، ومحمد بن صالح
- من قنطرار: يوسف بن موسى.
- من تجديت: يوسف بن عمران بن أبي عمران المزاتي، إسماعيل بن يدير.
- من أريغ: عبد السلام بن أبي السلام، وجابر بن حمو، وإبراهيم بن أبي إبراهيم.

وقد شارك أبو العباس أحمد بن محمد هذه الجماعة في تأليف هذا الديوان، فاختص بجمع كتاب الحيض، أما الشيخ إسماعيل بن يدير فألف كتاب الصلاة الذي كان أحسن تأليفا، وألف يخلتقن بن أيوب كتاب النكاح، ومحمد بن صالح كتاب الوصايا. ومع الانتهاء

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص409.

من هذا العمل تم عرضه على أبي العباس أحمد، وأبي الربيع سليمان، وماكسن بن الخير، فاستحسنوه وباركوه¹.

حسب رواية الوسياني فإن مؤلفي الديوان ثمانية مشايخ هم:

- من نفوسة أMSNان: يخلفتن بن أيوب، ومحمد بن صالح.
- من قنطنار: يوسف بن موسى الدرجيني.
- من تجديت: يوسف بن عمران بن أبي عمران موسى بن زكرياء المزاتي.
- من أريغ: عبد الله بن أبي سلام الرمولي، وجابر بن حمو الزنزفي، وإبراهيم بن أبي إبراهيم الدجمي².

وأضاف إلى هؤلاء المؤلفين أبا رحمة صنادي الوارجلاني³ (ق:5هـ/11م) واختلف الوسياني عن الدرجيني في إسقاطه لاسم إسماعيل بن يدر، وانفرد بذكر أبي رحمة صنادي، قد يرجع الأمر إلى أن الدرجيني لم يكن متأكدا من ضم كتابه في الصلاة إلى المؤلفات الخمسة والعشرين، أم كونه زائدا عليها، وذلك في قوله "ولست أدري هل الأجزاء المتقدمة الذكر داخلة في تكملة الخمسة والعشرين، أم زائدة عليها"⁴ هذا فيما يتعلق بإسقاط اسم إسماعيل بن يدير، أما إضافة أبي رحمة صنادي فهذا انفراد راجع ربما إلى الرواية التي اعتمد عليها الوسياني.

وعن الكتب التي اختص كل مؤلف بتأليفها، فيورد لنا الوسياني بعض المعلومات، فيذكر أن واضع كتاب النكاح ومسائل الخالات هو الشيخ يخلفتن بن أيوب، وواضع كتاب الصلاة هو الشيخ إسماعيل بن يدير، وواضع كتاب الحيض ومسألة السر هو الشيخ أبي

¹ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص455-456.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص707.

³ من مشايخ ورجلان، اهتم بعلم الكلام. ينظر: مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص237.

⁴ الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص456.

العباس أحمد بن محمد، وواضع كتاب الوصايا هو الشيخ محمد بن صالح إلا أنه يقال أنه تركه في الألواح فأتمّه أبو العباس بعده¹.

أما أبو عمار الكافي الوارجلاني (ق: 6هـ/12م) فقد ذكر بأن هناك اختلافا في عدد الكتب بين من يقول بأنها أربعة وعشرون جزءا، وبين من يقول بأنها خمسة وعشرون جزءا، وفصل في أجزاء هذه الكتب ومواضيعها وهي:

- كتاب الصلاة في ثلاثة أجزاء.
- كتاب الأحكام في ثلاثة أجزاء.
- كتاب الزكاة في جزئين.
- كتاب البيوع.
- كتاب الطهارات.
- كتاب الصيام.
- كتاب الرهن.
- كتاب الإجازات والفرائض والعواري.
- كتاب نفقة الأولياء.
- كتاب الضمانات.
- كتاب الديات والقصاص.
- كتاب النكاح.
- كتاب حقوق الوالدين.
- كتاب الحيض والنفاس.
- كتاب المواريث والفرائض.
- كتاب في مسائل المناسك².

يعد كتاب الوصايا والبيوع من بين مظاهر التأليف المشترك أيضا حيث اجتمع ثمانية من العزابة هم: حمو بن أفلح الوارجلاني (ق: 5هـ/11م)، ويحيى بن ويجمن الأريغي، وأحمد بن أبي عبد الله بن بكر، وعبد الله بن عيسى الوسياني، ويحيى بن يدير الوسياني، وأحمد بن

¹ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص703-704.

² أبو عمار عبد الكافي، الموجز، ج2، ص290.

ويجمن، وعبد الرحيم بن عمر¹ (ت: 504هـ/1110م)، والعز بن تاغيارت الوارجلاني، بعد أن رأوا أن من حسن الرأي أن يكتبوا ما أجاب عنه الشيخ أبو محمد ويسلان الجربي، فكتبوا الإجابات عند كل مجلس في الألواح ثم عرضوها على الشيخ فوافقهم عليها². وبالعودة إلى الحديث عن أبي الربيع سليمان بن يخلف القابسي الذي أجاب التلاميذ لكتابة مؤلف، فإن الوارجلاني استأنف روايته بالحديث عن التلاميذ الذين راودوا أبا الربيع عن التأليف وعاودوا الكرة، ولم ينتظروه، ليؤلف كتابه، بل أخذ أكابرهم ألواحاً وتفرقوا أثناء التأليف، وكان هو الآخر مشاركاً، والتلاميذ يزيدون ما ذكره في المجلس على ما يظهر من كلام الوارجلاني " فإذا قام من مجلسه وقد نظم لهم فنون العلم، صاروا يؤلفون كل ما جاء في مجلسه، وقد ألغوا ألواحاً كثيرة أبوابها فعرضوها عليه، فطائفة أسقطت له كثيراً وطائفة أسقطت ألواحاً³ وعليه يظهر أن أبا الربيع كان مؤلفاً ومدرساً، والتلاميذ حوله يستمعون ثم يكتبون ما ذكر ولم يكتب.

ذكر أن الكتاب المنسوب إلى الشيخ سعد بن ييافو النفوسي (ق: 5هـ/11م) إنما هي مسائل وقف عليها أبو محمد ويسلان الجربي، وكتبها حمو بن أفلح الوارجلاني في خزف، فأجاب عليها الشيخ سعد لستة تلاميذ كانوا قد له من عند الشيخ أبي محمد ويسلان وهم: الشيخ حمو بن أبي عبد الله، وأحمد بن الشيخ ويجمن، وأخوه الشيخ يحيى بن ويجمن الأريغي، والعز بن تاغيت الوارجلاني، وعبد الرحيم بن عمر، ورغم أن الشيخ سعداً هو من أجاب على المسائل إلا أن الكتاب ما كان ليتم لولا طرح الشيخ أبي محمد ويسلان له، وبذلك يمكن أن نعتبر أن الشيخ سعداً قد أكمل ما بدأه الشيخ ويسلان⁴.

¹ عالم وفقه أخذ عن أبي محمد ويسلان، روى عنه الوسياني والسوفي في السؤالات. ينظر: مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص253.

² الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص568.

³ أبو زكرياء، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص275.

⁴ الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص317-318.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة التي قمنا بها، وانطلاقاً من إشكالياتها الرئيسية، وتسؤلاتها الفرعية؛ خلصنا إلى عدة استنتاجات ونتائج

إن المتتبع لتاريخ الإباضية في بلاد المغرب انطلاقاً بالدعوة، ثم نشأة الدولة الرستمية، وحتى بعد سقوطها، يلاحظ التأثير الكبير لكل هذا في تشكل مخيال جمعي جعل من أتباع المذهب الإباضي يميلون إلى التكتل ونسج تواصل حضاري على كافة الأصعدة؛ تواصل كان المحرك الأبرز فيه الولاء للمذهب، والأخوة بين منتسبيه.

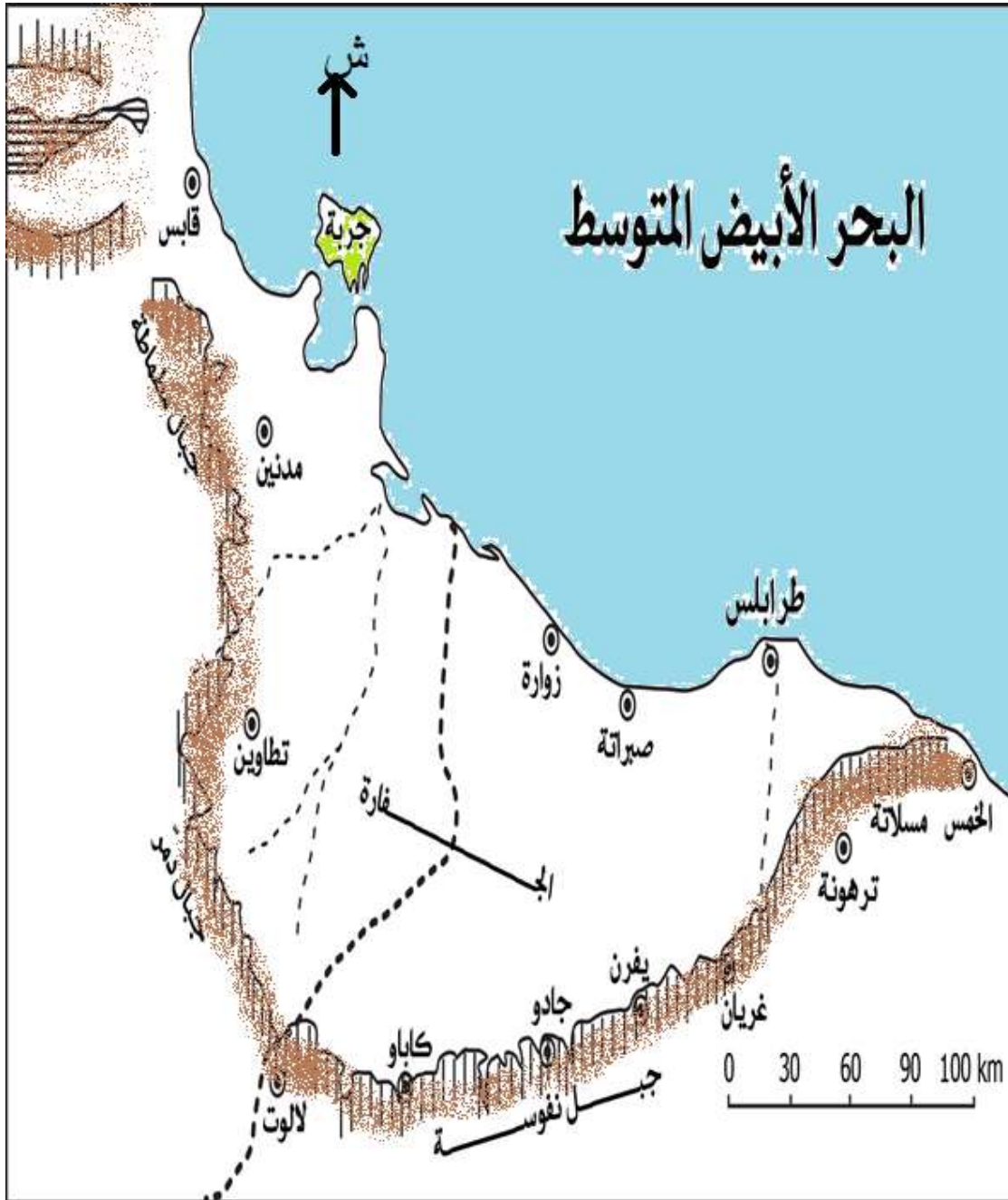
ففعلت الصلة المذهبية العلاقات الحضارية، التي تنوعت في مظاهرها، اجتماعية كانت، أم علمية، إلا أنها توحدت بشكل كبير في أهدافها، خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية، وفي فترة عرفت فيها بلاد المغرب تحولات مذهبية وسياسية واجتماعية، وعليه فإن قراءة هذا التواصل يجب أن ينطلق من واقع الإباضية في تلك الفترة، كمجتمعات فاقدة لوعاء سياسي، وفي ضل تخوف من الانحسار، كان لكل ما ذكرنا أثر بالغ لإباضية المغرب الأوسط، وإباضية المغرب الأدنى، في الجنوح نحو توطيد تواصل اجتماعي، اقتصادي، وعلمي كنا قد تتبعنا مظاهره المختلفة.

فعلى المستوى الاجتماعي دنت العصبية القبلية، وعلت الأخوة المذهبية، فكان تواصل الإباضية مع إخوانهم يُحَكَّم بالدين ويُشَرَّع فيه، فصبغت مختلف مظاهر التواصل الاجتماعي بصبغة الأخوة الدينية، فصار التزاور لله، والهجرة لله، والضيافة لله، وبذلك كان للمحرك الديني القوي أثر عَلاً المحرك القبلي، وتجسد ذلك من خلال الحركة الكبيرة التي كان يقوم بها الإباضية للمجالين من خلال الزيارات، وأيضاً الهجرة بمختلف أغراضها، وكذا المظاهر الاجتماعية التي اكتتفت كل هذا من تضامن وتآزر وتقبل.

أما على المستوى الاقتصادي فإن مجال الإباضية في بلاد المغرب الأوسط والأدنى قد شهد أنشطة اقتصادية متقاربة، فسيطرت زراعة النخيل على النصيب الأكبر من الأنشطة الزراعية التي مارسها الإباضية، وذلك مرده إلى أن استقرار العديد من الإباضية كان في مجالات واحة، ضف إلى ذلك زراعة الزيتون والحمضيات والأعنبات والحبوب، في المناطق التي تصلح لذلك، وإن كان التقارب في المنتجات الزراعية قد قلل ربما من حركية تجارية في المواد الزراعية، ألا أن ذلك لم يمنع من التبادل التجاري والتفاعل الاقتصادي، كون الكثير من الحواضر الإباضية تموقعت في مناطق استراتيجية، وعُرف عن الكثير من الإباضية ممارستهم التجارة في مناطق مختلفة، وتعامل الإباضيون في المغرب الأوسط، مع الإباضيين في المغرب الأدنى اقتصاديا ممن خلال الاستثمار، أو الرعي أو غيرهما.

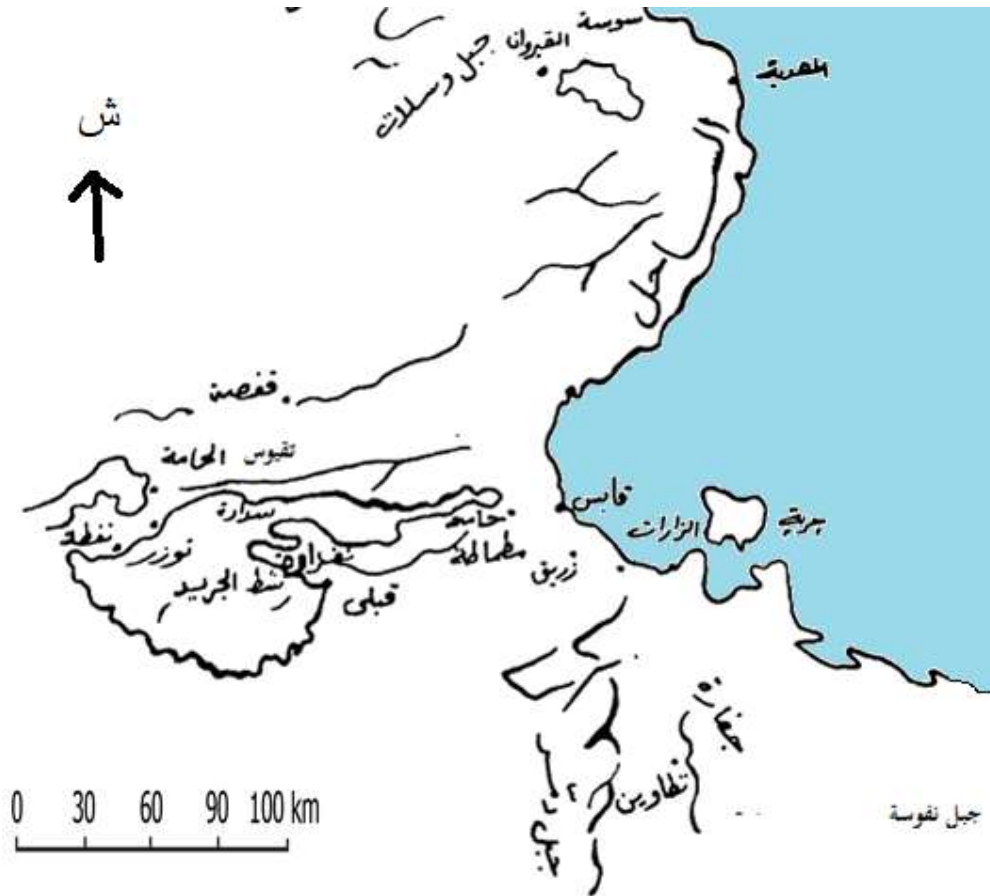
عبرت العلاقات العلمية عن عمق التواصل الحضاري، بدءا بالرحلات العلمية الكثيفة للطلبة والعزابة التي قصدوا مختلف المناطق لعقد الحلقات العلمية، أو تدارس الكتب، أو التتلمذ على يد أبرز المشائخ، والتي ساهمت في تواتر العلوم المختلفة، وكذلك السير، وأيضا النقاشات العلمية التي شارك فيها إباضيون من المغرب الأوسط والأدنى، وكذا الفتي والمراسلات، والكتب، كل هذه الصور أبرزت ما حضى به التواصل العلمي من أهمية بالغة، لأن طلب العلم وفق المذهب الإباضي يحقق تمايز المجتمع بما يحقق وحدته المذهبية، وخصوصيته الدينية. ونسج العلاقات العلمية يحقق هذين الغايتين.

الملاحق



العنوان: خريطة توضيحية حول جبل نفوسة وأهم الحواضر الإباضية فيه

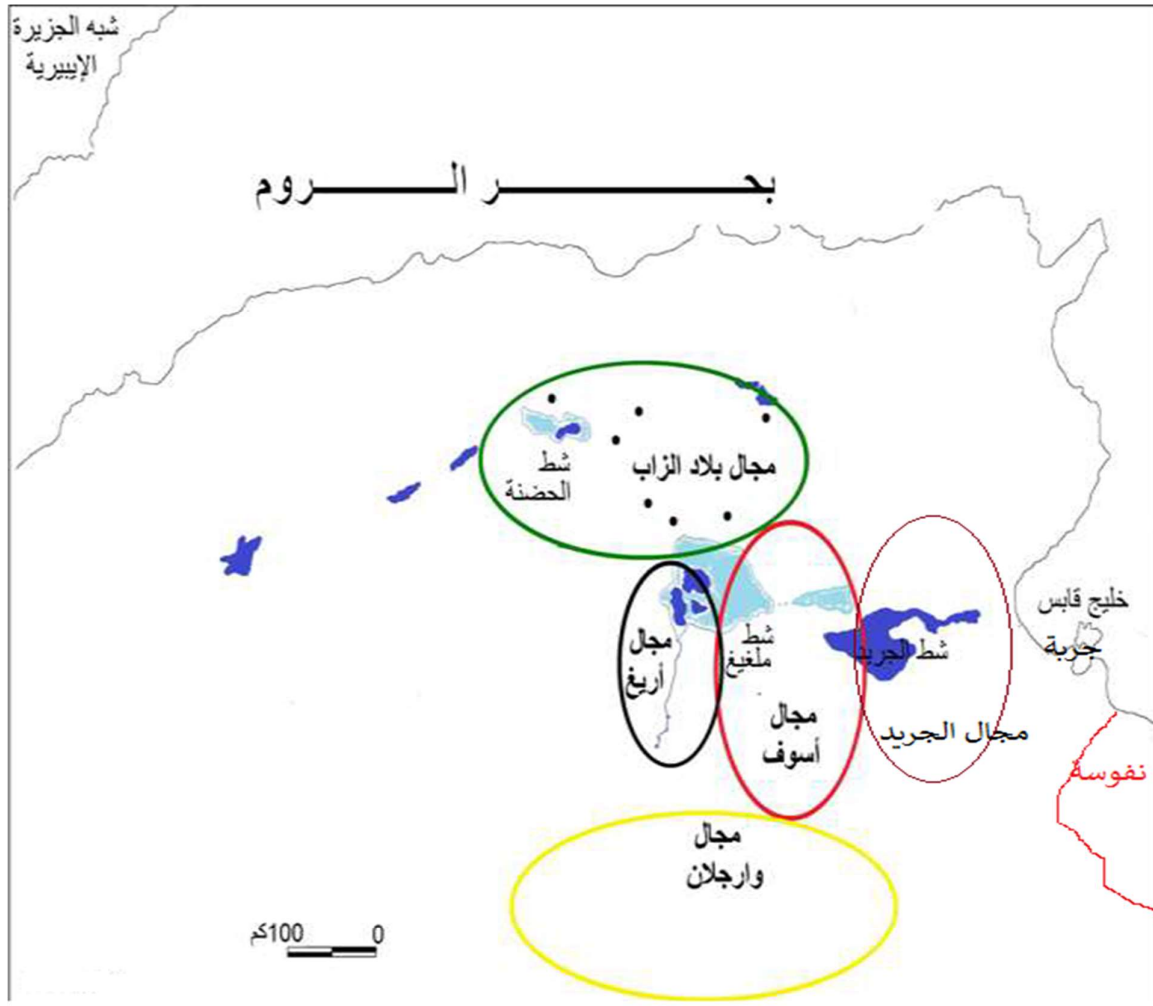
بالاعتماد على: جون ديبوا، جغرافيا جبل نفوسة، ص 31.



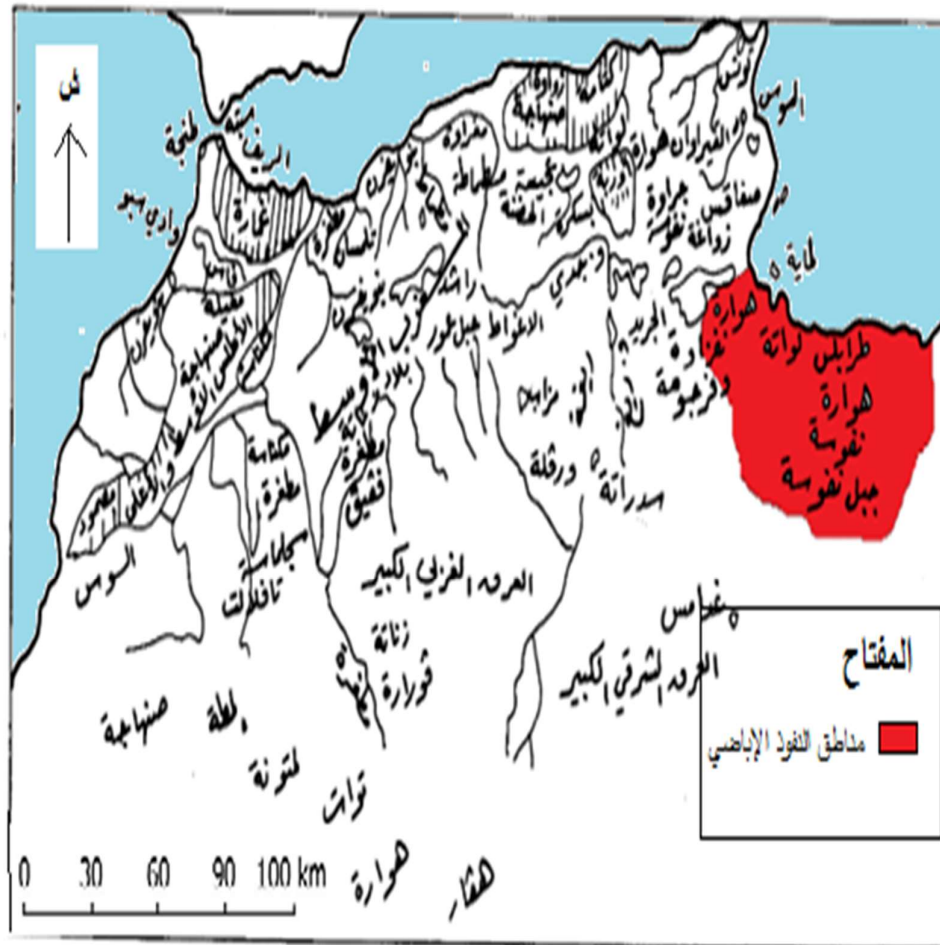
العنوان: خريطة لأهم الحواضر والأقاليم ببلاد الجريد وإفريقية

بالاعتماد على باجية صالح، الإباضية في خلال العصور الإسلامية الأولى، ص 191

الملحق 03: خريطة توضح أهم مناطق تواجد معتنقي المذهب الإباضي خلال القرن الثالث هجري التاسع ميلادي بالمغرب الإسلامي

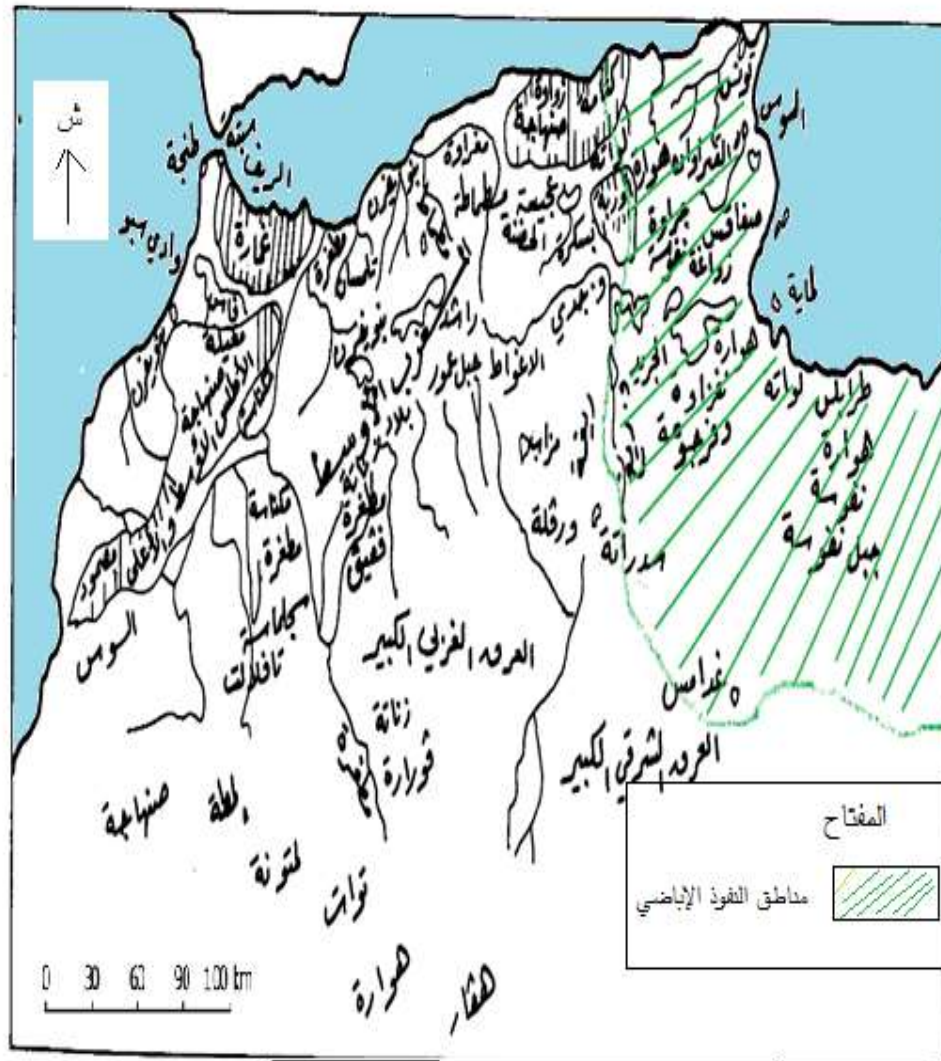


عمار غرايسة، التحولات الاجتماعية والثقافية في واحات المغرب الأوسط (الزاب، أريغ، أسوف، وارجلان) من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي (أطروحة دكتوراه التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2018-2019 م ص245(بتصرف)



العنوان: خريطة توضح مناطق النفوذ الإباضي عند سنة 132هـ/751م

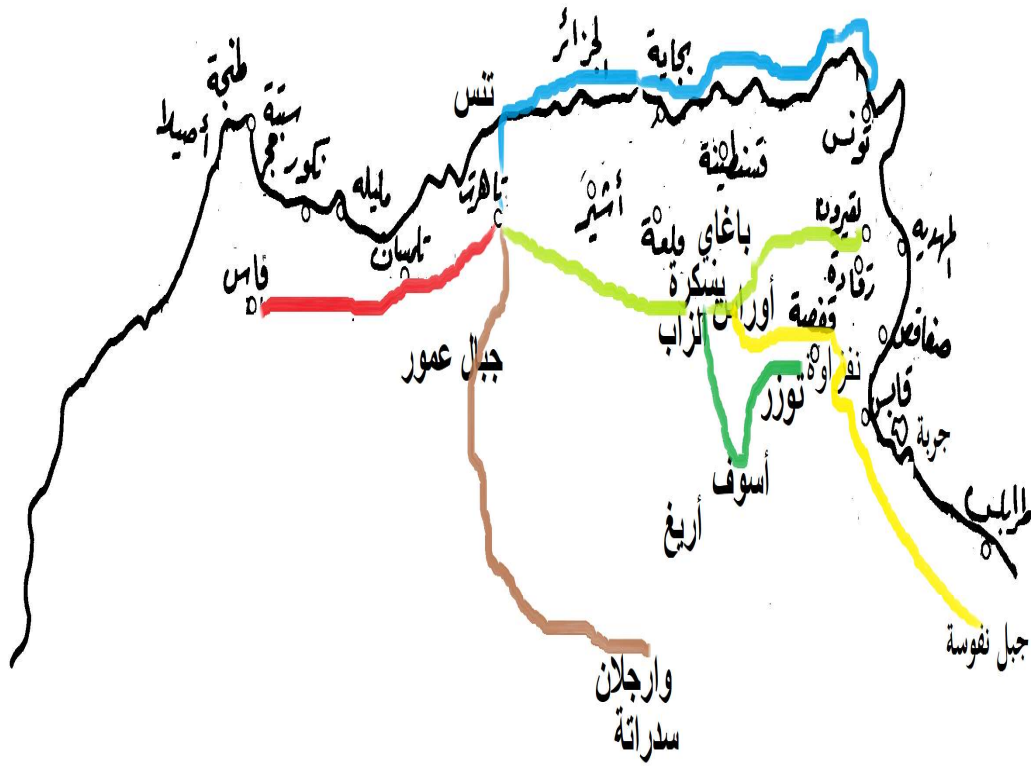
بالاعتماد على: محمد بن عميرة، نور زلانة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، ص 311



العنوان: خريطة توضح مناطق النفوذ الإياضي عند سنة 141هـ/759م

بالاعتماد على: محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، ص 312

الملحق 06 : خريطة توضح شبكة طرق التي ربطت تيهرت



إنجاز شخصي بالاعتماد على

T. Lewicki, LA DJAMMT AL-MOUSLIMIN DE BASRA

ET LES ORIGINES DES IMAMATS IBAADITES, BENI-ISGUEN

MARS 1985

والمصادر والمراجع الواردة في متن النص.

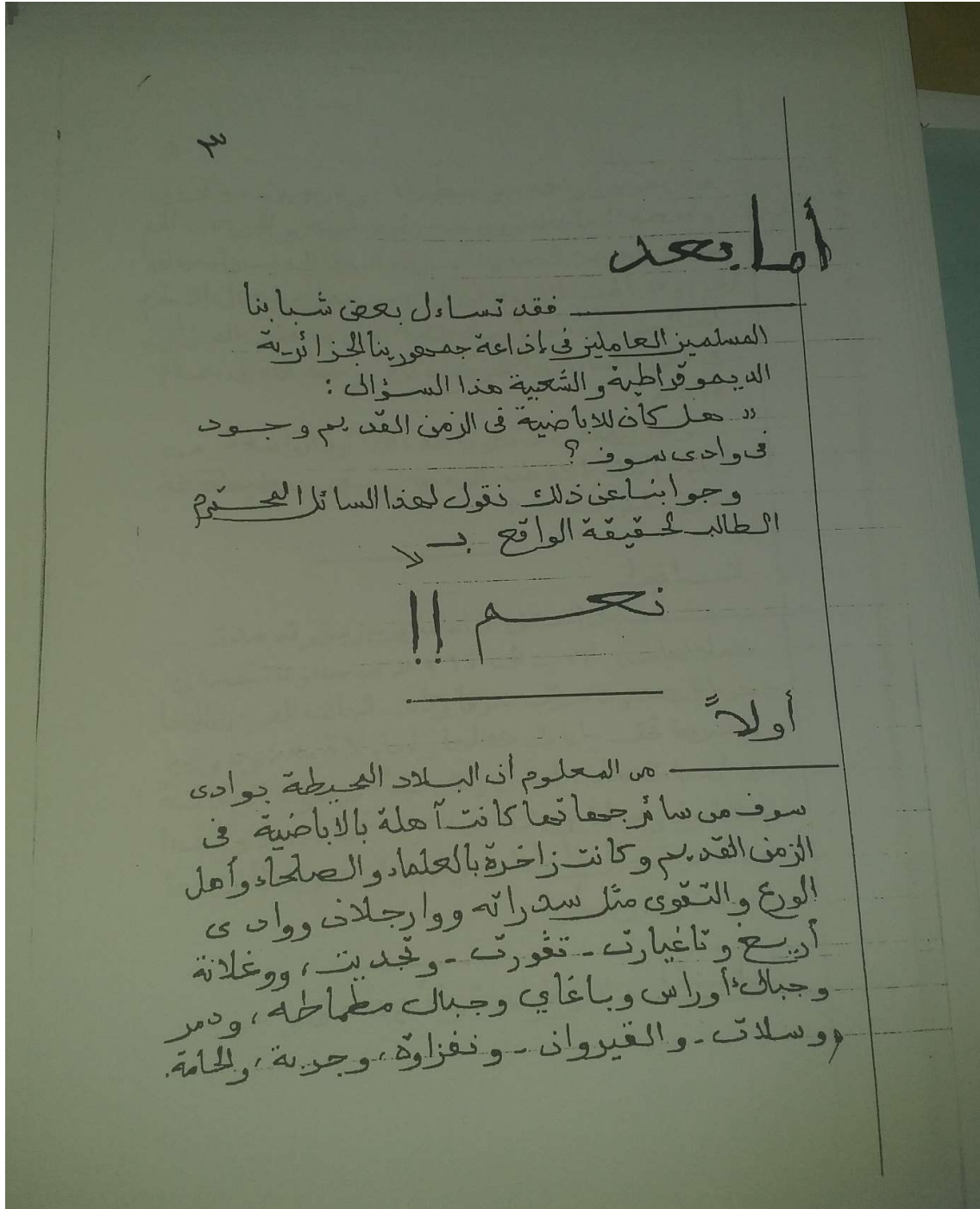
- تیهرت فاس
- تیهرت القیروان
- تیهرت الجرید
- تیهرت وارجلان
- تیهرت جبل نفوسة



280

الملحق 08: واجهة مخطوط أبو يقظان إبراهيم بعنوان هل للإباضية في الزمن القديم وجود

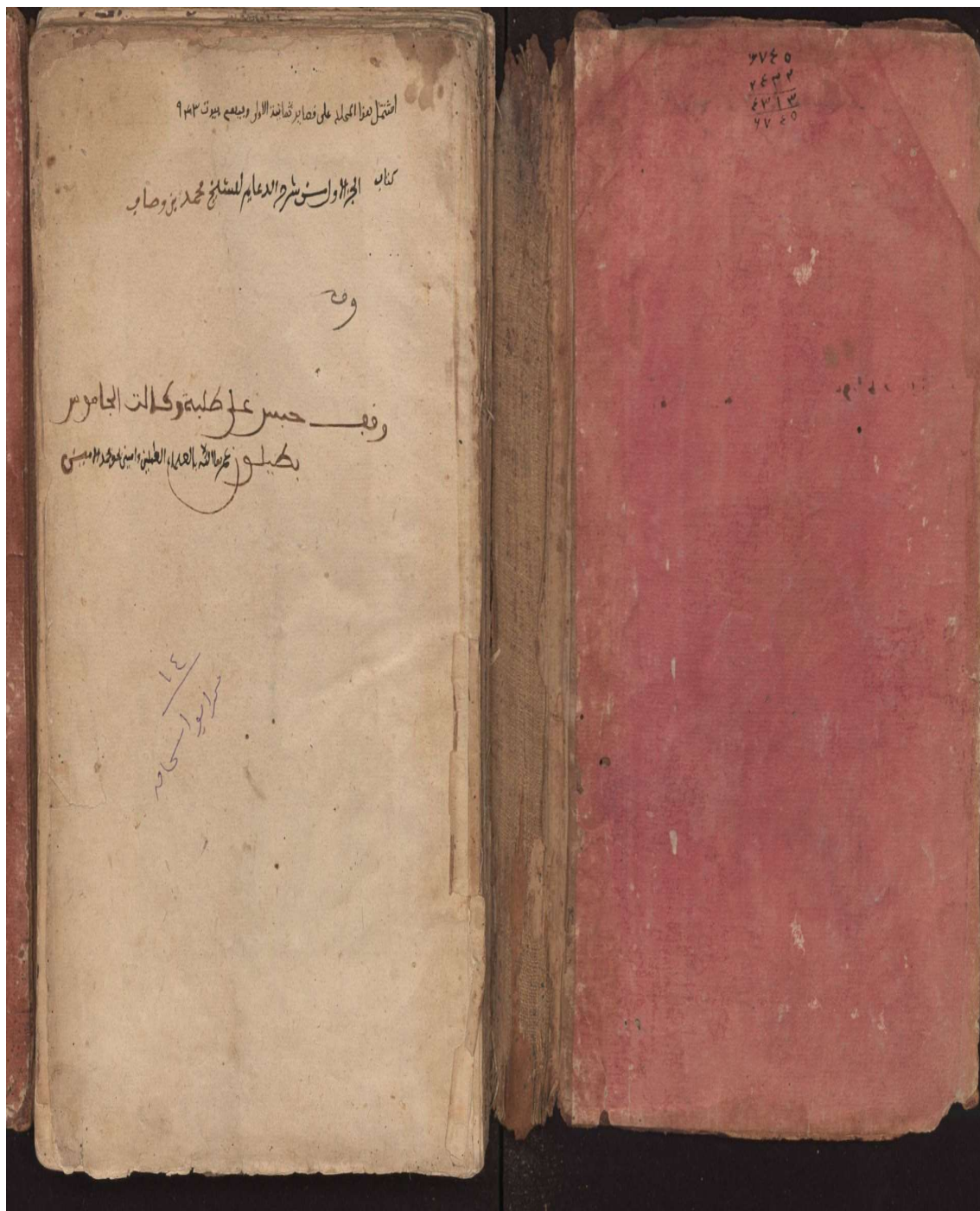
في سوف



أبو اليقظان إبراهيم: مخطوط بعنوان هل للإباضية في الزمن القديم وجود في سوف؟، مكتبة

جمعية أبي اليقظان إبراهيم، القرارة الجزائر، دون رقم جرد.

الملحق 09: واجهة مخطوط الحل والإصابة



محمد بن وصاف: مخطوط الحل والإصابة، وهو شرح لكتاب الدعائم، مكتبة ، الشيخ أحمد

بن حمد الخليلي رقم: AK: 01

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات.

- 1- حمد بن وصاف : مخطوط الحل والإصابة، وهو شرح لكتاب الدعائم، مكتبة ، الشيخ أحمد بن حمد الخليلي رقم: AK: 010
 - 2- أبو اليقظان إبراهيم: مخطوط بعنوان هل للإباضية في الزمن القديم وجود في سوف؟، مكتبة جمعية أبي اليقظان إبراهيم، القرارة الجزائر، دون رقم جرد.
- ثانياً: المصادر المطبوعة.

- 1- إبراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96 - 296 هـ / 715 - 909م) (عصر الولاة - المدراريون - الرستميون - الأدارسة - الأغالبة)، ط1، جمعية التراث، الجزائر 2006.
- 1- ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن (ت327)، الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1953.
- 2- ابن الحاجب أبي عمر عثمان، شرح مختصر المنتهى الأصولي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004.
- 3- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، لبنان، (د.ت).
- 4- ابن حوقل أبي القاسم، صورة الأرض، دار صادر، ط2، لندن، 1968.
- 5- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق، خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر العربي، (د.ط)، لبنان، 2000.
- 6- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 2001.
- 7- ابن خليكان أبو العباس أحمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- 8- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- 9- ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط1، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- 2- ابن عميرة محمد: بنو خزر، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، الجزائر، 1984.
- 3- ابن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1985م.
- 10- ابن عيسى تبغورين: كتاب متن الجهالات في علم التوحيد، تح: ونيس عامر، (د.ط) تونس 2003.
- 11- ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1988م.
- 12- ابن يخلف أبو الربيع سليمان، التحف المخزونة، تح: محمود بن جمعة، مكتبة خزائن الآثار، ط1، سلطنة عمان 2017.
- 13- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الحديث ، ط1، مصر، 1991.
- 14- أبو الربيع سليمان بن يخلف، كتاب السير، تح: حاج سعيد مسعود، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط2، سلطنة عمان، 1993
- 15- أبو العباس أحمد بن محمد، القسمة وأصول الأراضي، تح: بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر، نشر جمعية التراث، ط2، القرارة، 1997.
- 16- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، (د.ط) لبنان، (د.ت).
- 17- أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- 4- أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، في السياسية والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة (د.ت).
- 18- أبو عمار عبد الكافي، آراء الخوارج الكلامية الموجز، تحقيق: عمار طالبي، موفم للنشر، (د.ط)، الجزائر، 2003.
- 19- الإدريسي أبو عبد الله محمد ، وصف إفريقيا الشمالية، تح: هنري بريس، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية، (د.ط)، الجزائر، 1957.

- 20- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ق: 6هـ/9م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، القاهرة، 2002.
- 5- إسماعيل محمود، الأدارسة، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1991.
- 6- أسماوي صالح بن عمر، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، مطبعة الفنون الجميلة، ط1، الجزائر، 2008.
- 21- الاصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي (ت: 346هـ)، مسالك الممالك، دار صادم، (د.ط) بيروت، 2004.
- 22- الاصطخري أبي إسحاق إبراهيم، كتاب صورة الأقاليم، مكتبة ليدن، 1870.
- 23- الأصفهاني الحافظ أبي النعيم أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، (د.ط)، القاهرة، 1996م.
- 24- أعزام إبراهيم بن صالح، غصن البان في تاريخ ورجالان، تح: إبراهيم بحاز، سليمان بومعقل، مطبعة العالمية، ط1، الجزائر، (د.ت)
- 7- الألباني محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثره السيء في الأمة، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، 1992.
- 8- باجية صالح، الإباضية بالجريد خلال العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، تونس 1976.
- 25- الباروني سليمان باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، ط1، لندن، 2005.
- 9- بحاز إبراهيم وآخرون، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2000.
- 10- بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، ط2، القرارة، 1993م.
- 11- بحاز إبراهيم، القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96 - 296هـ / 715 - 909م) (عصر الولاة - المدراريون - الرستميون - الأدارسة - الأغالبة)، ط1، جمعية التراث، الجزائر 2006.

- 26- البخاري أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت256هـ)، التاريخ الكبير، تح: المعلمي اليماني، دار المعارف العثمانية، ط2، حيدر آباد 1962.
- 27- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار بن كثير، ط1، بيروت، 2002.
- 28- البرادي أبي القاسم بن إبراهيم، الجواهر المنتقاة، تح: أحمد بن سعود السيادي، دار الحكمة، ط1، لندن، 2014.
- 29- البسوي أبو يوسف يعقوب بن سفيان، كتاب المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، ط1، المدينة المنورة، 1410هـ.
- 30- البغدادي أبي منصور عبد القاهر، الملل والنحل، تحقيق، ألبيير نصري نادر، دار المشرق، (د.ط)، بيروت، 1970م.
- 31- البغطوري مقرين بن محمد النفوسي، روايات الأشياخ، تحقيق: عمر بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، ط1، عمان، 2017.
- 32- البغطوري مقرين، سير مشائخ نفوسة، تحقيق توفيق عياد الشقروني، تاوليت، (د.ط)، (د.ب)، 2006.
- 12- البكاي لطيفة، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-136هـ)، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2001.
- 33- البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، تحقيق، أدريان فان ليفن، أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت 1992.
- 34- البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2003.
- 35- البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، (د.ط)، بغداد، (د.ت).
- 13- بوعصبانة عمر، معالم الحضارة الإسلامية في وارجلان، نشر مديرية الثقافة ورقلة، (د.ط)، الجزائر، 2008م.

- 14- تابليت عمر، هواره ودورها في تاريخ المغرب منذ بداية حركة الخوارج: أواخر القرن 1هـ-7م حتى انتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد 335هـ-946م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011م.
- 15- تاديوش ليفتسكي، دراسات شمال إفريقية، تر: أحمد بومزكو، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، (د.ب)، 2006.
- 36- التجاني أبو محمد عبد الله، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، (د.ط)، تونس، 1981.
- 16- تيري جاك، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، تج: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية، ط1، ليبيا، 2001.
- ثالثا: المراجع العربية والمعرّبة.
- 37- الجزري عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد (ت630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب، العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- 17- الجعيري فرحات، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة، (د.ط)، (د.ب)، 1989.
- 18- جمال الدين عبد الله محمد، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب، إلى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الثقافة والنشر والتوزيع، (د.ط) القاهرة، 1991.
- 38- الجناوني يحيى بن الخير، كتاب الوضع، تج: أحمد بن صالح الشيخ أحمد، بكير بن محمد بن عيسى فخار، مكتبة الضامري، ط1، عمان 2015.
- 19- جهلان عدون، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، نشر جمعية التراث، (د.ط) الجزائر، (د.ت).
- 20- الجهني مانع ابن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، الرياض، 1418م.
- 39- الجيطالي أبو طاهر إسماعيل بن موسى (ت: 750هـ/1350م)، قواعد الإسلام، تحقيق، بشير بن موسى حاج موسى، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1998، ج1.
- 40- الجيطالي سماعيل بن موسى، قواعد الإسلام، تحقيق: بشير بن موسى الحاج موسى، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 2001، ج2.

- 21- حاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، ط4، 2017م.
- 41-الحازمي أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان (ت: 584هـ)، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (د. ط)، (د.ب)، 1415 هـ.
- 22-الحريري محمد عيسى ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، دار القلم، ط3، الكويت، 1987م.
- 23- حسين أحمد إلياس ، الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان، 1996.
- 24- حسين أحمد إلياس، الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان، 1996.
- 25- الحمد عبد القادر شيبه، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، فهرسة مكتبة فهد الوطنية، ط4، الرياض، 1433هـ.
- 42- الحموي شهاب الدين بن عبد الله ، معجم البلدان، دار صادر، (د.ط) لبنان، 1977م.
- 43- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.
- 44-الخراساني أبو غانم بشر بن غانم: المدونة الكبرى، تحقيق: مصطفى بن صالح باجو، وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان، 2007.
- 45-الخراساني أبو غانم بشر بن غانم: المدونة الكبرى، تحقيق: مصطفى بن صالح باجو، وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان، 2007.
- 26- خلفات عوض، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، ط3، سلطنة عمان 1998.
- 27- خلفات عوض، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب، (د ط)، الأردن، 1978.
- 28- دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، (د.ب) 2010م.
- 29-الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية أدورها مواطنها أعيانها، دار الكتاب العربي، د.ط، الجزائر، 2007.

- 30- الدراجي بوزياني، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، (د.ط)، الجزائر 2007.
- 46- الدرجيني أبو العباس أحمد، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر 1974.
- 31- دفترى فرهاد، الاسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، سوريا، 1999.
- 32- ديبوا جون، جغرافيا جبل نفوسة دراسة ميدانية في دراسة في الجغرافيا الطبيعية والبشرية، ترجمة، عبد الله زارو، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، (د.ب)، 2005.
- 47- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تح: مأمون الصاغري، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت 1996.
- 48- الرازي أحمد بن سهيل، أخبار فخر وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، تح: ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1995.
- 33- الراشدي مبارك بن عبد الله، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه، (د.ن) ط1، سلطنة عمان، 1993.
- 34- روبيناتشي روبرتو: العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر (وثيقة قديمة عن حياة نُسّاك الصوامع في الإسلام)، ترجمة، لميس الشجني، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، (د.ب)، 2006.
- 35- الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002.
- 36- زغلول سعد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، المعارف للنشر، مصر، 1993.
- 49- السالمي نور الدين عبد الله، غاية المراد في نظم الاعتقاد، دار الكلمة الطيبة، ط1، سلطنة عمان 2017م.
- 37- سعدي مهنا، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقائدي من خلال كتاب اصول الدينونة الصافي، مكتبة الجيل الواعد، (د.ط)، سلطنة عمان، 2004.
- 50- الشماخي أبو العباس أحمد بن عبد الواحد، كتاب السير، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، تونس، 2009.

- 51- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن أبي بكر، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، (د.ط)، الأردن، 1968.
- 52- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ/1338م)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992.
- 53- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1987.
- 38- عباس نصر الله سعدون، دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1987.
- 39- عبد الرزاق محمد اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، ط2، المغرب، 1985.
- 54- عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، مسائل نفوسة، تحقيق: إبراهيم طلاي، المطبعة العربية، (د.ط)، الجزائر 1991.
- 40- عثمان محمد عبد الستار، فقه العمران الإباضي حتى نهاية ق 12/6م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، سلطنة عمان، 2014.
- 41- عزب محمد زينهم محمد، الإمام سحنون، دار الفرجاني، (د.ط)، القاهرة، 1992.
- 42- العكاك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت، 2003.
- 43- عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د. ط)، الجزائر، 2008.
- 55- العماني أبي بكر أحمد بن النصر، الدعائم، وزارة التراث القومي والثقافة، (د.ط)، سلطنة عمان، 1988.
- 56- العمري شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت749)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، (د.ط)، أبو ظبي، 2003.
- 44- غاوجي وهبي سليمان، أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة والفقهاء، دار القلم، ط5، دمشق (د.ت).
- 57- الفاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق وطباعة دار سور للطباعة والوراقة، (د.ط) الرباط، 1972.
- 58- الفرستائي أحمد بن محمد بن بكر (504هـ)، كتاب أبي مسألة، تح: فهد بن علي بن هاشل

- السعدي، دار ذاكرة عمرة، ط1، عمان 2016.
- 59- القاضي أبو الفضل عياض، تراجم أغلبية، تح محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (د.ط) تونس، 1968.
- 60- القاضي عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف، ط3، (د.ب) 1983.
- 61- القزويني زكرياء بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (د.ط) بيروت (د.ت).
- 62- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت: 821هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب اللبنانيين، ط2، بيروت، 1980.
- 63- القلقشندي أبي العباس أحمد (ت: 821هـ)، صبح الأعشى، دار الكتب الحديوية، (د.ط) القاهرة، 1915.
- 64- القيرواني الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1، ليبيا، 1994.
- 45- الكردي أحمد الحجي وآخرون، المذاهب الفقهية الأربعة، مطبوعات دار الإفتاء، ط1، الكويت، 2015.
- 65- الكندي أبي عمر محمد بن يوسف، الولاة وكتاب القضاة، تح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1908.
- 46- كوبرلي بيير: مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، ترجمة: عمّار الجلاصي، مؤسسة تاوليت الثقافية، (د.ط)، (د.ب)، 2006.
- 47- كوردي محمود حسين، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي (2-8هـ)، طبعة دار الكتب، (د.ط)، ليبيا، 2008.
- 48- لقبال موسى، المغرب الاسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 1981.
- 49- ليفتسكي تاديوش، دراسات شمال إفريقية، ترجمة: أحمد بومزقو، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط1، سلطنة عمان، 2008.
- 50- ليفيتسكي تاديوش: تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم دراسة لُسنية في الأنوميا والطوبونوميا الأمازيغية، ترجمة: عبد الله ژارو، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، (د.ب)، 2006.
- 66- المالكي ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد

- الأحمدي أبو نور، دار التراث، (د.ط)، (د.ب)، (د.ت).
- 67- المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس، تح بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1994.
- 68- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (د.ط) الدار البيضاء المغرب، 1985.
- 69- مجهول، كتاب المعلقة في أخبار وروايات أهل الدعوة، تحقيق: سليمان بابيز، نشر وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان 2009.
- 70- محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ط1، بيروت 1987.
- 71- المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.
- 51- مزهودي مسعود: جبل نفوسة منذ إنتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (442-21هـ / 642 - 1053 م)، مؤسسة تاوليت، (د.ط)، ليبيا، 2003.
- 52- مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296 - 442هـ) (909 - 1058م) ، نشر جمعية التراث، ، (د.ط)، 1996 غارداية.
- 53- المسقري ناصر بن مطر بن سعيد، الإباضية، في ميدان الحق، مكتبة وتسجيلات الهلال الإسلامية، ط1، سلطنة عمان، 1999.
- 54- معمر علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، المطبعة العربية، (د.ط) الجزائر، 1987م.
- 55- معمر علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3، سلطنة عمان 2008.
- 72- المغربي بن سعيد أبو الحسن علي بن موسى ، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970.
- 56- مفتاح صالح مصطفى، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشريعة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، (د.ب)، 1978.

- 57-مفتاح صالح معيوف، جبل نفوسة وعلاقته بالرسومية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، مؤسسة تاوليت الثقافية، (د.ط)، (د.ب)، 2006.
- 73- المقدسي شمس الدين، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1991.
- 74- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمود محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.
- 75- المقرئ تقي الدين أحمد بن علي، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح جمال الدين الشيال، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، القاهرة، 1996.
- 76-المكي أبو طالب (ت386)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تح: محمود إبراهيم محمد الرضواني، مكتبة دار التراث، ط1، القاهرة 2001.
- 58- مهدي محمد حسن، الإباضية نشأتها وعقائدها، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن 2001.
- 77-الناصر أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، المغرب، 1997.
- 78-النعمان القاضي، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس، 1986.
- 59-النوري حمو محمد عيسى، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار البعث، (د.ط)، قسنطينة، (د.ت).
- 79-النووي أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- 80-النويري شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- 60-الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م. ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992.
- 61- الهنتاتي نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، دار تبر الزمان، (د.ط)، تونس، 2004.

- 81-الوارجلاني أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق: عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
- 82-الوارجلاني أبو يعقوب يوسف، رحلة الوارجلاني، تح: يحيى بهون حاج امحمد، وزارة الثقافة، (د.ط)، الجزائر، 2008.
- 83-الوزان الحسن، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983.
- 84-الوسيانى أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان (ق6هـ/12م)، سير الوسياني، تح: عمر بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان، 2009.
- 62- الوهبي مسلم بن سالم، الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثاني الهجري، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان 2006.
- 63-يعقوب لمياء أنور كامل، الإباضية في المغرب العربي دراسة تاريخية في انتشارها ودورها العلمي من القرن الثاني إلى أواخر القرن الرابع الهجريين، الثامن إلى العاشر الميلادي، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط) القاهرة، 2016م.
- 85- اليعقوبي أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: بعد 292هـ)، كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- 64- يوسف جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، الجزائر، 1984.

رابعاً: الدراسات الجامعية.

- 1- البشير غانية، ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ضد الفاطميين ونتائجها على بلاد المغرب(331-336هـ/944-949م)، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2008.
- 2-بوطارن مبارك، تطور العمران الإسلام مدينة القيروان وسجل ماسة نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- 3- بوقاعدة البشير، خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى، بين 296هـ/909م - 547هـ/1152م، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر العاصمة، 2012-

2013.

- 4- دين سايح، الاتجاهات المذهبية ودورها في التطور الثقافي في المغرب الأوسط من القرن 3هـ إلى القرن 6هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016.
- 5- علال بن عمر، إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي وانتقاله من القرن الثالث 3هـ/م إلى القرن 9هـ/م دراسة مذهبية- ثقافية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة غرداية، 2017-2018م.
- 6- غرايسة عمار، المدينة الدولة في المغرب الأوسط وارجلان أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، السنة الجامعية 2007-2008.

خامسا: المقالات.

- 1- بلهوارى فاطمة (2003م)، معارضة محمد بن خزر المغراوي للوجود الفاطمي في بلاد المغرب الأوسط، مجلة عصور جديدة، المجلد 02 (العدد 01)، الجزائر : جامعة وهران 2003م.
- 2- حمدي صلاح الدين، حراني قدور (2018)، موقع تيهرت بين الطرق التجارية بالمغرب الإسلامي، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 01 (العدد 01)، الجزائر: جامعة تيارت، 2018م.
- 3- حملاوي سادسة حمود، أحمد محمد جودي (2017)، الدولة الفاطمية وثروة أبي يزيد الخارجي في المغرب الإسلامي (323-336هـ/934-947م)، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 24، 2017م.
- 4- خلفات كمال (2020)، أثر هجرة العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 01 (العدد 01)، الجزائر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2020م.
- 5- زكار أحمد (2014م)، مدينة ورقلة التسمية والتأسيس، مجلة الباحث، المجلد 06 (العدد 17)، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2014م.
- 6- سلامي رشيد، حول حسم الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة بإفريقية في عهد المعز بن

- باديس الزيري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم 157، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الرباط، 2008.
- 7- شريفي مصطفى بن محمد (2015م): الجانب الاجتماعي في سير الشمّخي، ورقة بحثية مقدّمة إلى: الندوة الدوليّة حول كتب السير الإباضية سير المشايخ لبدر الدّين أبي العباس أحمد بن سعيد الشمّخي 16 - 18 محرم 1437هـ / 30 - 31 أكتوبر - 1 نوفمبر 2015م تونس العاصمة.
- 8- الشيخ بالحاج قاسم بن أحمد، وادي ميزاب حضارة تُصنع في صمت، مجلة الحياة، العدد19، الجزائر.(د.ت).
- 9- عقاب محمد الطيب (1997م)، مدينة تيهرت في بعض المصادر التاريخية المبكرة ، مجلة بحوث، المجلد02(العدد 01)، الجزائر، جامعة بن يوسف بن خدة، 1997م.
- 10- علوي حسن حافظي، مراجعات حول الصراع السني الإباضي في بلاد المغرب، الصراع المذهبي ببلاد المغرب، منشورات، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008.
- 11- عمارة علاوة (2017م)، بين جبل الأوراس والواحات ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق: 2-3هـ/8-9م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، (المجلد 3- العدد 01)، جامعة الوادي، 2017.
- 12- عناق جمال (2017م)، قضايا ومسائل المياه من خلال كتاب القسمة وأصول الأراضين لأبي العباس الفرستائي ق5هـ/11م، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، (العدد41)، القدس، جامعة القدس المفتوحة.
- 13- عولمي محمد لخضر (2018)، فن الزخرفة المعمارية بمدينة سدراتة الإسلامية ، مجلة منبر التراث الأثري، المجلد 02(العدد 03)، الجزائر : جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.
- 14- غزالي محمد،(1986) المعتزلة وآراءهم الفكرية العقدية، في بلاد المغرب، من منتصف القرن 2هـ/8م -4هـ/10م، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، العدد21-22، 2016م، ص168. عبد المجيد بن حمده، المدارس الكلامية بإفريقية، إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب، ط1، تونس، 1986.
- 15- كروم أحمد بن حمو، الحديث والمحدثون عند الإباضية، محاضرة مرقونة أُلقيت يوم الأربعاء 08 محرم 1429هـ - 16 /01 /2008.

- 16- ليفتسكي تاديوش، دولة تاهرت بشمال إفريقيا وعلاقتها مع السودان الغربي في نهاية القرن الثامن والتاسع الميلادي، تر، عبد القادر مباركية، مجلة عصور الجديدة، (العدد 19-20)، الجزائر : جامعة وهران.
- 17- هدوش صلاح الدين (2015)، المدينة ببلاد الزاب من خلال المصادر العربية من القرن 5هـ/11م إلى القرن 8هـ/14م، مجلة علوم الإنسان والمجتمع (العدد 14)، الجزائر، 2015.
- 18- الهطاي على (2017)، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع، مجلة المواقف، (المجلد 12- العدد 01)، جامعة معسكر، 2017م.
- 19- الودان فتحة محمد، دور الفقهاء والعلماء في شؤون الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية " مدينة فاس نموذجا " 448-541هـ/1056/1146م، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد السادس، يونيو 2016 م.
- سادسا: المقالات والمراجع الأجنبية.

- 1-T. Lewicki: Etudes Maghrebines- Soudanaises, Editions Scientifique de Pologne, Varsovie, 1976
- 2-Palu M. L. love jr (2018) ibadi Muslims of, North Africa 'cambridge, usa.'
- 3-Allaoua amara, La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (XIe-XVe siècle) ANNALES ISLAMOLOGIQUES, 'AnIsl 42.
- 4-Virginie Prevost(2006) 'UNE MINORITÉ RELIGIEUSE VUE PAR LES GÉOGRAPHES ARABES LES IBĀDITES DU SUD TUNISIEN', Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae , 2006, Vol. 59, No. 2 .

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية الكريمة	السورة ورقمها	الصفحة
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفُموهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾	البقرة 191	19
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ	البقرة 155	56
إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا	النساء 97	80
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ الْبَارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	آل عمران 103	97
قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	القصص 25	174
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	النور 27	237

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الأحاديث النبوية الشريفة
58	من يرد الله به خيراً يصعب منه
80	إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه
97	إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم
172	مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ
237	لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ، وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ
255	بني الإسلام على خمس
259	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ

ثالثا: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
أبان بن وسيم الويعوي	46
عبد الأعلى بن السمح المعافري أبو الخطاب	30
أبو بكر بن يحيى الزواغي	48.231
الملزوزي أبو حاتم	39
الدركلي أبو خليل	32
فصيل بن أبي مسور أبو زكرياء	208.212.47
مسلم بن أبي كريمة أبو عبدة	8.13.16.120
النميلي الزواغي أبو عمرو	115.264
مهاصر النفوسي أبو مرداس	50
أحمد بن خيران الحامي	62.227
إسماعيل بن أبي زكرياء الوارجلاني	48.125.224
إسماعيل بن زياد النفوسي	29
الحجاج بن يوسف الثقفي	13
الحسن البصري	12

الفهارس العامة

34	العوام بن عبد العزيز البلجي
52.64	أيوب بن إسماعيل اليزماتي
45.72.256	تبغورين بن عيسى
12.13.14.16.27.120.109.235	جابر بن زيد
57.58.66.192.225.228	جمال المدوني
56.66.73.130.131.174.244.248	جنون بن يمران
65.139	داود بن أبي يوسف الوارجلاني
69.171	داوود بن أبي سهل
57	دوناس بن الخير المزاتي
78.95	زيري بن لقمان
96.229	سعد بن يفاو النفوسي
46.70.234	سعيد بن يخلف المدوني
56	سعيد بن يخلف المزاتي
19.206	سلامة بن سعيد
46.47	سليمان بن أبي صالح الياجراني
45.53.61.72.76.77.87.122.261	سليمان بن يخلف المزاتي
77	صالح التجمي الأريغي
81.148.256	صالح بن إبراهيم بن يوسف
31.33.34.123	عاصم السدراي
30	عبد الجبار بن قيس المرادي
114, 160	عبد الحميد الجناوني

30.31.32.34.35.36.37.39.169	عبد الرحمن بن رستم
223, 256	عبد السلام بن عبد الكريم
53	عبد العزيز بن الكساسن
15, 16, 18	عبد الله بن إياض
59.104.128	عبد الله بن الأمير
18	عبد الله بن الزبير
60, 62, 65, 199, 218, 230, 232, 237, 252, 267, 268	عبد الله بن مانوج
70, 108, 150, 163, 217, 251	عبد الله بن محمد بن ناصر
29	عبد الله بن مسعود التجيبي
15, 17	عبد الملك بن مروان
34, 42, 112, 113, 114, 242	عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم
62, 103, 199	عبود بن منار
64, 101, 209, 215, 232, 233, 241, 248, 257	عثمان بن خليفة السوفي أبو عمرو
13, 120	عثمان بن عفان
13, 120, 121, 122, 220	علي بن أبي طالب
34, 124	عمر بن يمتن
49, 76, 77, 133	عمران بن زيري

63	عمران بن يغلى
112, 113	عمرو بن يانس
63, 262	عمروس بن عبد الله الزواغي
55, 61, 68, 72, 88, 89, 105, 110, 134, 135, 136, 138, 146, 152, 192, 198, 210, 216, 218, 232, 248, 249, 255	ماكسن بن الخير
115, 116, 245, 246	محمد بن أفلح
37	محمد بن الأشعث الخرزاعي
44, 47, 49, 50, 51, 56, 57, 58, 61, 63, 65, 67, 69, 70, 71, 72, 73, 76, 80, 84, 94, 96, 97, 125, 126, 129, 131, 138, 141, 143, 146, 149, 153, 174, 191, 195, 211, 220, 223, 225, 229, 230, 230, 231, 233, 235, 238, 248, 255, 263, 265	محمد بن بكر الفرستائي
62	محمد بن داود الأريغي
69, 125, 145, 213, 223	محمد بن سليمان النفوسي
20	محمد بن عبد الحميد بن مغطير
34, 210	محمد بن يانس
30, 43, 188, 203, 204, 205, 8, 12	مخلد بن كيداد
51, 131, 138, 234, 235, 250	مزين بن عبد الله الوسياني
59	مصكوداسن بن أوثمار
15, 120	معاوية بن أبي سفيان

64, 65, 237, 238, 251, 262, 265, 266	موسى بن زكرياء
14	واصل بن عطاء
21	وعيسى بن علقمة المصري
47, 232	ويسلان بن أبي صالح اليراسني
7, 55, 69, 78, 82, 86, 218, 249, 258	يحيى بن أبي بكر الوارجلاني
70	يحيى بن جعفر
97, 138, 141, 260, 271	يحيى بن ويحمن
53, 104, 142	يخلف بن يخلف التميمي جاري
19, 20	يزيد بن أبي مسلم
64, 252	يزيد بن مخلد الحامي
49, 50, 224	يعقوب بن أبي القاسم الوليلي
73	يعقوب بن أبي القاسم يونس
43, 154	يعقوب بن أفلح
73, 135, 217	يعلو بن صالح الأريغي
81, 94, 144, 240	يوسف بن إبراهيم

	الوارجلاني
97	يوسف بن تسجاسنت اليراسني
50, 106, 221, 230, 235, 236, 238	يوسف بن سهلون
56	يوسف بن محرز
57	يوسف بن نفاث القنطناري

رابعاً: فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
آجلو	7, 70, 71, 73, 83, 84, 85, 88, 97, 102, 103, 105, 106, 107, 110, 118, 127, 129, 135, 138, 149, 174, 175, 193, 212, 237, 255, 258, 261
أريغ	7, 8, 29, 39, 44, 49, 50, 53, 55, 57, 58, 59, 61, 62, 63, 65, 69, 70, 73, 74, 76, 77, 79, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 94, 95, 96, 97, 102, 103, 106, 108, 110, 118, 125, 128, 129, 131, 133, 134, 135, 136, 141, 150, 152, 155, 156, 157, 163, 171, 173, 174, 175, 176, 188, 189, 192, 193, 198, 212, 212, 214, 216, 219, 223, 228, 234, 236, 249, 252, 256, 258, 265, 268, 269
أسوف	8, 39, 50, 60, 65, 71, 74, 80, 85, 86, 87, 88, 102, 106, 107, 108, 129, 138, 142, 155, 156, 157, 173, 217, 219, 246, 257

23, 24, 25, 29, 30, 31, 33, 35, 38, 40, 41, 42, 43, 77, 94, 101, 106, 116, 119, 123, 130, 152, 156, 159, 185, 187, 201, 202, 203, 215, 218, 219, 230, 248	طرابلس
20, 21, 22, 24, 25, 27, 29, 30, 33, 36, 38, 39, 40, 41, 59, 61, 70, 80, 87, 89, 97, 100, 101, 106, 117, 122, 123, 139, 142, 144, 150, 152, 154, 163, 164, 175, 176, 193, 196, 209, 257, 2, 3, 5, 8, 11	إفريقية
34, 124	إفطامن
22, 24, 162	الإسكندرية
13, 14, 15, 16, 17, 18, 32, 42, 122, 123, 208, 214	البصرة
7, 11, 27, 30, 31, 43, 45, 53, 55, 64, 69, 73, 77, 85, 91, 98, 117, 142, 143, 145, 150, 154, 155, 156, 157, 163, 164, 166, 167, 168, 171, 178, 184, 188, 204, 208, 210, 211, 217, 226	الجريد
2, 3, 19, 21, 22, 24, 28, 29, 30, 33, 44, 45, 48, 50, 52, 53, 57, 61, 68, 69, 75, 81, 92, 93, 103, 114, 118, 119, 154, 155, 165, 172, 182, 188, 197, 200, 204, 244, 250, 279, 1, 2, 4, 5, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13, 14	الجزائر
45, 64, 75, 132, 164, 165, 166, 210	الحامة
	الزاب

40, 41, 43, 44, 60, 65, 67, 68, 72, 154, 155, 171, 172, 173, 174, 180, 188, 202, 205, 206, 220, 14	
24, 29, 32, 35, 36, 38, 40, 41, 80, 88, 95, 123, 154, 155, 166, 167, 186, 188, 202, 203, 206, 12	القيروان
13, 121	الكوفة
18, 33	اليمن
44, 45, 91, 149	بادية بني مصعب
28, 171	بجاية
22, 23, 24, 25, 32, 70, 196	برقة
43, 44, 155, 171, 172, 173, 180, 186	بسكرة
22, 23, 34, 48, 81, 124, 154, 181, 187, 188, 10	بلاد السودان
29, 30, 36, 166	تاورغا
47, 59, 76, 89, 99, 140, 142, 152, 153, 194, 214, 215, 227, 228, 234, 265, 268, 269	تجديت
28, 57, 205, 14	تلمسان
74	تماسين

63, 77, 78, 79, 111, 227, 263	تمولست
22, 155	تنس
25	تورغة
27, 55, 117, 156, 164, 165, 166, 184, 188, 233	توزر
9, 20, 27, 39, 41, 47, 94, 95, 116, 118, 154, 155, 168, 186, 192, 1, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 11, 13, 14	تونس
75, 77, 102, 227	تين باماطوس
66, 70, 74, 109, 110, 141, 174, 226, 231, 255, 258	تين وال
32, 34, 39, 41, 43, 45, 52, 53, 57, 68, 111, 112, 113, 115, 148, 154, 155, 156, 162, 169, 170, 171, 179, 180, 186, 187, 202, 204, 205, 208, 209, 221, 242, 13, 14	تيهت
114, 159, 160	جادو
29	جبل أوراس
25, 47, 74, 78, 111, 137, 219, 263	جبل دمر
39	جبل سوف أجج

35, 47, 49, 50, 54, 57, 60, 62, 63, 67, 74, 76, 77, 79, 80, 88, 92, 109, 115, 117, 118, 124, 134, 135, 139, 152, 167, 168, 190, 192, 212, 213, 218, 219, 231, 239, 248, 250, 253, 259, 265, 267	جربة
5, 13, 82, 83, 84, 85, 86, 157	جوغراف
68, 74, 75, 78, 110	زنزفة
42, 43, 126	زويلة
22	سبنة
86, 104, 188, 190, 205	سجلماصة
27	سدادة
22, 30, 36, 42, 43	سرت
25	صفاقس
40, 41, 171, 173	طبنة
20, 22, 23	طنجة
25, 33, 93, 123, 185, 187	غدامس

22, 30, 90, 187, 263	فزان
27, 31, 38, 116, 144, 150, 151, 206, 257, 264	قابس
27, 43, 44, 63, 64, 71, 74, 107, 153, 155, 156, 157, 164, 165, 166, 184, 192, 193, 212, 234, 260	قسطيلية
25, 43, 155, 156, 164, 166, 167, 183	قفصة
74, 78, 110	قلعة بني علي
27, 57, 77, 85, 128, 143, 156, 157, 242, 261, 262, 269	قنطرار
15, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 37, 99, 163, 167, 196, 204, 2, 10, 11	مصر
25, 159	نالوت
33	نفزة
28	نهر ملوية

7, 8, 11, 48, 49, 50, 51, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 61, 62, 63, 66, 67, 68, 69, 70, 72, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 81, 83, 84, 85, 86, 88, 90, 91, 93, 94, 95, 100, 102, 103, 106, 107, 109, 110, 111, 116, 118, 119, 125, 126, 128, 132, 134, 135, 136, 139, 144, 145, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 195, 198, 199, 214, 215, 216, 220, 223, 225, 226, 227, 259, 230, 237, 239, 246, 248, 250, 250, 252, 253, 256, 263, 264, 269, 2, 8, 12	وارجلان
22	ودّان
60, 65, 71, 74, 84, 97, 103, 108, 128, 135, 138, 215, 217, 220	وغلانة
157, 164, 43	نفطة

خامسا: فهرس القبائل

القبيلة	الصفحة
الأمويون	15, 17, 30, 31, 122
البربر	19, 20, 23, 28, 34, 42, 106, 197, 200, 204, 261
الروم	20, 23, 164
بنو ورتيزلن	102, 107, 130, 175

28, 108, 187, 217	بنيو حماد
63, 78, 111, 213	بني يهراسن
28, 30, 31, 43, 44, 73, 81, 90, 112, 171, 197, 198, 201, 202, 205, 216, 7	زناتة
38, 39, 60, 123	لماية
39, 70, 89, 91, 128, 152, 202, 261, 262	لواتة
42, 43, 48, 89, 99, 101, 117, 119, 144, 145, 150, 151, 153, 186, 193, 205, 224	مزاتة
3, 4, 8, , 20, , 31, 32, 34, 36, 38, 42, 43, 44, 48, 51, 52, 53, 56, 68, 69, 71, 73, 90, 91, 92, 98, 111, 112, 113, 115, 116, 123, 124, 139, 141, 148, 152, 155, 156, 159, 160, 161, 162, 184, , 185, 186, 187, 188, 189, 199, 202, 211, 215, 221, 222, 223, 226, 234, 242, 242, 245, 248, 262, 264, 268, 269,	نفوسة
29, 30, 31, 33, 39, 44, 88, 115, 172, 201, 203, 8	هواره

35	ورفجومة
43	سياطة
43, 81	مغراوة

فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتويات
01	مقدمة
	الفصل التمهيدي: الخارطة المذهبية للإباضية في بلاد المغرب
13	المبحث الأول: الخارطة المذهبية للدعوة الإباضية في بلاد المغرب
13	أولاً: تبلور المذهب الإباضي في المشرق وتسربه إلى بلاد المغرب
21	ثانياً: الدعوة الإباضية في بلاد المغرب الأوسط والأدنى (المجال والقبيلة)
21	1- المجال الجغرافي للمغربين الأدنى والأوسط
24	المجال الجغرافي للمغرب الأدنى
26	المجال الجغرافي للمغرب الأوسط
28	2- الوعاء البشري للدعوة الإباضية في بلاد المغرب
32	المبحث الثاني: الخارطة المذهبية للإباضية في بلاد المغرب في طور تكوين الملك
32	أولاً: إمارة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري
35	ثانياً: قيام الدولة الرستمية
	الفصل الأول: التواصل الاجتماعي
45	المبحث الأول: أنواع الزيارات المتبادلة
45	أولاً: فضل الزيارات عند الإباضية
49	ثانياً: الزيارات الفردية
50	1- الزيارات إلى المغرب الأوسط
58	2- الزيارات إلى المغرب الأدنى
64	ثالثاً: الزيارات الجماعية
64	1- الزيارات إلى المغرب الأوسط
74	2- الزيارات إلى المغرب الأدنى
80	المبحث الثاني: الهجرة
80	أولاً: رحلة البحث عن جوغراف
85	ثانياً: الهجرة نحو المغرب الأوسط

فهرس الموضوعات

91	ثالثا: الهجرة نحو المغرب الأدنى
94	المبحث الثالث: التكافل الاجتماعي
94	أولا: خدمة أهل المذهب وفضلها عند الإباضية
98	ثانيا: ضيافة أهل المذهب والاهتمام بشؤونهم
103	ثالثا: المؤازرة عند المحن
109	رابعا: المدافعة
118	المبحث الرابع: الحضور الاجتماعي للإباضية
118	أولا: الترابط الاجتماعي للإباضية بين القبيلة والمذهب
123	ثانيا: إباضية المغرب الأدنى والمجتمع الإباضي في المغرب الأوسط
138	ثالثا: إباضية المغرب الأوسط والمجتمع الإباضي في المغرب الأدنى
	الفصل الثاني: التواصل الاقتصادي
146	المبحث الأول: عوامل التواصل الاقتصادي بين المجتمعات الإباضية في بلاد المغرب
146	أولا: العلاقات الاجتماعية
152	ثانيا: الطرق التجارية
156	المبحث الثاني: المميزات الاقتصادية للحواضر الإباضية
156	أولا: في المجال الزراعي
157	1- أهم المراكز الفلاحية في المغربي الأدنى
167	2- أهم المراكز الفلاحية في المغرب الأوسط
177	ثانيا: في المجال الصناعي
177	1- الأنشطة الصناعية في الحواضر الإباضية بالمغرب الأوسط
181	2- الأنشطة الصناعية في الحواضر الإباضية بالمغرب الأدنى
184	المبحث الثالث: التبادل والتفاعل الاقتصادي
194	المبحث الرابع: مُعيقَات التواصل الاقتصادي بين الحواضر الإباضية في المغربين
194	أولا: الحرارة وقطع الطرق
199	ثانيا: العراكات السياسية

	الفصل الثالث: التواصل العلمي والفكري
206	المبحث الأول: الرحلة في طلب العلم ونشره
206	أولاً: الرحلة العلمية
215	ثانياً: الوعظ والإرشاد أثناء الرحلات
219	المبحث الثاني: المراسلات العلمية
226	المبحث الثالث: المناظرات العلمية والفتاوى
226	أولاً: المناظرات العلمية
239	ثانياً: الأسئلة الفقهية والفتاوى
257	المبحث الرابع: في الكتب والتأليف
257	أولاً: مكانة الكتب والتأليف عند الإباضية
263	ثانياً: التأليف المشترك
270	الخاتمة
273	الملاحق
283	قائمة المصادر والمراجع
299	الفهارس العامة
316	فهرس الموضوعات
320	ملخص البحث

الملاحظات

قدمت هذه الدراسة ضمن متطلبات الحصول على شهادة دكتوراه الطور الثالث، في تخصص تاريخ بلاد المغرب الوسيط، وتناولت البحث في مظاهر التواصل الحضاري الذي جرى بين الإباضية في المغرب الأوسط، والإباضية في المغرب الأدنى، في مختلف نواحي الحياة.

ولأجل الإلمام بالموضوع والبحث على حل لإشكاليته، وتسألاته، وبلوغ أهدافه تم وضع خطة، مهد فيها بفضل تناول التاريخ المذهبي لبلاد المغرب الإسلامي، ثم ثلاث فصول بُحث فيها عن مظاهر التواصل الاجتماعي، والاقتصادي، والعلمي.

وبعد البحث والتمحيص في المصادر ذات العلاقة بالموضوع تم العثور على عدد الروايات والأخبار، قمنا بجمعها، وتصنيفها، ومقابلتها، لبناء نصوص تحقق تسلسل الموضوع، وتوضح وتجيب على تساؤلاته، وتضع القارئ في صورة التواصل الحضاري الذي جرى الإباضية في المغربين الأوسط والأدنى.

وخلصنا بعد كل هذا إلى أن التواصل الحضاري كان عميقا، متينا، ولعبت عدة عوامل وحيثيات دورا في نسج مختلف أشكاله.

Abstract:

This study was conducted as part of the requirements for obtaining a doctoral degree in the field of the history of the middle Maghreb region. It focused on exploring the aspects of cultural communication that took place between the Ibadi communities in the middle Maghreb and the Ibadi communities in the closest Maghreb, encompassing various aspects of life.

To become familiar with the subject, investigate its problematic aspects, address its questions, and achieve its objectives, a plan was developed. It began with a chapter that discussed the religious history of the Islamic Maghreb, followed by three research chapters that examined the social, economic, and scientific aspects of communication.

After conducting research and examining relevant sources, numerous narratives and accounts were collected, classified, and compared to construct texts that would establish the sequence of the subject matter, clarify and answer its questions, and present readers with an understanding of the cultural communication that took place between the Ibadi communities in the central and closest Maghreb.

Ultimately, the study concluded that the cultural communication was profound and robust, with various factors and contexts playing a role in shaping its different forms.

Résumé:

Cette étude a été présentée dans le cadre des prérequis pour l'obtention d'un doctorat de troisième phase, dans la spécialité histoire des pays du Maghreb moyen. Il traitait des aspects de la communication civilisationnelle qui s'opérait entre l'Ibadisme au Maghreb moyen et l'Ibadisme en Ifriqiya, dans divers aspects de la vie.

Afin de se familiariser avec le sujet et de rechercher une solution à ses problèmes, à ses questions et à la réalisation de ses objectifs, un plan a été élaboré dans lequel un chapitre traitait de l'histoire doctrinale du Maghreb islamique, puis trois chapitres étaient discutés. dans lequel les aspects de la communication sociale, économique et scientifique ont été discutés.

Après avoir recherché et examiné les sources liées au sujet, de nombreux romans et nouvelles ont été trouvés. Nous les avons rassemblés, catégorisés et interrogés pour construire des textes qui vérifient l'enchaînement du sujet, éclairent et répondent à ses questions, et mettent le lecteur à l'image de la communication civilisée qui s'est opérée entre l'Ibadisme au Moyen Maghreb et, l'Ibadisme en Ifriqiya.

Après tout cela, nous avons conclu que la communication civilisée était profonde et solide, et plusieurs facteurs et raisons ont joué un rôle dans le tissage de ses diverses formes.